الجـزء التاسع
السـنة الأولى

المعرفة

أول يناير سنة ١٩٣٢
شعبان سنة ١٣٥٠

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد الثانى

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

كلمات مختارة

أيتها الارض !

من مقال لجبران خليل جبران

ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول إناتك ! !

ما أشد حنانك على أبنائك المنصرفين عن حقيقتهم إلى أوهامهم ، الضائعين بين ما بلغوا إليه وما قصروا عنه .

نحن نضج وأنت تضحكين ، نحن نذنب وأنت تكفرين ، نحن نجدف وأنت تباركين ، نحن ننجس وأنت تقدسين .

نحن نهجع ولا نحلم ، وأنت تحلمين فى سهرك السرمدى .

نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح ، وأنت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم .

نحن نزرع راحاتك العظام والجماجم ، وأنت تستنبتينها حورا وصفصافاً .

نحن نصبغ وجهك بالدم ، وأنت تغسلين وجوهنا بالكوثر .

نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف ، وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورد والزنابق .

ما أوسع صبرك أيتها الأرض ، وما أكثر انعطافك ! ! !



من ناطحات السحاب فى نيويورك



منظر آخر لاحدى ناطحات السحاب فى نيويورك



منظر من مناظر الطبيعة الرائعة

نظرات سريعة

في ثقافة الصين الروحية

هذا نوع من النظرات طريف، وضرب من ضروب الثقافة غريب، اشتغلت به منذ سنين خمس، ثم صرفتني عنه المشاغل والأيام، ولما أزل في بداءته، وأذكرنيه الآن ماقرأته أخيراً عن «البعثة الصينية» التي جاء أعضاؤها يطلبون العلم في الأزهر الشريف، كما أذكرنيه وعد لي بالعدد السادس في الرد على الدكتور زكي مبارك بنشر ما كتبته سابقاً عن «التصوف في الصين».

وإذا كان لي أن أسر بأن أعود إلى هذا البحث، أتلمس فيه معنى من المعاني الروحية السامية، التي تأصلت في نفوس اخواننا الصينيين، بل إذا كان لي أن أسر أكثر لأنهم اخوان لنا في الشرقية، من الشرق نشأت فلسفتهم، وفي الشرق هبط وحيهم، وعلى الغرب أشرقت شمسهم – فانني لا أملك نفسي أدفعها من الحزن، ولا أستطيع بالغاً ما بلغ مني ضبط النفس أن أمنع صرختي، وهي تود أن تنطلق انطلاق السهم لتعلن – في غير رفق ولا لين – أن الجامعة المصرية تهمل هذا الضرب العريق من العلم، وتغفل ذاك النوع الأصيل من الفلسفة.

على أن إغفال الجامعة لتلك البحوث لا يقتصر عليها فحسب، بل تذهب إلى أبعد من هذا، فتمد سلطانها – وهو سلطان الجحود والانكار – على الفلسفة الهندية وما لها من شأن لا يستطيع أشد الفلاسفة إغراقا في التعصب أن ينكره أو يجحده، وإلا فقل لي بربك، ما شأن فلسفة يدرس فيها الفرع دون الأصل؟ وما شأن تاريخ للفلسفة تعرف منه حلقة وتجهل منه حلقات لا تتم السلسلة بدونها؟

ذلك شأن الفلسفة القديمة في الجامعة فما أهونه، وشأن العلم عند قوم نعلق عليهم آمالنا.. وبعد. فهذه ثورة نفس أطلنا فيها، وما كنا لنسردها على القراء لولا إخلاص يدفعنا إلى إظهار الحقائق، والكشف عن المخبوء، ولخير لي أن أذهب للطبيب أصارحه الداء فيصارحني الدواء من أن أموت بالعلة خبيئها.

على ضوء ما قدمت، أريد أن أسلك بالقارىء سبيلا جديدا في هذا البحث الذي أود ألا يظنه «عنقاء مغرب» أو خيال واهم، أو هيكل عظام بالية، أو وحشاً ضاريا يفترس رقيق العظام، أو علماً جامداً يقوم على عميق الاستقراء فتمله النفوس وتهجره، زاعمة – في غير ما حق ولا ولاء — أن الفلسفة عامة، والقديم منها بصفة خاصة، لا يتفق والروح الحديث، أو يلتئم وذهن ابن القرن العشرين

والحقيقة واحدة لا تتغير، ليس فى ذلك من ريب، وما كان قديماً اليوم فقد كان جديداً بالأمس، وما الجديد والقديم إلا مظاهر، أو ظواهر لأعراض لا تمس الجوهر فى قليل ولا كثير. وقديماً قيل:

إن ذلك القديم كان حديثاً وسيبقى هذا القديم حديثاً

مذهب فوهى:

والآن فلأرجع بك إلى خمسين قرناً أو تزيد، بل إلى عام ٣٤٦٨ ق. م على التحديد، وهو ذلك العام الذى وضع فيه الفيلسوف « فوهى » أول كتاب عرف فى اللغة الصينية عن الفلسفة الروحية — لتعرف أن الروح التى أملت على « فوهى » كتابه قد انصرفت به إلى الروحانيات البحتة، تاركة وراءها كل ما يتعلق بالماديات، وبحسبك أن تعلم أن « فوهى » يرى للعالم روحاً خرجت منه جميع الأرواح وإليه تعود، وأن له إدراكا يدرك به خروج الروح وعودته ثانية .. وهكذا دواليك.

بحسبك هذا لتعلم أن الروح فى نظر « فوهى » لا تفنى ولكنها خالدة أبداً ... لهذا أوصى أتباعه ومريديه بأن يكونوا رفقاء بالحيوان، رحماء بقبيله. حتى لقد ذهب أتباعه إلى حد اتخاذ بعض الحيوان آلهة من دون الله ... وإذا كان ذلك يعد منهم مغالاة فى الرفق، وإغراقاً فى الرحمة — فأن الباعث عليه إنما هو العقيدة الراسخة بخلود الأرواح أيا كان نوعها.

ونحن نرى بعض هذه التعاليم مبثوثا فى تعاليم « فيثاغورس » الفيلسوف اليونانى، إلى حد ليس باليسير: ففيثاغورس يرى أن روح هذا العالم العظيم إنما هو الأثير، وأن من الأثير خرجت جميع الأرواح « الجزئية » للانسان والحيوان، وأن الارواح لا تفنى ولكنها تسبح فى الهواء من جهة إلى أخرى حتى تصادف جسما — أيا كان نوعه — فتحل فيه.

مثال ذلك: إذا خرجت الروح من جسد الانسان فقد يتفق أن تحل فى جسم حيوان، كما يتفق أن تحل فى جسم إنسان أيضاً، من غير ما فرق بينهما ... كذلك إذا خرجت من جسم أى حيوان فقد تحل فى جسم إنسان، أو فى جسم حيوان آخر، من غير ما فرق أيضاً، لهذا يرى « فيثاغورس » كما رأى « فوهى » من قبل: أن يمتنع الانسان عن أكل أخيه الحيوان. بل يذهب إلى أكثر من هذا، فيزعم أن من يقتل الذبابة والزنبور، أو غيرهما من الهوام يكون مذنباً ذنب الذى يقتل إنساناً، ما دامت سائر الأرواح واحدة! وإذن فقد تأثر فيثاغورس بآراء فوهى بالغ الأثر.

وقد يتفق لنا أيضا أن نجد بعضاً من هذه التعاليم أو نتفا من تلك الآراء مبثوثاً فى شعر المعرى أو فى فلسفته على التحقيق، فالمعرى حرم على نفسه أكل اللحوم، وتلك مسألة مقطوع بصحتها، فقد ثبت أنه مرض فى أخريات أيامه مرضاً شديداً، اضطر طبيبه أن يصف لعلاجه أكل ديك من الدجاج، فما لبث أهله أن قدموه إليه، وما لمسته يداه حتى اقشعر بدنه ورثاه بخير ما يرثى مفقود عزيز، فقال يخاطب الذبيح:

« أيها الديك! استصغروك فذبحوك، ولو كنت من ذوات الأنياب لوقروك »

وفى رواية أخرى : « استضعفوك فوصفوك ... هلا وصفوا شبل الأسد ؟ ! »
وله فى ذلك قصيدة يقول منها :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا بيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغوانى الصرائح
ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذى بكرت له كواسب من أزهار نخل فوائح
فما جمعته أن يكون لغيرها ولا جعلته للندى والمنائح

وكثيراً ما كان يضمن شعره أبياتاً حكمية فى الرفق بالحيوان ، ومن ذلك قوله :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجاً
كلاهما يتوقى والحياة له حبيبة ويروم العيش مهتاجاً

والذى نوده من هذا ، هو أن نثبت أيضاً أن المعرى تأثر بهذه الآراء (آراء فوهي) أو بعضها، وإن كان عن طريق غير مباشر ... كما نثبت إلى حد بعيد أن « فوهى » كان مبدع هذه الثقافة الخالدة .

مذهب لاوتس :

جاء بعد فوهى « لاوتس » فكان أول الذين حملوا مشعل الثقافة الصينية بعد « فوهى » بمراحل من السنين بعيدة ... ولد عام ٦٠٤ ق.م فلما أن تمت له مقومات الثقافة الروحية أوجد من أوضاعها المختلفة مذهباً جديداً دعاه « مذهب طاو » وبعبارة أخرى « مذهب العقل الأسمى » ويتلخص هذا المذهب فى أن للعالم وجوداً روحياً وظواهر روحية بحتة، كما يعتقد بانتقال الأنفس من كائن إلى كائن آخر ، أى أنه يذهب إلى التناسخ ، ويرى أن العقل الأسمى ، هو أصل الآلهة ، منه نشأت المواد الهيولية وإليه تعود .. وتقوم تعاليمه على دعامات من التأمل والعزلة ، إذ هما — فى نظره — الواسطتان الفعالتان لتنقية الطبيعة الروحية ، ويرى أن المعرفة لا تحصل إلا بواسطة العقل المحض ، وأن الواجب ألا يؤخذ بما يأتى بطريق الادراك الحسى ، وأن بالعقل الاسمى وحده تحصل الأشياء ، ومن غير ذلك لا يحصل بتاتاً ، ولذلك يقول لأتباعه : « من أراد الوصول إلى المعرفة ، أو يرغب فى الحقيقة ، فلينظر إلى بأمعان ، ولينعم بتبصر ، فأنا هى ، وهى أنا » ويدعى أتباع هذا المذهب « بالطاوسى » أى العقليين.

ونحن نلاحظ أيضاً أن ثمة أوجها من الشبه ليست بالقليلة بين « لاوتس » و « زينون » من ناحية ، وبينه وبين « الحلاج » من ناحية أخرى .

يقول « لاوتس » لأتباعه : « من أراد الوصول إلى الحقيقة فلينظر إلى بامعان ولينعم بتبصر ، فأنا هي ، وهي أنا » ونجد ذلك المعنى فى قول « الحلاج » تلميذ « الجنيد » وهو « مافى الجبة إلا الله » وفى قوله « أنا الحق » وفى قوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني ... أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وتتبين ذلك واضحاً تمام الوضوح فى قوله :

سبحان من أظهر ناسوته فى سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

بحسبنا هذا وإلا يطول بنا القول لو أردنا الشرح والاستقصاء . وننتقل إلى تبيان أوجه الشبه التى نراها بين كل من : « لاوتس » و « زينون »

يقول زينون : إنه ينبغى لكل إنسان أن يعيش بمقتضى الطبيعة ، أى لا يفعل ما يخالف حكم العقل ، فالعقل هو القانون العام المشترك بين جميع الناس ، كذلك ينبغى لكل إنسان أن يتمسك بالفضيلة لذاتها ، لا لما يترتب عليها من ثواب ، فانها بذاتها كافية لاسعاد المرء ، فمن تمسك بها تمتع بكمال الراحة ، ولو أحاطت به صنوف المتاعب من كل جهة ، وأنه لا نافع إلا ما كان صلاحاً ، ولا نفع فى الذنب مطلقاً ، وكذلك تنزيه الحواس بالشهوات ليس من الخير فى شيء ، لانها مدنسة للمرء ، ولا خير فى المدنس ، وطبع الحكيم : شدة الأخلاق العالية ، ودوام التأملات الألهية ، والاسترسال مع الأنفاس الربانية لتتم للروح نقاوتها ، ولتكون بذلك صالحة للحياة الثانية التى ستكون بعد هذه الحياة الأولى .

مما يتقدم يتضح لنا بجلاء تام أن أثر الفلسفة الصينية واضح بعض الوضوح — إن لم يكن كله — فى نواح عدة من نواحي الفلسفة اليونانية والاسلامية ، لكن كيف كان هذا التأثر أو ذلك السبيل الذى يسر لهذه الآراء وجودها فى الفلسفتين الأخريين . هذا ما لم نعرفه على التحقيق ، وأظهر ما نعرفه عن ذلك إنما هو فى تطور فلسفة « كونفشيوس » الذائعة الصيت ، والتى لاقت رواجاً فاق سابقتها بمراحل ، ولعل السر فى عدم وضوح هذين المذهبين المتقدمين وضوحاً تاماً يرجع إلى عراقتهما فى القدم .

أما مذهب « كونفشيوس » فيرجع عهده إلى القرن السادس قبل الميلاد فهو إذن حديث بالنسبة للآخرين ، وفلسفته واسعة رحيبة الجنبات يطول البحث فيها ، وقد نتناوله فى فرصة أخرى .

على أن هذا لا يمنعنا من أن نتوجه إلى الذين يعلمون شيئاً عن هذين المذهبين ، راجين إليهم أن يستوعبوا ما أذعناه عنهما في تمعن وصدق . ثم أن يبدوا آراءهم فيهما ، فانا لم نقصد من دراستنا هذه سوى أن نستنهض الهمم ونحفز النفوس ، وإلا فتلك نظرات عجلى لا أكثر ولا أقل .

مذهب لودانتك في الحياة

بقلم الاستاذ الفيلسوف فريد بك وجدى

كان العلامة (لودانتك) مدرساً لعلم الحياة فى جامعة السوربون بفرنسا ، وهو ركن من أركان الماديين فى هذا العصر .

يذهب هذا البيولوجى أن لكل خلية أولية من الاجسام الحية حياة خاصة تتألف من مجموعها الجسم الحى حياته العامة .

قال إنه بالتأمل فى كل خلية حية نجد أنها لا تفترق عن المادة الجامدة إلا بخاصة التمثيل أى بأحالة المواد الجامدة التى تتناولها إلى مادة مماثلة لمادتها . والمشاهد أنه لو صار جسم جامد محلا لتفاعل كماوى ، فانه ينقص وينتهى أمره بالتلاشى ، ولكن إذا أصبح جسم حى موضعاً لمثل ذلك التفاعل في بيئة صالحة ، فانه يحفظ تركيبه ، ويزداد نمواً ، وهذا هو المعنى المراد من كلمة التمثيل ، وتحديده ضرورى لفهم معنى الحياة .

وإذا بلغ جسم حى مكون من خلية واحدة حداً معيناً فانه ينقسم إلى خليتين ، فتنمو كلاهما حتى اذا وصلتا الى حدمعين انقسمتا بدورهما وهلم جرا ... وهذا هو التوالد ، وهوالميزة للأجسام الحية . وأما الموت فهو انهدام المادة الحية ، أى استحالتها إلى مادة غير آلية فتصبح غير صالحة للتمثيل .

قال لودانتك : فيظهر من هنا أن الاستحالات التى تحصل للخلية تأتيها من فواعل خارجة عنها : طبيعية وكماوية تابعة للبيئة، لا ذاتية فى الخلية .

وقال : أما حياة الأجسام المكونة من خلايا كثيرة من أول الكائنات الحقيرة إلى الانسان نفسه فهى لا شىء غير مجموع حياة خلاياه الجسمية كلها .

هذه خلاصة مذهب لودانتك وهى معتمد الماديين اليوم .

ولكن يوجد بازائه علماء يعتبرون أرفع منه كعباً فى البيولوجيا : كالعلامة (توماس هكسلى) و (روسل ولاس) و (داروين) الانجليز ، و (ارنست هيكيل) و (كيرنر) الألمانيان وغيرهم قرروا بأن هذا التعليل لا يفسر معضلات الحياة فى الأجسام الحية ، ولا يحل غوامضها .

فأما دارون فقد قال : إن الأنواع مشتقة كلها من خلية واحدة أو عدة خلايا حية نفخ فيها الخالق روح الحياة ، فهو يعتقد أنها استمدت الحياة من خالق حي أوجدها أولا ، ثم أخذت فى التنوع على مقتضى نظريته بالانتخاب الطبيعي كما يعرف من مذهبه المشهور .

وقال العلامة (روسل ولاس) فى كتابه (عالم الحياة) المطبوع سنة ١٩١٤ فى صفحة ٤ منه: « إن الظواهر القائمة بالكائنات الحية هى من العجب ، وخصائصها من التفوق على جميع الصور المادية الخاضعة للنواميس الآلية طبيعية وكماوية ، بحيث إنه من العبث المحض أن يحاول البيولوجيون الوقوف على سر مظاهرها العجيبة وتحديد كنه الحياة بوضوح تام و بعبارات علمية »

وقال الأستاذ (كيرنر) الألمانى فى كتابه الممتع (التاريخ الطبيعى للنباتات) : «الظواهر المشاهدة فى (البروتوبلاسما) الحية فى أثناء نموها وأخذها شكلها النهائي لا يمكن أن تعلل فى مجموعها بوجود تركيب خاص (للبروتوبلاسما) لكل نوع من أنواع النباتات .

ثم قال : « لذلك لا أتردد أصلا فى تسمية هذا التأثير الطبيعى (قوة حيوية) لا يجوز الخلط بينها وبين أية قوة أخرى ، وأن آلة هـذه القوة (البروتوبلاسما) وأن نتائجها الخاصة تعتبر بيننا مؤلفة لما يسمى بالحياة »

وقال الأستاذ الكبير (ارنست هيكيل) الألمانى كما رواه عنه الأستاذ(روسل ولاس)فى كتابه (عالم الحياة) : « إن كل خلية لها روح تدبرها ، ولكنها لا تشعر بوجودها » وقال أكبر بيولوجي العصر الراهن العلامة (توماس هكسلى) الانجليزى فى كتابه (المدخل على ترتيب الحيوانات) صفحة ١٠ عند كلامه على جماعات الحيوان المسمى (أميب) Amibe قال : « فى كل المملكة الحيوانية لا يوجد مجموع يفوق هذا المجموع فى تأييد هذا المذهب القوى الذى أومأ اليه (جون هنتر) أكثر من مرة : وهو أن الحياة هى علة وجود الأجسام لا أنها نتيجة لها ، لأنه فى هـذه الصورة الدنيئة للحياة الحيوانية (يريد جماعات الأميب) لا يصادف الباحث مهما توسل بالآلات الدنيئة التى نملكها اليوم أى أثر للتركيب الجسمانى فيها . فان هـذه الاجسام لا شكل لها ، ومجردة من الأعضاء ومن الأجزاء المحدودة ، ومع ذلك فانها تملك الخصائص والمميزات الأصلية للحياة ، حتى أنها تستطيع أن تبتني لنفسها قواقع ذوات تراكيب معقدة أحياناً ، وعلى غاية ما يمكن من الجمال .

وقال العلامة الفرنسى الدكتور (ج . جوليه) فى كتابه (من لاواع إلى واع) فى طبعته الثالثة الصادرة فى سنة ١٩٢٠ قال :

« قال شوبنهور : كلما انحط الانسان فى القوة العقلية قلت مساتير الوجود فى نظره ...فكل شىء عنـده يحمل معه تفسيراً لكيفية وجوده وسبب حدوثه . فهذا جسمنا لا شىء أقرب الينا من وظائفه ، وكذلك لا شىء أبسط منها فى نظر النظر العامى ، والواقع أنه لا يوجـد

أعضى منهـا على أفهامنا . فالحياة لا تزال سراً مكنوناً ، والحركة الحيوية ، ونشاط الوظائف العضوية الكبرى ليست أقل منها تعاليا عن مداركنا . هـذا النشاط الذى لا يخضع للارادة الشاعرة لذواتنا ينشأ ويتم بدون شعورمنا ، كما ينشأ ويتم فى الفيزيولوجيا المسماة بفيزيولوجية ما فوق الطبيعة »

« بل إن التركيب الجسمانى ، وكل ما يتعلق به من الميلاد والنماء والتطور الجنينى وما بعده ودوام الشخصية مدة الحياة والتجدد الذى يحدث لبعض الحيوانات فى بعض أعضائها ، بل وفى بعض غددها ، كل هذه الأمور أسرار لا تدرك إذا أخذنا بالقول المدرسى فى مسألة الشخصية (يريد القول بأن شعور الانسان بشخصيته هو مجموع الشعورات الجزئيـة لـكل خلية من خلاياه) »

ثم قال « فلنحاول أن نفهم على ضوء هذه النظرية قيام هذه الشخصية التشريحيـة الفيزيولوجية وأداءها لوظائفها ، ولندع جانباً إلى حين النظر اليها من الوجهة الفلسفية المحضة بل ومن الوجهة النفسية البسيطة ، ولا نواجهن إلا الوجود الطبيعى أى الشخصية الفيزيولوجية باعتبار أنها مجموع حياة الخلايا الجسدية . فمن أين حصل هـذا المجموع من الخلايا المركبة لأى شخص من الأشخاص على صورته النوعيـة ، وكيف تم له ذلك ؟ وكيف يحفظ شكله طوال مدة حياته ؟ وكيف تتكون شخصيته الطبيعية ، وتحفظ وجودها وتعيد تكوين بعض ما دثر من أعضائها ؟ » ثم قال : « من أين كل هذا ؟ وكيف ؟ ولماذا نقول مرة أخرى إن هـذا من المساتير الطبيعية ؟ وقد وصفه (دستر) بأنه من الأسرار التى لا يسبر لها غور لما يحدث فى أثناء نمو الخلية الجرثومية ، من جذبها إلى نفسها المواد الخارجة عنها ، ووصولها بذلك إلى إقامة هذا البناء المدهش وهو الجسم الحيوانى والانسانى ... ومع هذا كله حاول بعضهم ووجد لهذه المساتير تفسيراً ولـكنه من الضعف بحيث يوجب الحيرة » انتهى

نقول إننا لم نفعل فى هذه المقالة أكثر من مقابلة أقوال العلماء البيولوجيين بعضها ببعض وعلى القارىء أن ينضم إلى أقواها أساساً ، وأقومها منطقاً ؟

محمد فريد وجدى

الدسائس والدماء

بقلم احمد خيرى سعيد — : قصة تاريخية تصور الحياة المصرية فى عصر ذهبى

أثر الرحلة فى نفسى

بقلم المربى الكبير
الاستاذ أحمد بك فهمى العمروسى
ناظر مدرسة المعلمين العليا



ذلك رجل كله صفاء نفس ، وسمو روح ، وثقافة عالية ، وعلم جامع ، وأعنى به الأستاذ الكبير العمروسى بك ، الذى عليه تخرج أكثر أساتذتنا المنتشرين فى المعاهد العلمية ، بل والكثيرون ممن يتولون مناصب القضاء فى مصر .

ما زلت أذكر — والذكرى قطعة من حياة المرء — ذلك المربى العظيم ، وقد مر من ١٢ عاما على مدرستنا للتفتيش — أيام كنت أطلب العلم — وكانت الحصة حصة طبيعة ، وكان أن أخطأ المدرس فقدمنى اليه كأنموذج (للفصل) الذى كنت الأول فيه ، وقد نسى المسكين أنى كنت وعلمه على طرفى نقيض . . . فسألنى العمروسى بك سؤالا أذكر أنى اندفعت بسرعة فى الرد عليه ، فابتسم وقال : أنت تحسن الالقاء ولكنك لا تحسن علم الطبيعة ، فدع هذا للخطب والمظاهرات ، وأبى أن يتركنى حتى يفهمنى الجواب ، وفى ذلك من العبرة والعظة ما فيه لقوم يتصدرون للتعليم ؟ المحرر

إن للشرق لمجداً ، وإن للشرق لحضارة ، يا لهما من مجد وحضارة ، ولكنهما تحت أجنحة التاريخ لم ترتفع عنهما ، وفى طيات الماضى لم تتفتح دونهما . ومن للشرق غير أبناء الشرق ، يبعث تراثه ، ويباهى بفخاره حتى يشع نوره ، ويفيض ينبوعه ، فيكون كما كان فى الماضى قروناً طويلة ، وحيث لم يك شىء وكان هو كل شىء : مبعث النور والعرفان ، ومنبع الفيض على الانسانية والاحسان . وهل إلى ذلك من سبيل قبل أن يتعرف أبناؤه بعضهم بعضاً تعرف أفراد الأسرة الواحدة ، فيوحدوا الجهود ، ويسيروا معاً إلى الغاية ؟ وهل من وسيلة إلى التعارف بغير السياحة والرحلة ، يكون فيهما اللقاء وبث الشكوى والألم والتشاور فى المنجاة وكيف يكون تحقيق الأمل ؟ إنى لأدين بها كوسيلة تنعدم بدونها الغاية وتقل المعرفة ، وتضيع ثمرة الاشتراك والتعاون ، وإنى لمحدثكم :

أتاحت لى الظروف — وكم لها من حسنات — أن أرحل إلى بلاد مراكش (المغرب الأقصى) سنة ١٩٢٢ وأنا إذ ذاك خالى الوفاض من كل معرفة بها ومعلومات عنها ، وكانت هذه أول

رحلة لى إلى غير الأقطار الأوربية ، فتعرفت برجالاتها ، ووقفت بالمعاشرة على عاداتها ، ومدنيتها وأخلاقها ، وأبصرت الأشياء هنالك مرأى العين لا بالقراءة ولا بالسماع ، فبلغ منى العجب والدهشة بمدينة « فاس » العاصمة القديمة لتلك البلاد ــ ذات التقديس والاجلال من بنيها ــ مبلغاً لم يصله عجب قبله .

رأيت مدينة قائمة فى خور من الأرض على شكل مخروط ، تنخفض قرارته عن أطرافه نحو الخمسين متراً ، وفى تلك القرارة مسجد بانيها مولاى إدريس بن إدريس ، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب على عهد هارون الرشيد ، وإلى ذلك المسجد تنتهي جميع شوارعها منحدرة من جميع جهاتها ، ولا يكاد أكبر شارع بها يتسع إلا لراكب وراجل . ومع ذلك شهدت فى بيوتها من الفن العربى والحضارة الاسلامية ما جعلني أعود بعقيدة جديدة عن عظمة آبائنا ومجد أسلافنا ، فألقى لذلك ثلاث محاضرات بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، نشرت بمجلة الرابطة الشرقية فى العام الماضى ، وأنا مغتبط كل الاغتباط بتلك الرحلة السعيدة التى علمتنى ما لم أكن أعلم ، وما لم يك فى مقدورى بدونها أن أعلم ، وجعلت لى معارف وإخواناً أذكر منهم على سبيل التمثيل أبا مثواى ، السيد الطيب المقرى ، نجل صاحب الدولة الحاج محمد المقرى الصدر الأعظم لتلك البلاد ، وهو الآن حاكم مدينة الدار البيضاء . وإنى لشيق أن أرى من حضراتهم في مصر زائراً أرد فى شخصه بعض ما نالني من حفاوة وإكرام فى تلك البلاد التى أصبحت منذ الرحلة معنياً بأمرها ، شغوفاً بالوقوف على أحوالها ، متمنياً وباحثاً عن خدمة أؤديها لها ، أو لمجدنا العام بالاشتراك مع أهلها .

عزمت وأنا هناك عزمة ، لا رجعة عندى فيها ولا حل لى منها ، أن أواصل رحلاتى إلى الأقطار الشرقية ، فقصدت فى السنة التالية إلى لبنان وجلت فى ربوعه ، فأدركت كم من منافع يجنيها من مصر ، ويجنيها مصر منه ، لو عمل أبناؤهما على شد أواصر القربى ، وتنظيم تبادل المنافع ، حتى لكأن الله جلت قدرته أودع فى كلا القطرين ما هو تكملة لأخيه جواً ونتاجاً . ثم يممت دمشق فاذا هى صفحة فخار للدولة الأموية تريد من ينفض عنها غبارها ويجلو صدأها . وفى زيارتى للمسجد الأموى بها تذكرت قول المأمون وقد زاره مع جمع من عظماء مملكته سألهم محاسنه ، فكل ذهب إلى جهة من الحسن لم تصب منه مقنعاً ، فقال هو: « إن الذى يعجبنى منه أنه بني على غير مثال عرف »

وحقاً لقد بلغ العرب فى فن العمارة والزخرفة هنا وهنا درجة غطت على ما كان لغيرهم ، وقصرت عليهم فناً طبع بطابعهم ، وعرف باسمهم ، أخضعوا فيه الزخرفة لغير التصوير ، فأتوا بالعجب العجاب . وقد ألقيت عن هذين القطرين جملة محاضرات وضحتها بالفانوس السحرى كما فعلت آنفاً عن المغرب .

وكذلك رحلت إلى فلسطين ، فطفت مشهورات نواحيها ، وتأملت محاسن مسجدها مهبط

الوحي فى القديم ، ومحل التقديس من جميع الأديان ، وعدت فحاضرت عنها كما حاضرت عن سوريا ولبنان ، وفى نيتى إن شاء الله أن أواصل الرحلة — التى أراها الوسيلة للتعاون ، فى الوقت الذى أرى التعاون فيه الأساس الصحيح لبناء رقينا وإقامة صرح عظمتنا — فأزور بغداد عاصمة دولة الرشيد التى بلغ اتساعها على عهده مبلغاً جعله يقول ذات يوم لسحابة أقلعت ولم تمطر بساحته : « أمطرى حيث شئت يأتنى خراجك » كما يقول الانكليز عن ملكهم الآن « ملك لا تغيب عنه الشمس » ومن بعد بغداد أزور إيران، فالأفغان ،فالهند فالسند ، فما وراء النهر فالتركستان ، حتى أكمل مملكة الرشيد من الشرق ، كما بدأت بأولها من الغرب ، وأنشر عن كل ذلك من المعلومات ما يحفز الهمم ، ويحبب إلى النفوس إحياء الدارس من مجد الأول ، لعلى بذلك أكون قد قضيت لهم حقاً ، وأديت عنا واجبا .

تلك هى الرحلة وهذا رأيى فيها ، وبصفتى من رجال التربية والتعليم أقول : إن العلم الصحيح الحى الطريف ، ليس فى الكتب ولا فى المذكرات ، وإنما هو فى الحياة نفسها وفى التجربة والمعالجة ، فعلم الكتب وحده علم عقيم لا يثقف العقول ، ولا يهذب النفوس ، ولا يعد للمغامرة فى الحياة ، وإنما يفيد إذا جاء متمماً لعمل الشخص نفسه للمراجعة والتحقيق ، ما مثل من يعتقد أن الكتب هي كل شيء في التعلم ، إلا كمثل من يعتقد أن الماء هو كل شيء فى الزراعة ، وماذا يغنى الماء إذا هطل على أرض لم يشقها محراث ، ولم تقلبها يد ، ولم تضربها فاس . أقول ذلك عن الكتب ، وأقوله عن تجربة ويقين ، بعد السياحات الطويلة التى قمت بها فى السنوات الأخيرة فى الشرق ، فانى رأيت فرقا هائلا بين ما علمته عن هذه البلاد بالمشاهدة والملابسة ، وبين ما كان عالقاً بذهني عنها من كتب الجغرافيا والتاريخ .

على أن الرحلة فى ذاتها مفخرة من مفاخر الآباء والأجداد ، فكم جابوا من قفار ، وقطعوا من بحار ، وتعرضوا لأخطار ، وتركوا فى ذلك من آثار ، فى وقت كان السفر فيه قطعة من عذاب ، ليس له من مركب سوى ظهور الأبل وألواح الشراع ، وفى كليهما وما هما فيه من قفر أو بحر ، التعب المضنى والخوف المردى والبطء البطىء الذى تقصر فيه الأعمار . وتنتهى دونه الآجال ... أما أنهم — كان الله لهم — لو شاهدوا ما نشاهده الآن من تسخير البخار والماء ، والكهرباء والهواء ، مع ما يحوط ذلك من ترف ونعيم ، ومخاطبة على البعد بالسلك والسديم (اللاسلكى) لقضوا أعمارهم على الأرض مشيا فى مناكبها ، وتقطاعاً لنواحيها وجوانبها ، فما بالنا لا نتشبه فى ذلك بهم ، ونفعل مثل ما فعلوا فى رحلهم وأسفارهم كما يفعل الأفذاذ القليلون منا : أمثال شيخ العروبة ، صاحب السعادة أحمد زكى باشا ، وصاحب العزة محمد بك البتنونى ، وغيرهما ممن نسأل الله أن يبارك لنا فى مجهودهم ، ويكثر فينا من أمثالهم إنه سميع مجيب ؟

أحمد فهمى العمروسى

الشخصيات التى أقدرها ..
والكتب التى أتوفر عليها

للدكتور احمد ضيف

أستاذ الادب العربى بمدرسة المعلمين العليا



(الدكتور أحمد ضيف)

الأستاذ الدكتور احمد ضيف عالم محقق وبحاثة يتميز أسلوبه فى البحث بأنه جماع التفكير المتزن ، والتقدير الهادىء العميق ... كما يتميز أسلوبه فى الكتابة بأنه من ذلك الطراز الذى يفصح عن الاناقة والجمال والشباب والقوة ... ولقد استطاع الاستاذ الدكتور ضيف أن يكون له من هذين الاسلوبين شخصية يقدرها العلماء لأنها شخصية العالم الجهبذ ، ويقدرها المنشئون لأنها شخصية الكاتب الفخم العبارة الرائع الأداء ... على أن الاستاذ الجليل لم يكن من أولئك الذين تسبق شهرتهم أقدارهم ، بما يفشو حوالبهم من طنين ، وإنما هو من تلك الزمرة القليلة التى تعيش عيش العلماء حقاً .. هدوء وعدم اكتراث لظواهر الذيوع الزائف ...

ولقد رأت « المعرفة » أن تخرج بالاستاذ الجليل عن عزلته البعيدة عن مواطن الصحف ، وهى عزلة نرجو أن يكون نتاجها سفراً كذلك السفر الممتع الذى وضعه عن « بلاغة العرب فى الاندلس » . سألته أن يكتب عن « الشخصيات التى يقدرها والكتب التى يعنى بدراستها فكان أن تفضل بذلك المقال القيم الذى جمع إلى طرافة البحث جمال التصوير ودقة التفكير ؟

المحرر

قال الدكتور : أحب أن أقرأ كل شيء لأكون من أهل الثقافة ، ولأحيط بتاريخ

الفكر الانسانى ، فأقرأ التاريخ العام والادب ، والاجتماع والفلسفة ، وتاريخ العلوم والفنون ، وأحب أن أقرأ كل شىء به مسحة من الجمال ، أو ما نسميه بلغة اليوم : « الفن » وأنت جد عارف أن الفن لا يطلق على التصوير والنحت والموسيقى والشعر لا غير ، بل يطلق على كل شىء من: قول أو فعل يتمشى فيه الجمال.

وأنا من الذين لا يتقيدون بكتاب واحد ، ولا بكاتب واحد ، ولا بموضوع واحد ، ولكنى لا أحب أن أقرأ ما يثير فى النفس ضعفا ، أو حقداً ، أو ذعراً ، أو خوفا ، أو قسوة ، أو ظلما ، لأنى ضعيف الفؤاد ، مبتئس النفس ، أحب الهدوء ، والسكينة ، والشفقة والرحمة ، ثم أحب أن أجد فيما أقرأ صور الحياة والانسان ... لذلك أميل إلى قراءة التاريخ .

وأحب أن أرى فيما أقرأ صور النفوس الانسانية ، وما بها من أخلاق ، وعادات ، وضعف ، وقوة ، وطيش ، وحزم ، وحب ، و بغض ، ولهذا أحب الشعر والقصص ، وأنواع الكتابة الأدبية ، ثم أحب أن يصل المعنى الخفى إلى نفسى ، لا أن أدفع نفسى إلى فهمه ، ولذلك أحب قراءة الفنانين ، أو البلغاء الذين يقذفون بمعانيهم إلى الافئدة . .

ولا أذكر أنى أخذت عن أستاذ واحد رأيا قاد فكرى ، ولا أنى قرأت كتابا معيناً ، أو كاتبا خاصا وسرت وراء أسلوبه فى البحث ، أو تقويم الفكر ، أو نظم الكلام ... على أن أستاذاً واحداً صبغنى بصبغته ، وسيرنى بإرادته ، ذلك هو فكرى القلق الذى لا يهدأ له روع ، ولا يسكن له جأش ، والذى يثب بى فى ظلمات الحياة ليكشف عن سر من أسرارها ، ولكنه كثيرا ما يعود بالخسران ! غير أنه دائم الوثوب ، لعله يرجع ظافرا ، فهو وحده أستاذى ومعلمى ، ولا أعرف لغيره أثرا فى نفسي ، وهو الذى دفع بى إلى حب الاستطلاع ، وإلى الاستفادة من القراءة أيا كان نوعها ، وعلمنى أن الفكر الانسانى كسلسلة متصل أولها بآخرها ، كلما انتهيت منها رجعت إلى أولها ، وأن الجديد صورة أخرى للقديم ، وأن الأفكار والمعانى كالانسان ، وجدت منذ وجد الكون ، تعاد وتت[illegible] ، ولكن بغير أزيائها ، لهذا لا تكاد تجد للبراعة أو الابتكار أثرا فى غير الاساليب والافتنان فى التعبير ، لأن حوادث الانسانية لم تتغير ، فمنذ وجد الانسان وهو يعشق ، ويهجر ، ويسعد ، ويشقى ، ويشكو ، ويشكر . ولكن الذى يتغير هو كيف يعبر عن عشقه ، وكيف يشعر بالشقاء والسعادة ، وكيف يكون خيالا ؟ ؟ لذلك كان للأسلوب البليغ منزلة ، وأى منزلة . . . .

مع هذا : فلبعض الكتب والكتاب منزلة خاصة فى نفسى ... ففى لغتنا العربية أهوى قراءة كتاب « الأغانى » لأنه : « بحر عباب لا يقطعه الخليل بأسباب ولا أوتاد » فى كل ناحية من نواحيه صورة من صور العرب فى البادية والحاضرة ، وفى كل صفحة من صفحاته

(البقية على الصفحة رقم ١٠٤٦)

المنطق وطرائق التفكير

من كتاب «أصول القضاء وطرائق التقاضي» تأليف الاستاذ فابر يحيت

تعريب القانوني الضليع

الاستاذ عباس فضلي

الاستاذ عباس فضلي ، محدره نابه ، اشتغل زمنا غير يسير في سلك القضاء ، ولكن أبت عليه نفسه إلا أن يسمو بالاعمال الحرة ، فترك وظيفته ، والتحق بزملائه المحامين الاجلاء ، حتى يبرهن لشبابنا على أن العمل يسمو بالعاملين .

وقد عرب بعض كتب التشريع — لم تطبع بعد — وآثرنا منها بذلك الفصل الممتع .

و «المعرفة» تشكر له ما أتحف به قراءها وكـ

المحرر



(الاستاذ عباس فضلي)

المنطق هو فن تصور الاشياء على حقيقتها ، وهو يشتمل في الحقيقة على أربعة فروع منفصلة : فن التفكير — فن الاثبات — فن التصور — فن الحكم .

وهنا نرى أن من ألزم ما يجب أن نشير اليه ، هو أن تطبيق علم المنطق في المسائل القضائية لا يسير دائماً على مقتضى قواعد المعقول البحتة ، بل تقيده قواعد معينة سنها الشارع وارتضاها .

وفن التفكير في مسائل القضاء : هو القواعد التي يستخلصها المنطق من القوانين الوضعية والتي ينحصر بها مجرى توجيه الفكر — وما كياسة القاضي وحذقه إلا أثراً من آثار قوة الملاحظة وتمحيص الفكرة ودراسة أوراق الدعوى — وهذا شأن كبار المحققين ومشاهير رؤساء محاكم الجنايات .

والاعتقاد بأن هاتين الصفتين هما من المواهب الطبيعية ليس مما يوافق الحقيقة وعين الصواب فى كل حال ، فأنه وإن صدق أن بعض الأشخاص توجد فيهم هاتان الصفتان، إلا أنه من المسلم به أن الواجب لاستكمالهما أن يعمل الانسان على تنميتهما ، والمنطق هو الذى يوصل إلى اكتشاف الحقيقة ، وإذا ماطبق هذا العلم فى صناعة القضاء سمى منطق الأحكام ، ويقال لمن اتصف به: إنه رجل فيصل فاروق ، يميز بين الحق والباطل .

وقد قال «استوارت مل » : وفى الحق ليس هناك فن للملاحظة ، وقد تكون هناك قواعد لها ، ولكن هذه القواعد شأنها شأن الاختراع ، وهى مجرد إرشادات تعد العقول للملاحظة والابداع ، فهى لا تعلم الناس خلق الأشياء ، وإنما تخلق فيهم القدرة على ذلك ، فهى صناعة تقوية الأعضاء وليست صناعة استعمالها، ومن هنا يتضح أنه يجب فى كل قاض أن يكون مفكراً ، ومعنى التفكير ، هو أنه يستجمع فى رأسه أفكاراً ، أو بطريقة أخرى ، أن يستعمل عقله فى تدبر ما حوله . ومن خواص التفكير ، العلم ، ومعنى العلم ، هو أن تكون الخواطر التى تعرض للانسان متفقة مع الواقع ، أعنى الحقيقة الراهنة عن النزاع المطلوب حله ... والخواطر وليدة التأمل أو كما قال بحق « بوسويه » : إن الفكرة هى التى تصور لنا حقيقة الشىء الذى فى المخيلة —— فالأفكار إذن هى نتيجة تشغيل العقل ، ومن ثم يجب علينا أن نعرف طريقة التفكير وليس الذكاء Intelligence كما نفهمه ، أن يعرف الانسان نفسه ، وإنما هو قوة الفهم وتفتق القريحة والقدرة على سياغة الأراء ، وبالأخص الآراء القانونية، وفى الحق أن كل علم من العلوم الدنيوية أساسه الملاحظة ، وهى قوة النظر إلى الأشياء منفصلة بعد تجريدها مما هى ملتصقة به فى الواقع ، وتدبر الأوصاف منفصلة عن الأشياء المتصفة بها ، ومن ثم نشأت الآراء المجردة، ولا يوجد الشىء مجرداً إلا فى المخيلة، وهذا ما عناه علماء المنطق فى قولهم « فهمك الشىء فرع عن تصوره » (١) ولا يوجد فى المخيلة إلا المعنويات كما لا يوجد فى عالم المادة والواقع غير الماديات . وقد لوحظ على الفقهاء والمشرعين أنهم كانوا أحد رجلين : رجل يعير المعنويات كل اهتمامه صارفا النظر عما حوله من الوقائع المادية ، أو رجل غلبت عليه المادة فلم يترك لعالم المعقول شيئاً ، وكلا الفريقين لا يصح اتباعه لما فى مذهب الفريق الأول من المغالاة وما يشوب مذهب الفريق الثانى من القصور، والأولى أن يتخذ القاضى طريقا وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء(٢)

---

(١) «وصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال» .

(٢) «لا يمكن المفتى ولا الحاكم من الفتيا والحكم بالحق الا بنوعين من الفهم : أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والامارات والعلامات حتى يحيط به علما . والنوع الثانى فهم الواجب فى الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به فى كتابه ولسان رسوله فى هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر الخ» (أعلام الموقعين جزء أول ص ١٢١)

وفى الحق يجب أن يبدأ بتدبر المسائل ، ثم يعقب ذلك بالبحث فى الحقوق المترتبة عليها ، ويلى التجرد المقارنة ، وهى : بحث العلاقات والصلات التى قد توجد بين شيئين أو أكثر ، أو بعبارة أخرى : هى فى الجملة الملاحظة المتكررة ، وهى بذلك تستدرج المفكر إلى البحث عن العوامل المشتركة ، وهو عمل يشمله التخيل ، فالتعميم من شأنه :

أولا أن يبسط العلم بأن يمكن المرء من أن يجمع تحت قاعدة واحدة عدداً من الآراء المختلفة .

ثانياً : يسهل على كل إنسان استعمال لغته ، وإلا لوجب استعمال اسم خاص لكل شيء على انفراد .

ثالثاً : ربط العلوم، لأنه يساعد على فهم الأشياء بارجاعها إلى أصول عامة .

ومن ملكة التعميم نشأت مبادىء الاختراع وبوادر النجاح . والفكرة العامة هى كل فكرة تنطبق على عدد غير معين من الاشياء ، وتؤلف بينها بالجمع بين أوجه الشبه فيها، وغض النظر عما فيها من مناحى الخلاف ... وفى الغالب، هى ملكة تكتسب بالتربية وتعلم اللغة ، أما فى المسائل القانونية فتكتسب بمباشرة التحقيق والتصور والمقارنة، وهى من ألزم الضروريات فى هذه الشئون، لأنها هى المنشئة للاصول والمبادىء التى منها يبتدىء، وعليها يرتكز التمحيص والتدليل ، أو بصورة أوضح، الأصل أو القاعدة هى النقطة الثابتة التى تربط بها أول حلقة من السلسلة. فأصول القانون المدنى هي : دواعى وضع القوانين، ومعرفة الأدلة الحقيقية التى يجب أن يسترشد بها المشرع فى منح الحقوق للأفراد وإلزامهم بالواجبات ... والأدوار التى يجب أن يمر بها العقل — اذا ما أريد فهم أمر من الأمور الاربعة : الاول التصور ، والثانى التدليل ، والثالث التمحيص ، والرابع الحكم . ومعنى التصور: ايجاد فكرة مبدئية ، ثم التعبير عن هذه الفكرة بعبارات أو كلمات ، وهذه الملكة يجب أن تتوفر فى القاضى ، فقد قال « بنثام » : (يجب فى القاضى أن يكون رجل الدنيا وواحدها ، وأن لا يكون غريباً عن العلوم الفلسفية العالية ، ويتحتم عليه على الأقل أن يلم الماما تاماً بالانسان من حيث طبعة خلقه وأخلاقه ، وهو شىء لا يدرك إلى وقتنا هذا فى مدارس الحقوق)

وإذا كان حتما على القاضى أن يكون كثير العمل ، وكان العمل النافع لا يتفق مع تشتيت الذهن الذى تستلزمه مشاغل الحياة المتواصلة ، فانه يجب على القاضى أن لا يعيش خارج المجتمع، ويتجرد منه كلية ، لأنه من الضرورى أن يعرف أحواله حتى يمكنه تصور ما فيه ، والحكم حكما صحيحاً على أفراده ، وبعبارة أخرى: إن من الخطر أن يولى القضاء رجل نظرى محض ، فلن يتسنى للقاضى أن يتبين حقيقة الامور ، ويحلل المسائل تحليلا دقيقاً يسبر به غورها ، ويطلع منه على خبيئتها ، اذا كان بمعزل عن الناس . بل يجب عليه أن يعرف

العوامل الخفية التي يضطرب لها نظام المجتمع، وما يمثل فيه من روايات، وما للمهزلة الانسانية من دوافع ولدغات، بل يجب عليه فوق ذلك كله أن يتعظ بها ويتدبرها .

فلا بد للمرء أن يكابد تجاريب الحياة حتى يمكنه أن يحكم بين الناس، اذ الكمال ما كان يوما من الايام شأن هذا العالم، ولا كان لقاعدة أن تسرى فيه على اطلاقها، وما القاضى الا بشر يجوز عليه ما يجوز على سائر الناس، وهو وإن كان من الواجب عليه أن يحيط علماً بالقانون بأكثر مما تحمله الطاقة، إلا أنه من الضرورى أيضاً أن يكون على علم بالآراء الاجتماعية والاقتصادية التي لها من بعض الوجوه سلطان على العقل الانسانى، كما أن عليه أن يتفادى فى معاملاته التظاهر باستعمال سلطته، إذا ما تواجد خارج المحكمة، وأن لا يتناسى حقوق القاضى وسلطته اذا ما جلس مجلس القضاء ؟

عباس فضلى

الشخصيات التى أقدرها

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٤٢)

فكرة مبثوثة، أو مثل مضروب، أو كلمة بليغة، أو قصة طريفة، أو عبارة ظريفة، أو بيت شعر تجول فيه النفس جولان البستانى بين الأزاهير، فهو موسوعة أدبية، ودائرة معارف لا نظير لها فى آداب الأمم الأخرى على ما وصل اليه علمى ... هذا الى أسلوبه السلس الطلى وعباراته الخالصة من شائبة العجمة، والى ما به من الحوادث المتنوعة : فى التاريخ، والادب، والمجون، وتراجم الشعراء والأمراء والملوك والخلفاء، فهو فى نظرى من أفضل وأمتع ما كتب فى الادب العربى .

ويعجبنى من كتاب الفرنجة الذين أعرفهم « أناتول فرانس » ذلك الكاتب الفرنسى المعروف باطلاعه الواسع الذى ملأ صوته عالم الادب، وملأ كتبه بفلسفة الحياة، وصور العقول الانسانية فى جميع أحوالها، والنفوس على اختلاف نزعاتها، وذكر فيها : العالم، والجاهل والمؤمن، والملحد، والصالح، والطالح، والرجل العفيف، والمرأة البغى، وعلم الاوائل والأواخر : كل ذلك فى نوع من الفكاهة العلمية، والتهكم الادبى، الذى هو ميزة من مزاياه ... هذا الى رقة أسلوبه، وسبك عباراته، وبلوغه الذروة القصوى فى الافتنان .

ولقد يكفى الاديب الجشع أن يقرأ ما كتب « اناتول فرانس » ليسد أطماعه الادبية كلها ... ؟

احمد ضيف

نظرات فى التفاؤل والتشاؤم

للدكتور منصور فهمى

من المسائل العويصة التى حار فيها الناس منذ القدم مسألة : التفاؤل والتشاؤم ولكل فيهما رأى وعقيدة يحاول تدعيم أحدهما ، أو نقض ثانيهما .

وهى على كل حال مسألة ما تزال مشكلة الكون ، وهى لهذا جديدة دائماً ، مهما تناولها العلماء بالبحث والتمحيص .

وقد رأينا أن نقصد الدكتور منصور فهمى ، استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية ، وأحد أركانها العتيدة ، لسؤاله عن رأيه فى ذلك ، فكان أن أجاب بما نثبته فيما يأتى ؟

المحرر



(الدكتور منصور فهمى)

س : — أذكر أنى قرأت لكم رأياً فى التفاؤل والتشاؤم ، وأذكر أن هذا الرأى كان نتيجة حوار حدث بينكم و بين المرحوم سعد زغلول باشا ، وأذكر أنكم فى هذا الحوار قد ناصرتم فكرة التفاؤل ، فما هى حجتكم فى هذا ؟ وهل لنا أن نفسر التفاؤل — فى بعض الاحيان — بأنه الاستسلام المطلق للقضاء والقدر ، أو أنه التواكل وما إليه مما يثبط العزائم أحياناً ، ويحد من سلطان الارادة ؟

ج — أظن أن المقال الذى تشير اليه ، والذى اطلعت فيه على رأيي فى مسألة التفاؤل كان فى جريدة الاهرام ، عند ما كتبت فيها مقالا أرثى فيه المرحوم سعد زغلول باشا ، وأشرت فى هذا المقال إلى ماجرى بينى و بينه فى موضوع التفاؤل عند ما سألنى — رحمة الله عليه — عما إذا كنت من أنصار التفاؤل او من المتشائمين ، وقلت له وقتئذ : إنى من أنصار التفاؤل ، و بدا لى حينذاك أنه كان هو الآخر من المتفائلين . . وما زلت على اعتقادى فى أن الانسان ينبغى عليه أن يكون متفائلا ، يستقبل الوجود بالبشر ، وينتظر من الحياة خيراً كثيراً ... ذلك لأن الذى يتشاءم بأخلاص ، ويرى أن ليس فى الحياة ما يستوجب البقاء لها

وما يهون على النفس ما فيها من عناء ، وما يسهل على الكائن الحى أن يستسيغ مرارتها . و إذا كان الانسان لا يرى فى الحياة إلا تلك النواحى السوداء ، ثم يعتقد أنها ستظل على لونها القاتم وطعمها المر — عندئذ إذا أخلص لنفسه فما عليه إلا أن ينتحر . . .

و إنه ليخيل إلى أن جماعة المتشائمين من الفلاسفة أمثال : « شوبنهاور » و « هابتمان » وغيرهما لم يكونوا منطقيين مع أنفسهم عندما اعتقدوا بسوء الحياة ولم يعملوا على التخلص منها.

أفهم أن التشاؤم قد يرضى عنه ، وقد يكون مفيداً ومقبولا إذا كان الغرض منه أن يحفز العزائم إلى الخروج من حالة سيئة إلى حالة حسنة ، لكن : إذا كان التشاؤم يملأ النفس حتى ييئسها من كل خير فى الحياة — فلا أفهم المتشائم على هذه الحالة يخلص مع نفسه وهو على قيد الحياة : يستقبلها وتستقبله ، و يعيش لها وتبسم له .

لست أنكر أن فى الحياة جهات سوداء مخيفة ، وتكفى نظرة واحدة إلى مافى المستشفيات من ضروب الأمراض وآلامها ، ونظرة ثانية إلى مافى الحياة الاجتماعية من بؤس ، ونظرة ثالثة إلى ما فى نفس الانسان من أحقاد وضغائن ، ونظرة أخرى إلى ما بين الناس من تقاتل وتناحر ، و إلى ما تكنه الأرض فى جوفها من أسباب المصائب كالبراكين والزلازل ، و إلى ما تحتفظ به السماء من أسباب الهلع والشقاء — أقول يكفى أن ننظر إلى ذلك لنجد أن الحياة تنطوى على جانب ليس بالقليل من الشر ، ولكنى أفهم أن هذا الجانب يحفز الانسان — بما فيه من عقل وعزيمة وأمل — لاقصاء هذه الشرور والتغلب عليها والتسلط على الأسباب التى يمكن أن تحول بينه وبين أذاها ، ومن هذه الناحية يكون ما فى الحياة من شر ليس بدافع لنا إلى اليأس والتشاؤم القاتل ، و إنما إلى العمل والمقاومة والجهود المرجوة والآمال الصالحة ، و إذا كان الشر فيه ما يحفزنا الى الخير ، فان مواضع التشاؤم تعود بنا أحياناً الى مواضع التفاؤل.

واذا صح للمتشائمين أن ينظروا الى الجهة السيئة المظلمة من الحياة فان فى الحياة أيضاً الكثير من جهاتها المفرحة ، فعلى الأرض المبهج المفرح من مناظرها وضروب جمالها ، وفى السماء ما قد تنشرح الصدور به وتقر العيون لجماله و بهجته . واذا كان الناس يتنافرون أحياناً ، ففى الناس مثل من التضامن ، واذا كانوا يتحاربون فكثيراً ما أسعدهم السلام ، فلم نقصر نظراتنا على الجهات المظلمة من الحياة ، ونولى وجهنا عن الجهات المشرقة فيها ؟

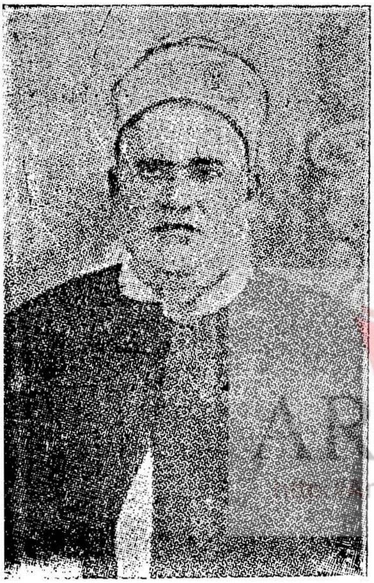
إن المتشائم الذى يريد ألا يرى الا الظلام ، يصح أن يقول له غيره : إن فى الحياة نوراً ... واذا كان هنالك من الأسباب ما يدعو بعض الناس الى التشاؤم : كالمرض ، وقلة الحيلة ، والفقر ، وما الى ذلك مما يحض على التشاؤم — فان الحياة لم يعدم فيها العدل والصحة والعافية والثروة والاكتفاء ... فلماذا نؤثر الظلمة على النور ولا نوجه نظراتنا الى الضوء وحده لنكون من المتفائلين ؟ . . . ؟

ع ...

مع حسان فلسطين :

الشعر كما أريد أن يكون ...

حديث هام للأستاذ أبي الاقبال اليعقوبي



(الأستاذ أبو الاقبال اليعقوبي)

كان بين ضيوف القاهرة من شهرين الأستاذ أبو الاقبال سليم اليعقوبي الشاعر الفلسطيني أو « حسان فلسطين » كما يلقبه مواطنوه . . وكانت أيام إقامته في القاهرة مثار جلسات شيقة طالما تنادر خلالها جمهرة من أصدقاء «المعرفة» ومعهم الضيف الكريم في دار « المعرفة » بأشتات من الأحاديث الطريفة التي كانت عذوبتها وروعتها فوق ما يستطيع البيان أن يؤديه ، وما في ذلك من ريب . فان الاستاذ اليعقوبي أحد أولئك القلائل من رجالات الشرق الذين أتيحت لهم أسباب التجوال في شتى ممالكه ، وهو إلى ذلك صورة تجتمع فيها ألوان يتميز بعضها عن بعض ، فقد كان طالباً في الأزهر ، ثم كان عالماً من خريجيه ، ثم كان أحد الدعاة الذين عصفت بهم أعاصير السياسة حتى دفعت به إلى « مالطة » ليأخذ نصيبه من الاعتقال أيام الحرب ، ثم كان إلى ذلك أحد الذين وضعت على كواهلهم بعض مناصب القضاء في الآستانة على عهد الدولة العلية . . ثم أصارته الحوادث في منصب الافتاء بمدينة « يافا » حتى إذا ما انصرفت فلسطين عن وضعها السياسي السابق واستحالت إلى دولة يحدها نظام الانتداب كان من حظ الأستاذ اليعقوبي ،أن تغربه « الظروف » عن منصبه ، وأن ينتهي به الأمر إلى أن يكون مدرساً في مدرسة دينية ، قانعاً من نعمة الحياة بهذه المتعة التي يرتضيها « الشاعر » من خلجات نفسه ، راضياً أن يكون شعره خير غذاء لحواسه جميعاً . .

وليس من شك في أن الأستاذ اليعقوبي جدير بأن يلقبه مواطنوه « بحسان فلسطين » فان لشعره قوة تفيض بسحرها على النفس ، وإن فيه قوة تتعهد القلوب الضعيفة بأسباب الحياة

فاذا هى جريئة ضافية الجرأة ، و إذا هى رافعة على عوامل الضعف معاول التمرد حتى تقوضها وتمحوها .. ولقد يكون من حق « المعرفة » أن تذيع لقرائها حياة « حسان فلسطين » حتى يتلمسوا ما فيها من ظواهر النبل ، وحتى يلموا إلى ذلك بناحية يستوعبون فيها صورة رجل من رجال الشرق النابهين ، والحق أن هذه الحياة جديرة بالذيوع .

وبعد ، فعسى أن يكون فى ذلك الحديث الذى تفضل به الأستاذ اليعقوبى على أحد محررى « المعرفة » ما يشيع من ألوان تلك الحياة الرائعة.

***

الشعر كما أريد أن يكون :

قال الاستاذ اليعقوبى : « لا أحب فى الشعر هذه الجوانب التى يتوفر بها عليه عديد من الشعراء .. جوانب الرثاء والمديح واستجداء الأكف . فان شعر الرثاء متى خرجنا به إلى موطن الحقيقة ألفيناه عليه مسحة الجمود ، كما أن شعر المديح يبدو لمن يستوعبه أنه قطع متراصة من الحجر الصلد ... وليس ذلك لأنى أريد أن يبيد شعر الرثاء أو المديح ، وإنما أرجو من وراء تصويرى لتلك الظاهرة أن يدرك الشعراء بأن خيالهم أسمى من أن يتتبع الأحياء والأموات خطوة خطوة ، وأن عليهم ألا يسجلوا من هذه الأسماء فى قصائدهم إلا من احتمل اسمه وجهة من الخير ، أو صنيعا يستحق الاطراء عليه حياً ، ويستحق البكاء من أجله ميتاً .

لقد ابتذل الشعراء خيالهم إلى حد شنيع ، فالكثيرون منهم قد أوقفوا ذلك الخيال على متابعة الناس ، سواء منهم من تتصل حياته بالجماعة ، أو من لا تعرف الجماعة من أمره شيئاً . . وفى يقينى أن هذه الحالة تباعد عن الشعر سموه وجلاله .

أما شعر « الاستجداء » فأحمد الله على أنه لم يكن حتى اليوم بذى خطر ، ولكنه على أى حال قد خرج إلى الضوء ، فهنالك حشد من الشعراء لا ترى لهم نتاجاً إلا حين تقع معه على . . مناسبة عامة تدعوهم إلى القول .. وفى هذه المناسبات طالما كد الشعراء قرائحهم حتى يصيبوا هناءة العيش ، ولكنهم لم يفطنوا إلى الحقيقة الخالصة الواضحة وهى أن الشعر لا تجدر له مواقف الرياء ، وأن هذه الظاهرة كانت بين العرب داعية تأخرهم فى تصوير الروح الاجتماعى تصويراً شعرياً دقيقاً » .

شاعر لا يعرف الهجو :

واستطرد الأستاذ اليعقوبى : « . . . لقد رأيت إذن أنى لا أقدر هذا الشعر الفج الذى تجرى به ألسنة الشعراء فى الأفراح والمآتم والمناسبات .. ولكنى لا أستطيع إلا أن أقول لك بأن هنالك رجالا لا محالة للشعر من أن يبعث بهم إلى الخلد . . هم أولئك الذين أسبغوا على أمتهم — مجتمعة — من أياديهم ما يمسح عنها أوضار الشقاء . .

وثمة ظاهرة أخرى فى الشعر العربى أرى من حق أن أفاخر — فى صددها — بأنها لم

تنفذ إلى خيالى ، ولم تجد لها بين جوانحى مكاناً . . تلك هى ظاهرة الهجو التى تدفع بالشاعر الى ان يشبع أخصامه بالكلم المقذع والتقريع المرير . . . لقد كانت هذه الظاهرة أشنع ما فى الشعر العربى من وجوه . . ولكن العصر الحديث قد بدأ يقوضها وان لم يقض عليها حتى اليوم . وإنى كشاعر أستطيع ان اقول لك بأن كلمة واحدة من كلمات الهجو لم يجر بها لسانى ولم يسطرها قلمى . .»

كيف أضع قصائدى ؟ :

« . . تسألنى كيف أضع قصائدى ؟ فأجيبك أنى أتخير هدأة الليل لأخلو فيها الى قلمى . . . فان صمت الليل البليغ كثيراً ما يجمع أشتات الحواس ، ويؤلف منها شعلة واحدة تسكب على الخيال ما يريده من ضوء . . . وترى انى الى ذلك أحب الحدائق حباً جماً ، لأنى حين اقتعد ذلك البساط السندسى وارسل الطرف فيما حوالى من زهر ودوح أستطيع أن أضع « قصيدتى » فى كثير من السهولة ، وأن أتخير ألفاظها من ذلك الوحى المزدحم فى رأسى . . . ذلك الوحى الذى دفعته « الطبيعة الفاتنة » الى دفعاً .

الشعراء الذين أقدرهم :

وسألت الاستاذ اليعقوبى : أى شاعر تقدر ؟ فأجاب :

« أقدر « البحترى » لأنه يجمع فى قصائده الى الكلم الفخم روعة الموضوع ودقة الوصف وقوة التصوير ، ولأنه الى ذلك شاعر غير مداح ، وغير متعنت ولا متطير ، فهو رصين رزين يعرف موقفه ويدرى كيف يقدر ما حواليه .

وأقدر « المتنبى » لأنه قد أربى فى شعر الحكم على الغاية ، ولأنه كان فى ذلك اللون من الشعر مجدداً لا يستطيع احد ان يقول بأن هناك من سبقه وكان فى مثل افتنانه وجزالته ، ولقد كان المتنبى شاعرا « متحضراً » يعنى ما يقول ويعرف كيف يقتنص فريسته فى يسر وإناة ، وحسبه تلك الميزة ليعرف الناس انه كان شاعراً فحلا ، وان شعره كان رائع الأثر قوى النفوذ .

وأرى قبل اختتام هذا الحديث ، أن أذكر لك إعجابى التام الذى لا يحد ، وتقديرى العميق الذى لا يوصف ، لمجلة « المعرفة » التى أرى بدايتها خيراً من نهايات . . فهل لك أن تسجل ذلك بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن معشر المثقفين (بفلسطين) الذين يتتبعونها بشغف وشوق شديدين ؟ ذلك ما أرجوك القيام به ، واستحلفك بالله أن تسجل البيتين الآتيين الذين قلتهما فى « المعرفة » على ملأ من رجال العروبة ، ومسمع من أهل العلم والفضل . . . . حينما سئلت عنها ، فارتجلت :

قيـل ما رأيك فى الصحف التى ... بعثت فى الشرق روح المعرفة ؟
قلت : صحف العـلم خير إنما ... خيرها والله عنـدى « المعرفة »

وبعد فتلك أمانة حملنيها الرجل ، ولعل الأستاذ الاسلامبولى ، لا يضرب بقلمه على البيتين كما هى عادته ، فى كل ثناء يوجه اليه ؟

على احمد عامر

٢ ـــ الشاعر الذى قتل وحرقت جثته

لسان الدين بن الخطيب

للاستاذ البحاثة الشيخ احمد الاسكندرى

أستاذ الأدب العربى فى دار العلوم

نشرنا فى العدد الماضى أول فصل كتبه الاستاذ الجليل الشيخ أحمد الاسكندرى عن لسان الدين بن الخطيب آخر شاعر نابغ تذكره الأندلس ، وقد تفضل الاستاذ على (المعرفة) بذلك الفصل الجديد ، وليس شك فى أنه كسابقه صورة من البحث الدقيق ، والدراسة المستفيضة ، والتحقيق الذى لا شائبة فيه . . المحرر

علمه وأدبه:

برع ابن الخطيب فى اكثر ما يتعلم فى زمنه من : علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله والعربية على اختلاف فنونها ، والتاريخ بنوعيه : تاريخ الدول ، وتراجم الرجال ، والطب ، والبيطرة ، والبيزرة ، والتصوف ، واستوفى عدة الاديب الكاتب الشاعر الراوى من الاحاطة والحفظ للكثير من الأمثال ، ومشهور المنظوم والمنثور ، وله فى كل ذلك مؤلفات ومنظومات وأراجيز تبلغ نحو ستين تأليفاً ، ومن أشهرها : « الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة » فى اثنى عشر سفراً ، و « طرفة العصر فى دولة بنى نصر » (بنى الأحمر) فى أسفار ثلاثة ، و « بستان الدول » فى أكثر من ثلاثين سفراً ، و « الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة » ، و « اليوسفى » فى صناعة الطب ، و « روضة التعريف بالحب الشريف » و « ألفية الاصول » فى أصول الفقه ـــ وقد شرحها المؤرخ ابن خلدون ـــ وديوان شعره ، وديوان رسائله .

١ ـــ كتاب الاحاطة:

قال المقرى ما ملخصه : « وأما كتاب الاحاطة فهو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب ، والمشارقة أشد إعجاباً به من المغاربة ، وأكثر لهجاً بذكره ، مع قلته فى هذه البلاد المشرقية ، اعتنى باختصاره الأديب الشهير : البدر البشتكى محمد بن ابراهيم ، وسماه « مركز الاحاطة

فى أدباء غرناطة » فى مجلدين ، وقد أتى فى هذا الكتاب على نشأة مدينة غرناطة وتاريخها منذ الفتح الاسلامى ، وتاريخ سلاطين الدولة النصرية من بنى الأحمر ومناقبهم ومفاخرهم ، ووصف قلعتهم ودار ملكهم (مدينة الحمراء) وسائر الكتاب فى تراجم من انتابها من أهل الفضل والرياسة ، على نحو تاريخ دمشق لابن عساكر ، إلا أن ابن الخطيب سلك فى كتابة أكثر التراجم طريقة الثعالبى من المشارقة فى كتابه « يتيمة الدهر » وطريقة أبى نصر الفتح بن خاقان فى « قلائد العقيان » و « المطمح » وابن بسام فى « الذخيرة » من المغاربة... من استعمال السجع والاستعارة والمبالغة فى الأوصاف المتشابهة فى أكثر التراجم ، وسنذكر طرفا من كتابته فيها عند مبحث الكتابة ، وهو فى الجملة كتاب بليغ العبارة ، لا نظير له فى بابه ، رسم به أوضح صورة للعلم والأدب والتاريخ فى أيام العرب الأخيرة بالأندلس ، وقد طبع منه جزءان فى مطبعة المؤيد بالقاهرة ، وكان سلطانه محمد الغنى بالله وقف نسخاً منه على مدارس الأندلس والمغرب ، ووقف المؤلف نسخة منه على الخانقاه الصوفية سعيد السعداء فى ثمانى مجلدات قبل إتمامها .

٢ ـ بستان الدول :

وأما بستان الدول فلم نطلع عليه ، وقد وصفه « ابن الخطيب » نفسه بقوله : و « بستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله ، قل أن شذ عنه فن من الفنون ، يشتمل على شجرات عشر : أولها « شجرة الوزارة » ثم « شجرة الكتابة » ثم « شجرة القضاء والصلاة » ثم « شجرة الشرطة والحسبة » ثم « شجرة العمل » ثم « شجرة الجهاد » وهى فرعان : أسطول ، وخيول ، ثم « شجرة ما يضطر باب الملك اليه من الأطباء والمنجمين والبيازرة والبياطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين ، ثم شجرة الرعايا . . . »

قال : « وتقسيم هذا كله غريب يرجع إلى شعب وأصول وجراثيم وعمد وقشر ولحاء وغصون وأوراق وزهرات مثمرة وغير مثمرة . . . . »

أقول لعله اقتبس هذا النظام فى التبويب من كتاب العقد الفريد ، إلا أن هذا فى الجواهر .

٣ ـ روضة التعريف بالحب الشريف :

وهو كتاب « المحبة » باعث محنته ، وسائق منيته ، وسبب تأليفه أنه ورد على الأندلس من مصر كتاب « ديوان الصبابة » فى مصارع العشاق وأخبارهم وأشعارهم « لابن أبى حنظلة » فأعجب به السلطان « محمد بن أبى الأحمر » واقترح على وزيره « لسان الدين » أن يعارضه بكتابة فى الحب ، فكأنه أنف أن يجعله فى الحب الحيوانى الشهوانى ، وآثر أن يجعله فى الحب الالهى ، وجعله شجرة وأرضاً ، فالشجرة المحبة ، والأرض النفوس التى تغرس فيها ، والأغصان أقسامها ، والأوراق حكاياتها ، والأزهار أشعارها ، والوصول إلى الله ثمرتها ، وقد ضمنه

أكثر أغراض الصوفية ومقالاتهم وطرقهم ورموزهم ، حاكياً عنهم ، غير سالك - لا بالعمل ولا بالاعتقاد - طريقتهم .

وقد نوه فيه بمذهب القائلين من الصوفية بالوحدة المطلقة ، المسماة بوحدة الوجود ، ومعناها أن العالم بما فيه مظهر لروح الله ، لا يخلو أى فرد من أفراده من مدد منه ، وهذه المقالة وإن كانت ممكنة التأويل بما لا يخالف ظاهر الشرع ، ولا العقل فى توهم الحلول ، فكان ذكره لها مما مكن أعداءه من انتهاز الفرصة فى السعاية به ونكبته ، والعصر حينئذ عصر جمود وتنطع فى مسائل الدين ، وتظاهر بالدفاع عنه ، وذود أعدائه عن حياضه ، والتفانى فى الجهاد فى سبيله ، فكان « الحلاج » صاحب هذه المقالة أول من قتل بها فى المشرق ، و « لسان الدين » آخر من قتل بها من العظماء فى المغرب ، ولله فى خلقه شؤون .

وسلك فى كتابته طريقة السجع والخطابيات ، لا طريقة الشرح وبسط الحقائق العلمية بالترسل والأقيسة الصناعية ، وقد ذكر « المقرى » كثيراً من فصوله البليغة سنذكر بعد طرفاً منها .

منزلته فى الكتابة :

كان « ابن الخطيب » خاتمة بلغاء الأندلس ، وآخر الرؤساء الأعيان من كتاب الرسائل والتأليف ، وكان فى عدوة الأندلس يضارع « ابن خلدون » فى عدوة افريقية : فقهاً ولغة وأدباً وتاريخاً وترسلا شعراً ، بل يصرح ابن خلدون في مقدمته عند الكلام فى أصحاب الموشحات بقوله : « ثم جاء من بعدهم هذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبدالله بن الخطيب إمام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع » وهذا تصريح منه خطير الشأن ، مع ما ذكر فى موضع آخر من تاريخه أن ابن الخطيب قلق لمكانه (أى ابن خلدون) من سلطانه ، وأخذ يغض من شأنه حتى تخوفه على نفسه وخرج من الأندلس . ونحن نقول : ليس فى كلامه إنصاف لنفسه ، وإنما حمله على ذلك تواضعه وإغفال نفسه ... نعم له العذر فى غير نفسه ، فقد كانت كتابة ابن الخطيب أرسخ قدماً فى البلاغة من كتابة رؤساء دواوين الانشاء بالمغرب ومصر والشام ، وأبعدها عن التكلف المعيب — وإن لم يتره كل التنزيه عن لوثة طريقة المصريين فى التورية والتوجيه ، فقد عاناها ولم يحسن طريقتهم فيها .

ولا يكاد المتقصى لوجوه الفرق بين كتابته فى رسائله السلطانية ، واستغاثاته النبوية ، وتصانيفه الأدبية والتاريخية والصوفية - يخرج من تقصيه على كبير طائل ، فهى سجع متقارب الوزن على طريقة « ابن العميد » الشائعة بين أهل المغرب ، بها لوثة قليلة من طريقة « القاضى الفاضل » ، غير أنه يمكن وصفها بالاضافة إلى كتابة أهل زمانه . وبخاصة أهل مصر والشام — بأمور تغلب عليها وإن لم تكن مختصة بها ، فمنها :

(البقية على الصفحة رقم ١٠٥٦)

طلائع الشيب

للأستاذ الشاعر محمد الأسمر

زار رأسي المشيب قبل أوانه   وهو بئس النزيل فى إبانه
ضيفنن ما دعوته ، حل كرهاً   آكلا شاربا بغير مكانه
ليت هذا الذى يزور بداراً   صك سمع المزور باستئذانه
أخطأ الشيب فى الزمان لما يسـ   ـعى إليه ، فحل فى شبانه ؟
كيف شيبي وللشباب حقوق   ما تقضت والعمر فى عنفوانه ؟
أعلن الموت بالمشيب فأهلا   بحبيب أسار فى إعلانه
لست ممن يخشى الحمام ولكن   أنا ممن يخاف من أعوانه

***

خل عنك الصبا وخذ فى التصابى   واصبغ الشيب واخفه عن زمانه
صار فودى مرقشا أشمطيا   أمين ضافى السواد من طيلسانه
شائب الشعر إن بدا فترقب   ثورفتاك (للروم) فى (حبشانه)
كدت أقلى مصر العزيزة لما   أن طغت (مصره) على (سودانه)

***

لم يرعنى من جانب الشيب إلا   ضحكات الحسان من لمعانه
قائلات هل شبت ؟ ! ياويح نفسى   من زمانى ومن سؤال حسانه
شيبتني حوادث لو أصابت   جنح ليل لشاب فى ريعانه
و (فؤاد) بين الضلوع عنيف   أبداً حانق على أزمانه
عاشق للجمال يهمس بالشعـ   ـر وشيك الفناء فى أوزانه
لو أميط الشغاف عنه تجلى   عابداً عاكفا على قرآنه
تخذ الصدر معبداً فسلوه   كيف أمسى يهد من أركانه

***

أيها القلب ! لا يضرك زمان   لم تنل منه غير مدح لسانه
قلت قولا ، وقال قولا ، فنفل   بعد هذا ماغاب من إحسانه

كلما صحت أيها الثائر اهدأ دق صدرى ، ولج فى خفقانه
أنا إن شبت فالمشيب إحتراق وشرار فى الرأس من بركانه
قد كتمنا فى القلب ما نظر (الشعر) إليه فضاق عن كتمانه
ذلك الشيب صبغة الدهر فاعجب من يديه فينا ومن ألوانه

* * *

أيها الفاحم المولى ، رويداً أنت طير يثار عن أغصانه
ما حمدت (البزاة) ساعة حلت فوق رأسى تطير من (غربانه)

* * *

(منجم) ألقيت به (جمرات) فارتقب ما يروع من نيرانه
ما ذممنا من (فحمه) ى شىء فسلوه لمن أتى (بجمانه)
لهب الشيب للعيون تجلى ولعينى منه كثيف دخانه

محمد الاسمر

لسان الدين بن الخطيب

(بقية المنشور على الصفحة ١٠٢٤)

١ — محاكاته للمشارقة من المصريين والشاميين فى افتتاح الرسائل السلطانية ونحوها ، ممن نحا طريقة « القاضى الفاضل » فى ترتيب عناصر الديباجة المفتتحة بها الرسالة من تكرير أوصاف المرسل إليه ، وتلقيبه بالألقاب الرفيعة ، ومخاطبته باسم المجلس والمقر ، وتكرار الدعاء وتلقيب مقدمة الرسالة — إذا لم يكن سلطاناً — باسم المملوك أو العبد أو المولى أو الخديم ، كما كان يفعل كتاب المصريين والشاميين ، المقاربين لزمانه ، أو المعاصرين له : كالشهاب محمود الحلبى ، و بنى عبد الظاهر ، وآل فضل الله العمرى ، وآل البازرى .

ولم يكن ذلك النهج متبوعاً فى الأندلس والمغرب ، وإنما ذاع فى آخر عهد الاندلس على يد « ابن الخطيب » ومن لف لفه ، ولكنه لم يتهافت على طريقة المصريين من جميع وجوهها من تلقيب كل ذى منصب بلقب خاص ودعاء خاص ، بل أرخى لقلمه العنان فى التلقيب والدعاء بما يشاء .

والسبب فى محاكاة لسان الدين ومن شاكله للمصريين ، ضخامة ملكهم ، وامتداد سلطانهم على مصر والنوبة وبرقة والشام والحجاز و بعض الجزيرة ، وتعدد خططه ودواوينه المكتظة بحملة الاقلام من الكتاب والشعراء والمؤلفين ، ومملكة الأندلس إذ ذاك دويلة لا تربو فى ذرعها وأهلها على إقليم واحد من ملك مصر ؟

« يتلى » أحمد السكندرى

تعليل الوراثة فى التربية

للاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ التربية وعلم النفس بكلية أصول الدين ودار العلوم

لأجل أن تفهم الوراثة بعض الفهم ، وتدرك السر فى أثرها بعض الأدراك ، يجب أن أرجع بك إلى مبدأ حياة الانسان ، فأذكر لك أن الانسان مثل غيره من الكائنات العضوية العليا ، يبدأ حياته فى الرحم على شكل نطفة ، وهى خلية ملقحة يسميها علماء البيولوجيا زيجوت zygote وهذه النطفة مكونة من شيئين : البويضة « ovum » واللقاح « spermatozoön » فالبويضة هى خلية الأنثى ، ويبلغ قطرها ١ من ١٢٥ أو ١ من ١٢٠ من البوصة . واللقاح هو خلية الذكر ، وهى أقل من الأولى بثلثمائة الف مرة .

ومن أكبر عجائب الخليقة وأغمض أسرارها ، أن اجتماع هاتين الخليتين يقدر للانسان مستقبله و يقضى عليه إن كان سيكون ذكراً أو أنثى ، طويلا أو قصيراً ، ذكياً أو غبياً ، عسلى العينين أو أزرقهما ، وعن اتحادهما ينشأ كائن عضوى حى مشابه لأبويه من جهة ومخالف لهما من جهة أخرى ، أما المشابهة فبالوراثة المباشرة ، وأما المخالفة فبالوراثة المشتركة أو غير المباشرة ، والاوصاف التى يرثها عن أمه ، أو عن أحد أصولها تأتى له بواسطة البويضة ، والتى يرثها عن أبيه أو عن أحد أصوله ، تأتى له بطريق اللقاح .

وقد اختلف علماء البيولوجيا فى كيفية تكوين هذه النطفة : ففريق يقول : إنها مزيج ، وآخر يقول : إنها خليط ، والفرق بين الرأيين واضح ، إذ أن الفريق الاول يقول : إن النطفة لها أجزاء منعزلة بعضها عن بعض ، هى التى تصير فيما بعد الأجهزة والأنسجة المختلفة ، والفريق الثانى يعتقد أنها مادة واحدة من عنصر واحد ، ولكنها تصبح أجزاء وعناصر مختلفة فيما بعد ، ثم تتكون منها الأجهزة والأغشية المختلفة .

والرأى الذى عليه معظم علماء العصر ، أن النطفة مزيج وليست بخليط ، ويسمون أجزاءها الكرومزمات Chromosomes أو الكرات الملونة .

وهذه الكرات هى التى تنمو وتتكون منها الأجهزة . ولسنا الآن بصدد ذكر أطوار التولد والنمو على سبيل التفصيل ، فهذا يرجع اليه فى أحد المطولات . ولكن يكفى أن نقول على وجه الاختصار : إن هذه النطفة تتطور أطواراً عدة ، أشار اليها القرآن الكريم فى قوله

تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »

وقد ذكر الاستاذ (جوليان هكسلى) فى كتابه الصغير الممتع المسمى « تيار الحياة » أن هذه الأطوار تنحصر فى :—

(١) انقسام النطفة إلى خليتين ثم إلى أربع وهكذا (٢) بناء الأجهزة المختلفة (٣) تخصص الخلايا كل بوظيفته (٤) نمو الخلايا مع إحكام الاتصال بين بعض الأجهزة و بعض (٥) استمرار النمو بعد الولادة (٦) وقوف هذا النمو قليلا بعد سن المراهقة (٧) حدوث الشيخوخة والهرم (٨) الفناء .

فكل كائن حى يتطور هذه التطورات بسرعة أو ببطء ، ولكون الانسان أكثر أنواع الحيوانات أجزاء وأجهزة ، نرى أنه أبطؤها نمواً ، ولا سيما بالنظر إلى الجهاز العصبى الذى هو أشد تعقداً وإحكاماً منه فى أى حيوان آخر . وهذا أحسن الأسباب التى تجعل زمن الطفولة فى الانسان أطول منه فى غيره . وكل هذه التطورات خاضعة لقوانين خاصة ، هى قوانين الوراثة التى نعرضها عليك الآن .

(قوانين الوراثة)

القانون الأول : ربما يكون أظهر قوانين الوراثة وأكثرها مشاهدة هو :—

١ — مشابهة الفرع للأصل ، وهذا بين فى جميع الكائنات الحية ، سواء أكانت من الحيوانات أم من النباتات ، فبذور القطن تخرج قطنا ، ومن يزرع الورد لا يجنى الشوك ، وأشجار الليمون إذا غرست بجانب أشجار البرتقال ، فان هذه تخرج برتقالا ، وتلك تخرج ليمونا ، مع أنها كلها تسقى بماء واحد ، وتستمد طعامها من أرض واحدة .

وليست المشابهة قاصرة على الصفات الجثمانية ، بل إنها تشمل المواهب العقلية والصفات الخلقية ، وقد بحث علماء الاجتماع هذا الموضوع ، وكتبوا عنه المقالات الطوال ، وألفوا الكتب القيمة ، وكلهم مجمع على أن المقدرة العقلية من الصفات الوراثية . وقد كان (فرنسيس كولتن) أحد أقارب (تشارلز داروين) العالم الطبيعى الشهير ، أول من درس وراثة المواهب العقلية دراسة دقيقة ، فاختار من مشاهير الانجليز ٩٧٧ شخص ، منهم الذين تولوا منصب قاضى انجلترا من سنة ١٦٦٠ إلى ١٨٦٥ ومنهم كبار رجال السياسة فى عهد جورج الثالث ، ورؤساء الوزارة للقرن السابق على سنة ١٨٦٨ وكثير من أمراء الجند ، ورجال العلم والأدب ، والشعراء والمصورين والموسيقاريين ، ورجال الدين ، ونوابغ العصر ، والمهرة فى التجذيف والمصارعة

وقد كان الغرض من هذا البحث معرفة ما إذا كان لهؤلاء من الأقارب ما يضارعهم

فى المنزلة والمقدرة ، وقد توصل (كولتن) بعد البحث الدقيق ، إلى أن لهؤلاء من مشاهير الأقارب ٦٤ أبا و ١٢٣ أخ و ١٤٥ ابن و ٥٠ جداً و ٤٢ سبطاً و ٥٤ عما و ٦٦ ابنا لأخت .

وتنطبق قاعدة المشابهة على صفات النقص ، كما تنطبق على صفات الكمال ، وليس أدل على ذلك من سيرة أسرة الجوكيين ، وهى أسرة أمريكية كانت تقطن ولاية نيويورك ، ثم انتشر أفرادها فى أربع عشرة ولاية من الولايات المتحدة ، وكان جدهم الأكبر (ماكس جوكس) صياداً ولد بين سنتى ١٦٢٠ و ١٧٤٠ م وتزوج ولدان من أولاده من امرأتين من أسرة عرفت بسوء السلوك ، فأعقب هؤلاء مئات ممن ساء سلوكهم ، وكانوا ضرراً للمجتمع الأمريكى أو عالة عليه .

وقد درس (دوكيل) سير ٧٠٩ شخص منهم ٥٤٠ من نسل الجوكيين المباشر و١٦٩ من نسل آخرين ولكنهم اختلطوا بالجوكيين بالمصاهرة ، و بعد البحث وجد (دوكيل) أن ١٨٠ شخص من هؤلاء كانوا من العاطلين الذين كانوا يقطنون بيوت الفقراء (الملاجىء) لمدة ثمانين عاما و ١٤٠ مجرم و ٦٠ لصا عاديا و ٧ أشخاص ذهبوا ضحية القتل و ٥٠ امرأة عاهرة و ٥٠ امرأة أصبن بالأمراض السرية ونقلنها بالعدوى الى ٤٤٠ شخص .

وهذا الجيش المجرم قد كلف الحكومة الأمريكية خلال ٧٥ سنة ، ما يقرب من ١٦٣٠٨٠٠٠ ريال أى ما يقرب من ٢٦١٦٠٠ جنيه وهذا كله راجع إلى جناية الوراثة عليهم ، وقد لحظ فى آخر الأمر ، أنهم لما انتشروا فى ولايات متعددة ، واختلطوا بغيرهم من الاسرات التى هى أرقى منهم ، تحسنت أحوالهم تحسنا محسوسا وهذا التحسن بالطبع راجع إلى الوراثة ، والبيئة ، كما هو ظاهر .

وربما يستدل على ما للوراثة من أثر فوق أثر البيئة ، أن ١٢٥٨ شخص من أفراد هذه الأسرة الذين كانوا أحياء سنة ١٩١٥ ، عجزوا تمام العجز عن أن يعدوا أنفسهم إعداداً تاما لبيئتهم الجديدة ، ولم يمكنهم أن يقاوموا ظروفها الخاصة مقاومة تامة .

وهناك مثل آخر يوضح لنا هذه القاعدة تماما ، وهو مثل أسرة (كليكاك) فقد كان جد هذه الأسرة (مارتن كليكاك) جنديا اشترك فى حرب الثورة الأمريكية وقد تزوج أثناء هذه الحرب بامرأة معتوهة ، فولدت له ولدا بلغت ذريته ٤٨٠ شخص ، و بعد البحث وجد أن من هناك ١٤٣ عرفوا بالعته وضعف العقل و ٣٦ طفلا غير شرعى و ٣٣ زانياً و ٢٤ سكيراً و ٣ مصابين بالصرع و ٣ من المجرمين و ٨ من أصحاب بيوت الدعارة و ٨٣ طفلا ماتوا فى عهد الطفولة لضعفهم و ٤٦

من الاشخاص العاديين ، والباقى ما بين غير معروف ، أو مشكوك فى سلوكه .

وبعد الحرب كان (مارتن) هذا قد تزوج بامرأة أخرى من أسرة نبيلة ، وقد بلغ عدد من عرف من ذريته من هذه المرأة ٤٩٦ وقد كان هؤلاء — ماعدا اربعةمنهم — من الاشخاص العاديين فى قواهم العقلية ، أو ممن كانت لهم ملكات زائدة عن الوسط ، وكانوا يشغلون وظائف راقية ، ويتمتعون بمهن شريفة كالمحاماة والطب ، والتعليم ،والتجارة ، وكان منهم أساتذة ، أو رؤساء الكليات أو جامعات ورجال إدارة . فمن سلسلة النسب هاتين اللتين ترجعان الى أصل واحد ، ومما ذكرنا آنفاً أبحاث عن (كولتن) وعن أسرة (الجوكيين) تبين لنا مبلغ أثر الوراثة فى الاخلاق والسلوك ، والملكات العقلية .

* * *

القانون الثانى : وكل هذا يرجع إلى القاعدة الأولى التى ذكرناها ، وهى مشابهة الفرع لأصله . على أننا إذا أنعمنا النظر ، وقارنا الابن بالأب مثلا ، رأينا أن بينهما فرقا ، بل فروقا لا يستهان بها . ذلك أن الفرع لا ينشأ عن أصل واحد فقط ، ولا يرث الابن صفات أبيه وجده أو أمه وحدها ، أو صفات أبيه وأمه فقط ، ولكنه يرث صفاتهما وصفات أجداده السابقين ، ولكونه قد يشبه أجداده فى بعض الصفات نراه لا يشبه أبويه تماما من جميع الوجوه . ومن ذلك يؤخذ القانون الثانى من قوانين الوراثة وهو : —

٢ — مخالفة الفرع لأصله المباشر فى بعض الصفات . فمشابهة الفرع لأصله تكاد تكون مستحيلة ، حتى فى حالة انقسام الخلايا حيث يعتقد بعض العلماء أن الخلية إذا انقسمت الى قسمين ، فان هذين القسمين لا يكونان مثلين متشابهين من جميع الوجوه . فمشابهة الفرع لأصله تضعف وتقوى على حسب كثرة عدد الأصول وقلته . ومن الممكن تقسيم الوراثة من حيث المشابهة الى ثلاثة أقسام هى : -

(١) الوراثة بالتحيز (٢) الوراثة بالائتلاف أو التركيب (٣) الوراثة بالاقتران .

ومعنى الوراثة بالتحيز أن ينشأ الفرع مثل أحد أصليه فى كل الصفات أو معظمها ، كأن يكون الولد مثل أبيه فى صفاته الجسمية والعقلية والخلقية ، وكأن تنشأ البنت صورة مصغرة من أمها جسما وعقلا وخلقا . والوراثة بالائتلاف تكون إذا رأيت صفات الفرع مخالفة لصفات أصله ، ولكنها فى الوقت نفسه منتزعة منها ، ووسط بينها ، كما إذا تزوج نوبى بأوربية ، فنشأ ابنهما «ملطا » لون شعره وبشرته وسط بين لونى شعر والديه وبشرتهما

والوراثة بالاقتران أن يكون الفرع مشابهاً لأحد أصليه فى صفات ، وللثانى فى صفات

أخرى ، كأن يأخذ الولد الذكاء وطول القامة عن أبيه ، وسواد الشعر وشكل العين عن أمه.

وهذا معنى قول (مندل) العالم النباتى النمساوى الشهير (١٨٢٢ — ١٨٨٤) : إن كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصلين أو منهما معا الى الفرع .

و (مندل) يضع لهذا قانونا يسمى قانون وحدات الصفات . وهذا العالم حجة كبيرة فى قوانين الوراثة ، وقد دلتـه التجارب التى أجراها على النباتات والحيوانات على أن هناك صـفات خاصة تتغلب على اضدادها مثل : سواد الشعر بالنسبة لصهبته ، وطول القامة بالنسبة لقصرها .

ومعنى ذلك أنه إذا تزوج رجل أسود الشعر بامرأة صهباء ، فان معظم أولادهما يكونون سود الشعر بنسبة ٣ إلى ١ فى الجيل الأول ، وكذلك يقال فى طول القامة وقصرها.

ويضع (مندل) لهـذا قانونا خاصاً يسمى قانون التغلب ، ويسمى الصفات المتغلبة بالصفات (البارزة) ويسمى الأخرى (قاصرة)

ومن النتائج التى وصل اليها ذلك العالم ، أن كل خلية من خلايا التناسل لا تكن نواتى صفتين متضادتين ، فلا يمكن مثلا أن تكن نواة الطول ونواة القصر معا ، ولـكنها تكن احدى النواتين . وكذلك يقال بالنسبة للذكاء والغباوة وسواد الشعر وصهبته ، ولهذا قانون يسمى قانون الانفراد ، أى انفراد الخلايا بنويات صفات دون أخرى مضادة .

وهذا القانون يؤيد قانون التغلب السابق الذكر ، اذ أن معناه أن خليتى التناسل اذا كانتا مصدر صفات متشابهة ورثها الفرع كما هى ، وإن كانت إحداهما مصدر صفات، والثانية مصدر صفات أخرى ، فان الصفات البارزة تتغلب على حسب قانون التغلب .

هذا ومن الاغلاط الشائعة ما يعتقده بعض الناس ، من أن الشخصين المختلفين فى الصفات يحصل بينهما تجاذب وتوافق ، إذ ليس من الضرورى أن يحصل وفاق تام بين اسود الشعر وصهبائه ، أو بين الطويل والقصيرة ، وهذا التوافق إن حصل فلا يكون تابعاً لقاعدة عامة ، فهناك شواذ كثيرة جداً تبرهن على بطلان هذا الزعم

القانون الثالث: يشاهد ان بعض الاطفال يشبهون أعمامهم أو عماتهم أو أخوالهم أو خالاتهم فى بعض الصفات ، كما يشبهون آباءهم وأمهاتهم فى صفات أخرى ، وهذا راجع لما يسمى بالوراثة المشتركة أو الوراثة بالواسطة ، فاذا أشبه الولد عمه مثلا فى الطول ، فمعنى ذلك أن الولد ورث هذه الصفة عن جده أو جدته من جهة الأب بواسطة أبيه ، وأن عمه ورثها عن أبيه أو أمه مباشرة ، وإذا أشبهت البنت خالتها فى سواد العين مثلا ، فمعناه أن البنت أخذت هذه الصفة عن جدتها أو جدها من جهة الأم بواسطة أمها ، وأن خالتها ورثت هذه الصفة عن أبيها أو أمها مباشرة .

ومن هذه الناحية يمكن تقسيم الوراثة إلى قسمين : مباشرة ، وغير مباشرة. فالوراثة المباشرة هى مشابهة الفرع لأبويه أو لأحدهما ، وغير المباشرة هى مشابهته لغير هذين من أصوله .

ومن ذلك ينشأ القانون الثالث من قوانين الوراثة وهو : —

٣ — إن الفرع يرث بطريق الوراثة المباشرة عن أصله المباشر نصف صفاته ، وعن أجداده الأول ربع صفاته ، وعن أجداده من المرتبة الثانية ثمن صفاته وهكذا ، ولبيان ذلك بالأرقام نقول : إذا رمزنا لمجموع الصفات الوراثية بالحرف ص ، وللأجداد من الدرجة الأولى بالحرف ح ١ ، وللذين من الدرجة الثانية بالحرف ح ٢ وهكذا ، يكون القانون كما يأتى : —

ص = $\frac{1}{2}$ ص (من الأبوين) + $\frac{1}{4}$ ص (من ح ١) + $\frac{1}{8}$ ص (من ح ٢) + $\frac{1}{16}$ ص (من ح ٣) وهكذا حتى نصل الى نهاية السلسلة ان كان لها نهاية .

هذا بالطبع اذا فرضنا أن أجداد الانسان من جهة أبيه ، وأجداده من جهة أمه لا يلتقيان مطلقاً ، وهذا قليلا ما يحصل ، أما اذا التقوا — كما هو الغالب — فان هذا القانون يحتاج الى تنقيح بسيط ، فالقانون إذن تقريبى وليس بتحديدى ، وهو على كل حال يدل على أن صفات الفرد الوراثية — جسمية كانت أو عقلية أو خلقية — ليست مأخوذة عن أبويه فقط ، ولكنها مأخوذة عن آبائه وأجداده ، وعن كل حلقة من حلقات سلسلة نسبه . . . وكثرة الصفات الموروثة وقلتها تختلف باختلاف قرب الفرد من أصله أو بعده عنه . . . وما أصدق قول من قال فى هذا الصدد : « إن أجدادنا أحياء فى شخصنا ، كما أننا سنحيا فى أولادنا » وربما يفسر هذا معنى قول الآخر « إن الأموات يتحكمون فى الاحياء » ويبين كذلك معنى قول التوراة : « إن ذنوب الآباء والأجداد لابد واقعة على الأبناء » والحياة ما هى إلا تيار طويل متصل تتأثر كل قطرة من قطراته بغيرها ، ولا يزال مبدأ هذا التيار ومنتهاه من الأسرار الغامضة التي لم يصل بعد إلى حلها العقل البشرى ولم يوفق إلى معرفتها تماما العلم الحديث .

القانون الرابع : ومن القانون السابق يؤخذ قانون آخر وهو : —

٤ — أنه إذا كان فى الأصل صفة من الصفات الوراثية بحالة خارجة عن الحد المعتاد ، فانها تنتقل إلى الفرع بحالة أقرب إلى المعتاد ، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال : إن الصفات الوراثية تميل إلى الرجوع الى المتوسط .

ومعنى هذا أن ابن الذكى ذكاء حاداً خارجا عن المعتاد ، ينشأ وذكاؤه أقرب إلى الذكاء المتوسط ، وابن الغبى غباوة زائدة عن العادة ينشأ أقل غباوة من أبيه ، وإن كان لا يبلغ

ذكاؤه متوسط الذكاء . والغالب فى ابن الطويل طولا فاحشا أن يكون أقصر من أبيه وأطول من المتوسط ، وفى ابن القصير جداً أن يكون أطول من أبيه وأقصر من المتوسط

وهذا هو السبب فى أن كثيراً من أولاد العظماء يعدون أنفسهم سيئ الحظ بالنسبة لآبائهم ، وأن أولاد الطبقة السفلى يعدون أنفسهم أحسن حظاً من آبائهم ، وما قيل عن الآباء يقال عن الأمهات . وإنما يرجع هذا القانون إلى ما قبله ، لأن أولاد الرجل المتصف بصفات غير عادية ، يميلون إلى مشابهة أجدادهم الأول العاديين فى هذه الصفات ولو بعض المشابهة

القانون الخامس : هذا القانون خاص بالصفات العقلية أو الخلقية ومؤداه : —

٥ - أن الصفات الوراثية العقلية والخلقية لا تتجلى بأجلى مظاهرها إلا فى سن البلوغ وإن كانت توجد بالقوة فى الشخص من اتحاد اللقاح بالبويضة كما سبق ، و يبدأ ظهورها من يوم الولادة ، ثم تظهر شيئاً فشيئاً ، ولكن لا يتم نضجها إلا عند البلوغ .

ذلك العصر هو أشد عصور الحياة خطورة ، اذ فيه تتجسم جميع المواهب العقلية ، و يتبين للناظر إن كان الولد يشبه أباه أو أمه ، أو يشبههما معا فى خلقه وخلقه وسجاياه ، وهذا بالطبع مفيد جداً المربى ، إذ أنه فى ذلك العصر يعرف مواطن الضعف والقوة فيمن عهد إليه بتربيتهم ، فيوجه مواهب كل منهم نحو الجهة التى تميل اليها بطبيعتها ، و يفهمه كل الطرق التى عنده استعداد فطرى لاتباعها والانتفاع بها .

وسنتكلم عن الصفات الوراثية والصفات المكتسبة وعن كيفية الانتفاع بقوانين الوراثة فى نواح مختلفة من نواحى الحياة ، فى عدد آخر إن شاء الله

حامد عبد القادر

الوطن

الوطن ! هو البيت الطاهر ، الذى تتبارك فيه ، والأرض التى تضم رفات أسلافك .

الوطن ! هو لواء الأمة الذى تتبادله بين النار والموت مئات من الأيدى خدرت أعصابها فى ساحة الوغى ، فى وقت جل فيه الخطب وعز المصطبر .

الوطن ! هو الأمة بأسرها تخطو حرة ، وتمشى مرحة فى بلد عزيز مستقل ... كل هذا وأكثر منه ، محصور فى لفظ واحد ، يسحر الألباب ، ويسلب القلوب ، يعبر عما يلقيه الله عز وجل فى روع الإنسان من عزيز ومطهر . . ألا وهو الوطن .

« ليبى بريف »

فى الخلافة الاسلامية

بقلم فضيلة الأستاذ

الشيخ طنطاوى جوهرى

مبحث الخلافة الاسلامية مبحث مهم من المباحث العلمية الاسلامية ، وكل علم لا يعرف الناس أدوار تاريخه ، يكونون فى دراستهم له ، وأحكامهم فيه ، أشبه شىء بمن يبنى بيته على شفا جرف هار ، أو بمن يستسمن ذا ورم و ينفخ فى غير ضرم .

إن الخلافة الاسلامية فى الأعصر الغابرة لعبت دوراً عظيما مهماً ، وشغلت أمم الاسلام قاطبة ، وتفرقوا فيها فرقا شتى وأحزاباً متباينة ، و ينشأ الناشئون من الأبناء على ماعودهم الآباء .

و ينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وكل حزب بما لديهم فرحون ، وهل يتسنى لطفل تربى على مذهب خاص فى أمر الخلافة أن يفكر فى القرآن وفى الاجماع ؟ بل يظل على عقيدته حافظاً لطريقته لا يتعداها ، جامداً عليها لا يتخطاها . إن أكثر نوع الانسان فى الارض مقلدون ، جمدت القرائح وتعارضت الظنون ، ووقفت الحركة العلميــة الاصلاحيــة فى جميع الشئون ، حتى إذا قرعت القارعة ، وأصابت الصاعقة ، وأحاطت بنا الأمم ـ وهم من كل حدب ينسلون ـ أذاقونا سوء العذاب ونحن غافلون . فتعالوا أيها المسلمون أنثر عليكم نبأ الخلافة ، وأبدى رأياً مجملا يقبل التفصيل والتحوير .

إن أمر الخلافة لن يستقر قراره و يتم الرأى فيه الا بالبحث فى أحوال الخلفاء السابقين والوقوف على أعمالهم حتى نستنتج نتائج منها ثم نعتبر بما فعله أسلافنا ، ونبنى على ذلك الاساس عملا بقوله تعالى « فاعتبروا يا أولى الأبصار » وقوله تعالى « أفلم يهدى للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون »

إن الخلافة إذا كانت مقيدة بالشورى موجهة للمصلحة العامة بأخلاص ، تصبح خدمة عامة لا ينتطح فى أمرها عنزان ، ولا يرثها الأبناء عن الآباء ، فان كانت غير ذلك كانت أداة سوء تنقلب فى أيدى الجهال وتأبى أن ينالها الأبطال . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله عنهم . درسنا مجمل أخلاق الخلفاء الراشدين فلم نجد أبا بكر وصى بها لابنه ، واستنكر عمر قول من طلبها لابنه عبد الله ، ثم لم نر أحداً منهم استكثر من الأموال واتبع الشهوات ، ذلك شأن الخلافة فى الاسلام . إن أمر الخلافة شورى

بين المسلمين « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » هذا هو الصراط المستقيم .

مضى عصر الراشدين ، وتولاها الأمويون وأولهم معاوية فاستبدوا بالأمر فقاومهم بنو هاشم ففتك بهم الامويون فتكا ذريعاً ، ثم اشتد العباسيون والعلويون فى مقاومة الامويين ، وساعدهم شيعتهم الفارسيون و بطلهم أبومسلم الخراسانى ، وأكثروا من موضوعات الاحاديث ، وما كاد الأمر يتم للعباسيين حتى قلبوا ظهر المجن للعلويين وفتكوا بهم فتكا ذريعاً ، وقتل المنصور محمد ابن عبد الله ، وهو الخليفة الحقيقى صاحب البيعة الصحيحة .

هنالك أصبح الخليفة العباسي بعد تشريد الأمويين يقتل العلويين باليمن وأبناء عمه العباسيين بالشمال ، بل كثيراً ما كانوا يقتلون شيعتهم غدراً كأبى مسلم الخراسانى وجعفر البرمكى وغيرهما كثير . ولقد تغالى العباسيون فى إذلال العرب كما تغالى بنو أمية فى إعلاء شأنهم على غيرهم، وما قاله ابراهيم الامام لايرده مسلم .. « من ترددت فى أمره فاقتله » وحرضه على قتل العرب فقتل منهم ٦٠٠ ألف رجل غدراً وهم آمنون

مات الرشيد وخلفه الأمين والمأمون وأم الاول عربية وأم الثانى فارسية فنصر الفرس ابن أختهم وشردوا العرب كل مشرد وأذلوهم ومنعهم المعتصم العطاء . ولما كانت أم المعتصم تركية من بلاد الصغد أصبح مغرماً بالترك غير واثق بالعرب ولا بالفرس أجمعين .

هنالك أصبحت الخلافة فى العباسيين اسما بلا مسمى، وتنازع القواد من غير العرب الرئاسة وصار الخلفاء آلات صماء فى أيديهم فقتلوا منهم ٣٨ من ٥٩ وسملوا أعين بعضهم حتى زالت الدولة على أيدى التتار ، وكل ما حصل للعباسيين تم نظيره فى الاندلس،وقد كانوا يستغيثون بجيرانهم من الاسبان على أخوانهم ، فيهلك الفريقان، فربما كانوا يقتلون المستجير بهم غدراً كما حصل لجندل بن حمود أمير أشبيلية إذ وعده البابا ودوق فينزيا و بعض دوقات أوروبا أن يكون ملك الاندلس كلها اذا ساعدهم فى فتح قرطبة فبر بوعده لهم فقتلوه غدراً وخربوا أشبيلية .

هذه شذرة من تاريخ الخلافة وما يتبعها من الامارات فى الاسلام . وكان ذلك كله عقابا على ترك الشورى المنصوص عليها فى القرآن . والذى أراه :—

أولا — أنه يجب على كل أمة ـ عربية أو غير عربية ـ أن تمنح التعليم للذكور والأناث بقدر الامكان .

ثانياً — يجتمع أمراء الاسلام المفوضون من أممهم فى أمر الخلافة ، لينتخبوا أميراً منهم لهم، على شريطة ألا يبرم أمراً إلا بمشورتهم من: صلح أوحرب أوغيرهما كما كان يفعل الخلفاء.

ثالثاً — أن يكون الانتخاب لسنين محدودة أو لمدة الحياة، فاذا انقضت المدة فى الاول أو مات فى الثانى ، فلينتخبوا سواه بالشورى ، فاذا أعيد انتخابه فى الحالة الاولى قلد ذلك .

رابعاً — يجب أن يراعى فى الخليفة أمران مهمان وهما (١) أن يكون جيشه أقوى جيوش

الامراء (٢) أن يكون أهل مملكته أعلم من سائر الأمصار، ولا يكون للنسب فضل إلا في الترجيح، اذا تعارض أميران واستوفيا ما ذكرناه. ونستأنس للشرطين المذكورين بقوله تعالى «وزاده بسطة فى العلم والجسم»

خامساً — كل أمير تسيطر عليه دولة أجنبية لا حق له فى تولى أمر الخلافة، لأن رأيه تابع لرأى من فوقه، وهذا ضار بالمسلمين.

سادساً — اذا تعذر الاجتماع فى هذا الزمان – لضعف أو افتراق كلمة – فليتربص المسلمون الوقت المناسب.

فأما الخلافة الضعيفة التي يتولاها من لا يحوز هذه الثقة، فما هى إلا شبكة صائدين، وحيلة محتالين؛ فهل المسلمون عقار يتناوله الابناء عن الآباء؟ كلا، إنهم خير أمة أخرجت للناس، وهم شهداء عليهم فليكونوا بالأولى لخلفائهم مصطفين ولهم مشيرين وعلى أعمالهم شاهدين ولاعوجاجهم مقومين.

هذا ما أراه في شأن الخلافة وفوق كل ذى علم عليم

طنطاوى جوهرى

آلام الحب

واحر قلباه من حب ثوى فيه ... ومن فراق بنار الشوق يكويه
أبلى النوى جسدى والهم يقلقه ... والدهر أمسى بنبل الويل يرميه
ففى فؤادى لهيب بات فى ضرم ... وفى جفونى بحور ليس تطفيه
يا من لها فى حشاى منزل رحب ... من لى سواك من الآنام يأويه
ذكراك تروى فؤاداً مسه عطب ... وشدة الوجد والاشواق تظميه
يا مهجتى قد بلينا بالبعاد ولا ... يزال ذا الدهر يبلينى وأطويه
قد شتت الله شملا كان يجمعه ... فهل ترى بعد هذا الويل يدنيه
عقدت فى القلب عهداً ثابتاً فصرو ... ف الدهر والبعد عنه ليس تثنيه
جد الفراق وقد ساءت عواقبه ... فصبر جميل وويل ليس يفنيه
أرضي بطيفك بعد البين وآسفاً ... على جمال ذوى سأعيش أرثيه

عبد العزيز جادو

الطموح الى المثل الاعلى

(١) تعريف المثل الاعلى (٢) كيف يجب أن يكون ؟ (٣) قوامه ومداه (٤) قيمته (٥) كيف ومتى يتكون ؟ (٦) كيف يتركز فى نفس صاحبه ؟ (٧) ممهدات تحقيقه .

-١- تعريف المثل الأعلى:

غير يسير على أن أصل إلى تعريف جامع مانع كما يقول أهل المنطق ، لأن المثل الأعلى : كالجمال ، والحب ، والاخلاق ، وما إلى ذلك ، يفهم الانسان معناها ويدرك مرماها ، وإن عز عليه أن يضعها تحت تعريف صحيح شامل .. ولكن هذا لا يمنع من أن أقرب معناه إلى الأذهان بكلمة موجزة :

لكل إنسان آمال تطمح إليها نفسه ، وتحن إلى تحقيقها مشاعره . وهذه الآمال التى تنزع اليها النفس البشرية بفطرتها ، إذا اقترنت بالسعى لتحقيقها كانت الميزان الذى توزن به أعمال الانسان ، والمقياس الصحيح الذى تقاس به فعاله ، والمحك الصادق الذى تحك به أخلاقه .. تنبىء بسمو نفسه أو نذالتها ، بنبل عواطفه أو خستها ، برصانة فكره أو ضعفه .

وتختلف هذه الآمال فى الناس حسب اختلاف ثقافتهم ، وتباين شعورهم ، وتشتت ميولهم ، وتشعب زمانهم ومكانهم ، فالمرحوم « الشيخ محمد عبده » جعل مثله الذى أوقف عليه جهوده نشر الدين الاسلامي ، ورأى فى ذلك نشراً للفضائل الانسانية وإصلاحا لفساد المجتمع .. فلما جاء المصلح الخطير « قاسم أمين » جعل مثله الأعلى تحرير المرأة المصرية مما كانت فيه من ذلة وعبودية ، لتؤدى واجبها الذى فرضته عليها الحياة .. فلما جاء « سعد » جعل مثله الأعلى تحرير الامة من سلطان المستعمر ، لتأخذ نصيبها من الحرية التى وهبها الله الناس وهم أجنة فى بطون أمهاتهم .

كل واحد منهم رأى ما وافق شعوره ، ولاءم فكره ، وطابق روح عصره .. أحس بأنه « انسان » فشعر بأنه جاء إلى هذا العالم « كائناً لا قيمة له » ما لم يحمل « رسالة » يعمل على أدائها ، فهو يعتبر نفسه بين أفراد مجتمعه رسولا أوحت إليه عواطفه برسالته ، وألهمه شعوره بواجبه ، وأملى عليه فكره عمله فى حياته ، فأخذ يجاهد ليساهم فى نشر الحق ، وإذاعة الخير العام . فالمثل الأعلى رسالة يحملها الانسان ويجعلها غاية الحياة التى لا غاية وراءها ، ويسعى إلى تحقيقها بكل ما فيه من قوى وملكات .

٢ـ كيف يجب أن يكون ؟

نتبين من الأمثلة الثلاث التى سقتها آنفاً أنها تتجه نحو « الخير العام » ولمثل هذا الخير العام يتحتم أن تتجه المثل العليا ، فالذين انحصرت عندهم غاية الحياة فى نفوسهم ـ فلا يتطلعون إلا لما يفيد أشخاصهم ، ولا ينزعون إلا لما يعود بالنفع على ذواتهم ـ أولئك قوم هانت عليهم كرامتهم فقبلوا أن يعيشوا « عالة » على المجتمع ، يأخذون منه ولا يعطونه ، يمتصون من دمه (رضى أم كره) ثم لا تدفعهم إلى تعويضه نخوة ولا إباء

قد يصح القول بأن « الخير العام » قد يتحقق على يد من لا يعمل إلا ليشبع شهوته ، ويرضى نهمته ـ كما سادت العالم مبادىء الحرية والاخاء والمساواة على يد رجل المجد « نابليون » ـ قد يصح هذا ، ولكننا ننشد فى هذه الكلمة « نفساً نزاعة للكمال » لا تقنع دون أن تجعل « الخير العام » مثلها الأعلى ، وغايتها القصوى التى تجاهد فى سبيلها وتناضل لتحقيقها .

٣ـ قوامه ومداه :

ولكن هذا الخير العام لا يتحقق مالم تكن التضحية قوامه ، فلنحدد مداه بكلمة موجزة أقتبسها من محاضرة لأستاذى الدكتور « منصور فهمى » قال ما معناه :

إن مدى التضحية التى يستلزمها المثل الأعلى هو فوق ما توجبه العدالة ، أى أن حدود الواجب الخلقى أوسع من حدود الواجب العدلى ، ولنضرب لهذا مثلا يوضح ما نرمى اليه .

إذا رأيت غريقاً قد أشرف على الهلاك ، واعتقدت أن فى استطاعتك نجاته ، ولكنك ذكرت أنك مريض بمرض يودى بحياتك ، لو أنك خلعت عنك ملابسك ، وعرضت نفسك للبرد ، فأيقنت أن واحداً منكما هالك لا محالة ، فقارنت فى هذه اللحظة بين نفسك والغريق ، وحاولت أن تكون فى حكمك مجرداً من الأثرة ، خلواً من الأنانية ، فوجدت قيمتك لمجتمعك ووطنك وذويك لا تزيد ولا تنقص عن قيمته لهؤلاء ، وتبينت هذا التكافؤ التام بينك و بينه ، فماذا يكون موقفك ..؟ أتدعه يغرق وتنجو بنفسك . ؟ أم تنقذه وتموت فى سبيله ؟ إن فعلت الاولى قلنا لك إنك فعلت ما تقتضيه العدالة ، ولكنك لم تفعل ما يوجبه الخلق ، فان صاحب المثل الأعلى الخلقى يندفع إلى التضحية دون أن يجنح فكره إلى « فوائد أو منافع » وهو حين يضحى « يعطى » حياته إلى من هو فى حاجة اليها ، والمعطى أشرف من الآخذ ، ولذلك قيل إن الله تعالى يعطى ولا يأخذ . فالتضحية بذلك تشبه بالاله عز وجل .. وكما أن الله تعالى لا ينقص بالاعطاء شيئاً فكذلك المضحى ، مثله مثل الصورة الجميلة ينظر اليها الانسان فتعطيه المتعة واللذة ، فاذا أطال فيها نظره ، وأدام اليها بصره ، ازداد بهذا متعة ولذة ، ولم تنقص الصورة بهذا شيئاً ، بل تزداد وتزداد فى نظره جمالا .. كذلك المضحى حين يضحى في سبيل من يكافئه تماماً يكون قد فعل « جميلا » حتمته الاخلاق . والجميل فى رأى

الجماليين يستمد من نفسه ، وهو حين يضحى فى سبيل من هو « أقل » منه قيمة لمجتمعه و وطنه وذويه ، يكون قد فعل جميلا أربى على جميله الاول ، ويكون بذلك قد ازداد ولم ينقص شيئاً . ازداد سمو نفس ، وكرم خلق ، وخلود ذكر ، وشرف عنصر ، وجلال قدر .

فاذا كان هذا ما يحتمه المثل الأعلى على صاحبه إزاء فرد واحد – هو الغريق مثلا – فماذا يحتمه علينا مثلنا الذى ننشده هنا ؟ وهو يرمى إلى الجهاد فى سبيل أمة أو جيل أو الانسانية بأسرها ؟ إن غايته لتكتسح كل ما يقف فى وجهها هان أو عز . .

٤ – قيمته :

قيمته للجماعة لا يعوزها بيان . وللفرد تنحصر فى أنها تجعل له طابعاً خاصاً يميزه عن غيره من سائر الناس ، فلا تصبح حياته تكراراً لحياة الافراد التى سبقته – شأنه فى هذا شأن الحيوان الاعجم – بل يمسى صورة جديدة لم تألفها الانسانية . ونظرة واحدة إلى مصلح من أولئك الذين حملوا رسالة إلى مجتمعهم تفصح عما نقول ، فحياة « فريد » أو « قاسم » أو « الافغانى » أو من إليهم ، لم تكن صورة من صور الجماعة التى مروا بها .

٥ – كيف ومتى يتكون ؟ :

على أن الانسان لا يستطيع أن يكون صاحب مثل أعلى فى الحياة ، مالم يفكر فى تكوين هذا المثل الأعلى ، وهو لا يستطيع أن يفكر وقت عمله ، لأن وقت العمل مشغول بالتفكير فى العمل نفسه ، بل يمكنه ابتكار رسالته « وقت الفراغ من العمل » .

قال الدكتور هيكل – صاحب هذا الرأى : « إن الحقائق والنظريات والآراء التى تلقى لنا أثناء دراساتنا أو أثناء مطالعاتنا ، لا يمكن أن تصبح حقائق بالنسبة لنا إلا بعد أن نمتحنها ونقلبها ونميز أوجه القوة وأوجه الضعف فيها ، ونؤمن بما يلهم الايمان به منها ، ونفصل ما يهدينا بحثنا إلى زيفه عنها – إلى هذا الحين لا تكون الحقائق حقائق بالنسبة لنا ، وإنما تكون سبل هداية أرشدنا اليها غيرها ، حتى نصل إلى الغاية إذا نحن حاولنا هذا الوصول باستثمار أوقات فراغنا فى التأمل والتمحيص »

ولما كان التفكير غريزة من الغرائز البشرية – والغرائز لا يمكن محوها وإن أمكن تحويل مجراها – كانت محاولة الكف عنه وقت الفراغ محاولة لا تجدى ولا تفيد ، فلنتسام إذن بهذه الغريزة ، فنفكر وقت فراغنا فى النظريات والآراء التى أوحى الينا بها غيرنا : فى التقاليد التى يمليها علينا العرف العام ، وفى العادات التى نسير عليها دون وعى منا .. فاذا فعلنا هذا بدا لنا حق ، ولاح أمامنا باطل ، فنستطيع أن نتخذ – من هذا الذى تبيناه ويخفى على غيرنا – مثلنا الأعلى الذى نجعله رسالتنا التى نسعى إلى … فى تطور العالم إلى الكمال . .

ونكون بهذا قد « نجونا » من الشر الذى كان ينتظرنا لو أننا فكرنا وقت فراغنا فيما لا طائل تحته . وأفدنا فى الوقت نفسه ، وعملنا على أن نفيد المجتمع الذى نمتص من دمه ، وبهذا نكون قد سمونا بكرامتنا المعنوية ، وقدسنا طبيعتنا البشرية ..

-٦- كيف يتركز فى نفس صاحبه ؟ :

ولكن الانسان قد يفكر فى رأى ، فلايلبث حتى يهتدى الى كنهه ، ويصل إلى حقيقته ويراه حريا بأن يكون «رسالة إنسان» ثم لايعمل على نشره ولا يجاهد فى سبيله ، ولا يناضل من أجله ، فما هى الوسيلة السهلة المضمونة التى تقود الانسان إلى « ساحة الجهاد » ليناضل فى سبيل مايرى .. ؟

فان قال قائل إن الطريقة لذلك هى أن « يتعمق » الانسان بالتفكير فيما بدا له ، قلت إن هذا ليس فى مقدور كل إنسان ، ولهذا آثرت أن أجىء بطريقة سهلة يسيرة قد اختطها لنا علم النفس الحديث ، وهى « أن يغوص الانسان بفكرته من عالم العقل الواعى إلى عالم العقل الباطن » وسأيسر هذا الرأى :

تمر بالانسان لحظات يصيبه فيها نصب يمتد إلى عقله فيلجئه إلى الراحة ، وبذلك يمسى الانسان بلا رقيب ، فيفكر كما يفكر المتائون والمجانين ، وأظهر ما تكون هذه الظاهرة حين يستلقى الانسان على السرير متأهباً للنوم ، تتجمهر فى ذهنه خواطر ، ثم تنطلق فى غير وعى . وتنساب دون رقيب من العقل ، فتراه يتصور نفسه قائداً فذاً قد هب للذود عن أمته ، فجمع جيشاً جراراً ثم قاده إلى ساحة الحرب حيث طعن العدو الطعنة النجلاء ، وعاد إلى وطنه مكللا بأكاليل الفوز والفخار ، أو يتصور نفسه مصلحاً خطيراً قد كشف الطريق إلى سعادة الناس فأكبروا منه ما فعل ووضعوه موضع التجلة والاحترام ... هذه الخواطر التى تنساب فى ذهننا دون رقيب من عقلنا ، تكون فى مجال « العقل الباطن » أو « اللاشعور » كما يسميه البعض .

ويقول هؤلاء العلماء : إن الانسان إذا ردد فكرة ما - خيراً كانت أم شراً - فى هذه الساعة التى يسترخى فيها جثمانه ، وتسكن أوصاله ، وتهدأ أعصابه ، وينام عقله - فان هذه الفكرة تغوص إلى مجال اللاشعور فتقود صاحبها إلى العمل بها ، أى تستحيل من فكرة يعلمها الى عقيدة يؤمن بها .

فالذى يتصور نفسه عظيما أبيا ، ويردد هذا التصور فى تلك اللحظات التى أسلفت الكلام عليها ، ينتهى تصوره بأن تدب العظمة فى نفسه ، وتسرى الى شعوره ، فاذا هو عظيم أبى فى معاملته للناس .. !

معنى هذا أن الفكرة قد انتقلت - بهذه الطريقة التى يسمونها الاستهواء الذاتى - من

ساحة المعرفة السطحية إلى ساحة العقيدة والايمان ، فلما حدث هذا طاوعها الجسم فخضع لها . وسار فى الطريق الذى رسمته له . . وذلك لأن الجسم فى رأيهم خاضع تمام الخضوع لا لمعارف الانسان أو ثقافته أو معلوماته ، بل لعقيدته وإيمانه .. . تلك العقيدة التى خلقت من العرب فى جزيرتهم فرسانا بواسل ، أرهب ذكرهم الاقوياء من معاصريهم ، وأحرج صدورهم وأنقض ظهورهم ..

وهذه الطريقة سبيل مضمون لتركيز المثل الأعلى فى نفوسنا . ذلك أننا متى فرغنا من الوصول إليه عن طريق التفكير وقت الفراغ كما قلنا — عمدنا إلى ترداده فى اللحظات التى وصفناها قبلا ، فلا يلبس حتى يمسى عقيدة تبدو مظاهرها فى أقوالنا وأفعالنا، نذود عنها بمهجنا ونفديها بأرواحنا . .

-٧- ممهدات تحقيقه :

قد يفكر الانسان وقت فراغه حتى يهتدى إلى مثل أعلى ، ثم يغوص به من ساحة العقل الواعى الى ساحة العقل الباطن ، ويكون بذلك متأهباً للجهاد فى سبيله ، ولكنه قد يحس فى نفسه بنقص جوهرى يحول دونه والجهاد ، فما هى العناصر التى يجب توافرها فى صاحب المثل الأعلى حتي يتمكن من أن يصمد للجهاد فى سبيل رسالته، فيحققها أو يموت شهيدها ..؟

هذه العناصر أربعة ، هى أن يكون: قوى الجسم ، سليم العقل ، قويم الخلق، مرح الروح. بل إن هذه العناصر الأربعة يجب توافرها فى الانسان قبل تكوين المثل الأعلى أو تركيزه .

أما الجسم القوى فلأن المريض الذى تؤذيه أسقامه ، وتؤلمه أوجاعه ، يكون مشوش الذهن مضطرب التفكير ، فاذا ابتكر مثلا أعلى جاء مريضاً عليلا مثله ، وجنح ذهنه نحو القوة والقسوة والجبروت ، لأن الصحة كما يقولون تاج على رءوس الاصحاء لايراه إلا المرضى وهذا ما حدث تماماً للفيلسوف الالمانى « نيتشه » صاحب النظرية التى أسماها « برناردشو » السبرمان أى الانسان الأعلى . وأكثر من هذا أن صاحب الجسم السقيم لا يستطيع أن يصمد فى جهاده ، ويتحمل مشاق النضال وأهواله ..

وسبيل تقوية الجسم : الاعتدال من ناحية ، والرياضة البدنية من ناحية أخرى فلا يجب أن يجهد الانسان جسمه بعمل ، ولا يبهظ عقله بفكر ما ، ولا يرهق قلبه بعاطفة ما . وأما الرياضة البدنية فلا أحسب القارىء الكريم يعوزه بيان يفصح له عن حاجة الجسم الماسة إليها . . وأما العقل السليم فلأن المثل الأعلى عاطفة فى نفس الانسان نحو الكمال لا تنضج بغير التفكير . ولأن السقيم فى تفكيره يتعذر عليه أن يبتكر من الخطط ما يكفل له النصر على جهل الجماهير . .

وسبيل تقويم العقل : الاطلاع على آراء الغير من كتاب وفلاسفة وأدباء ، والاستعانة

بهذه الثقافة الواسعة على « التجاريب الشخصية » التى لا بد منها لتقويم العقل .

أما الخلق القويم فلأن الفاسد فى خلقه إن استطاع أن يعلن مثلا أعلى يتجه نحو الخير العام ، عجز عن الجهاد فى سبيله ، واستعصى عليه تحقيقه .

وسبيل تقويم الخلق هو المران المستمر – كما رأى أرسطو من قبل

أما الروح المرح فلأنى رأيت العناصر الثلاثة السابقة الذكر قد توافرت فى قوم، وكانوا رغم هذا برمين بحياتهم ، نافرين منها . وعندى أن الذين ألفوا الشكوى من الزمان ، والتبرم بالقدر ، والتأفف من الحياة ، لا ينشرون فى الحياة إلا تثبيط الهمم ، و إخماد العزائم ، وما لمثل هذا يتجه الخير العام . فيجب إذن أن يكلف صاحب المثل الأعلى بحياته ، وأن يقبل عليها محباً لها ، شغوفاً بها ، ليتخذ من آلام الجهاد لذة ومسرة ، فلا ينثنى عن عزمه حتى النفس الأخير . قد يقول قائل : كيف يكون الانسان عاقلا ومرح الروح فى وقت واحد .؟ أليس يقول المتنبي :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم ؟

ولكن هذه النظرة فى اعتقادى مريضة ، فان الشطرة الاولى مردود على ماجاء فيها بأن العقلاء ليسوا جميعاً أشقياء .. و بأن الشقاء والسعادة يجيئان غالباً عن طريق الاعصاب والشعور ، لا عن طريق العقل . وأما الشطرة الثانية فمردود عليها بأن الجاهل ليس سعيداً و إن لم يكن شقياً ... ليس شقياً لأنه لا يشعر بشقاوته ، وليس سعيداً لأنه لا يشعر بسعادته ، فمثله يقرب من مثل الطفل لا يشعر بسعادته و إن كان سعيداً .. وعلى هذا فقد يجتمع العقل وحب الحياة ..

فاذا كان صاحب المثل الأعلى قوى الجسم ، سليم العقل ، قويم الخلق ، مرح الروح ، تمكن من أداء رسالته ، واستطاع أن يصمد للنضال فى رصانة وقوة ..

* * *

ذلك مثلنا الأعلى الذى ننشده ، والذى نرجو أن يتردد على كل لسان ، وأن يخفق به كل جنان ، ليملي على صاحبه رسالته فى الحياة ، ويخط له واجبه الواسع المدى ، و يهز فيه الشعور بكرامته كانسان رأى « انسانيته » وقفاً على « رسالته » فحملها وراح يعدو بها فى ساحة الجهاد ، حتى يضعها لبنة قوية رصينة فى بناء مجتمعه ؟

توفيق الطويل

عبرة من التاريخ كلمات تذهب بملك آل صفرة

بقلم المؤرخ الكبير

الشيخ عبد الوهاب النجار

استاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

هـذا هو القسم الثانى من البحث القيم ، الذى تفضل الأستاذ الجليل الشيخ النجار ، بتقديمه لقراء (المعرفة) وقد تناول الأستاذ فى القسم الاول الكلام على المهلب والى خراسان وعن يزيد بن المهلب والى خراسان ومنزلته وعلمه وكرمه ، وشجاعته وامارته على خراسان . . . . الخ

تغير الحال بين الحجاج ويزيد وعزله :

عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن إمارة خراسان وتغير له ولآل المهلب ، بعد إذ كان لهم وداً ، وكان الحجاج زوجا لهند بنت المهلب ، ولهذا التغير أسباب عدة :

أولا — أن الحجاج كان قد أذل أهل العراق ، فانقادوا له بخزائم الرهبة ، إلا آل المهلب ، فقد كانوا بمنجاة من الذل لمكانهم فى الدولة وعدم من يعنى غناءهم فيها ، ولأنهم أبطال ، قادة ، سادة ، كرماء — ومن عادة الشجاع أنه لا يذل ولا يحمل ضيما — فاشتهى أن يذلهم .

ثانياً — أن الحجاج وفد على عبد الملك بن مروان سنة ٨٥ هـ فمر فى طريقه براهب فقيل له : إن عنده علما فدعا به ، وكان بينهما الحديث الآتى : —

ح : هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ ر : نعم . ح : مسمى أم موصوفا ؟ ر : كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ، ومسمى بغير صفة . ح : فما تجدون أمير المؤمنين ؟ ر : نجده فى زماننا ملكا أقرع من يقم لسبيله يصرع . ح : ثم من ؟ ر : اسم رجل يقال له الوليد ، ثم رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس . ح : أتعلم من يلى بعدى ؟ ر : نعم ، رجل يقال له يزيد ح : أفتعرف صفته ؟ ر : يغدر غدرة ، لا أعرف غير هذا .

سمع الحجاج هذا القول من الراهب ، فأدار عينه فى رجالات الدولة ليعرف يزيد الذى يلى العراق بعده ، فلم يجد ممن يحمل هذا الاسم من ترشحه صفاته وخلاله لأن يلى إمارة العراقين سوى يزيد بن المهلب ، فأضمر له الشر ، وعزم على الكيد له .

ثالثا — أرسل الحجاج الى يزيد أن يغزو خوارزم ، فقال له : إنها قليلة السلب ، شديدة الكلب ، فقال : استخلف وأقدم ، فقال : إنى أريد أن أغزو خوارزم ، فقال له : لا تغزها فانها كما ذكرت . فغزا ولم يطعه ، فغنم وسبا ، وفى عوده أصابهم برد شديد ، فأخذوا ثياب السبي فهلكوا . فقال له الحجاج أقدم ، فقدم قدوم البطل الفاتح ، وكان لا يمر ببلد إلا فرش أهلها له الرياحين .

هذه الأسباب الثلاثة حدت بالحجاج الى الكيد ليزيد بن المهلب ، ووجهت همته إلى عزله ، فأخذ يحسن لعبد الملك بن مروان عزله وتعذيبه وبعض آله ، فكان بين عبد الملك والحجاج ما ملخصه :

أخذ الحجاج يذم يزيد بن المهلب وآل المهلب ، ويطعن فى إخلاصهم لبنى أمية ، ويرميهم بأن هواهم فى آل الزبير وصفوهم اليهم ، فكتب اليه عبد الملك : إنى لا أرى طاعتهم لآل الزبير نقصاً بآل المهلب ، ووفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لى .

لم يكتف الحجاج بذلك، بل رجع يذم لعبد الملك يزيد ويخوفه غدره وقص له ما سمع من الراهب . فكتب اليه عبد الملك يقول: إنك أكثرت فى يزيد وآل المهلب ، فسم لى رجلا يصلح لخراسان، فسمى له قتيبة بن مسلم الباهلى ، فكتب اليه أن وله . ولكن الحجاج خشى أن يقوم يزيد وآل المهلب بثورة فى خراسان ، فكتب إلى المفضل بن المهلب ، بأنه ولاه خراسان ، وأمره أن يعجل بارسال يزيد ، فلما عاد يزيد — وذلك فى ربيع الآخر سنة ٨٥ — أبقى المفضل تسعة أشهر ثم عزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلى .

مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ ، وجاء الوليد وليس عنده لآل المهلب ما كان عند عبد الملك من اعتقاد وفائهم وخلوص طاعتهم ، فقبض الحجاج على يزيد وعبد الملك والمفضل أبناء المهلب ، وطالبهم بستة آلاف الف درهم ، واستأذن الوليد فى قتلهم ، فلم يأذن إلا بتعذيبهم بما لا يأتى على أنفسهم ، فكان يزيد يعذب ولا يظهر تألماً ، بل أظهر جلداً نادراً ، وكان ذلك يغيظ الحجاج ، وهو يشتهى أن يرى يزيد متألماً من العذاب ، فدل على موضع من ساقه أصابته نشابة فى إحدى الحروب ، وثبت أصلها فى ساقه ، فلا يمس إلا تألم ، فعذبه في ساقه، وحينئذ فارق يزيد تجلده وجأر بالشكوى من الألم ، وعاهد الحجاج على مال يؤديه كل يوم فداء عن عذابه .

ولما صرخ يزيد من الألم سمعته أخته هند زوج الحجاج فصرخت وأعولت ، فطلقها الحجاج ثم إنه كف عنهم العذاب ، وأخذ يستأديهم المال.

هرب يزيد واخوته من سجن الحجاج : ظل يزيد بن عبد الملك والمفضل فى سجن الحجاج الى سنة تسعين ، فلما خرج الحجاج الى (رستافاياذ) ليبعث بعثاً على الاكراد الذين غلبوا على فارس

أخذ معه بنى المهلب الثلاثة ، وجعلهم فى فسطاط قريب منه ، وجعل عليهم كهيئة الخندق . وقد كان الاخوة الثلاثة قبل ذلك ، قد أرسلوا لأخيهم مروان وهو مطلق ، أن يضمر لهم خيلا جيادا ، موهما أنه يريد بيعها ، وأن يغلى ثمنها حتى لا يقبل على شرائها أحد ، وأن يرصدها لهم حتى اذا أتيح لهم الهرب من السجن كانت عدتهم وسبب نجاتهم ، ففعل .

فى معسكر الحجاج تحت سمعه وبصره ، دبر يزيد بن المهلب أمر هربه من سجنه ، فأمر للحراس بطعام كثير فأكلوا ، وأمر لهم بشراب فسقوا ، واشتغلوا بذلك وغفلوا عن أمر يزيد وإخوته ، فاهتبل يزيد فرصة اشتغالهم عنه ، ولبس ثياب طباخه ، ووضع على لحيته لحية بيضاء للتنكر ، وخرج من معسكر الحجاج تحت جنح الليل ، وتبعه أخواه : المفضل وعبد الملك الى سفن معدة سارت بهم الليل كله ، ولما دنوا من البطائح استقبلتهم خيلهم ، فطاروا عليها الى فلسطين ونزلوا بها على وهيب بن عبد الرحمن الازدى ، وكان كريماً على ولى العهد سليمان بن عبد الملك أثيراً لديه .

نترك يزيد بن المهلب فى فلسطين ، ونعود الى الحجاج فنراه قد علم بهرب يزيد ، فأهمه ذلك وكتب الى قتيبة يحذره دخول يزيد عليه خراسان ، والى الوليد يعلمه بهرب ولد المهلب ، ويبعث الطلائع والرواد فى كل طريق يتحسسون شأنهم ، الى أن جاءه الخبر بعد يومين أنهم قصدوا قصد الشام ، فكتب بذلك الى الوليد : أن آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان .

هذا الخطاب من الحجاج أدى إلى الوليد أمرين مختلفى الأثر : أما أولهما ، فان قصدهم سليمان أثلج فؤاده ، إذ علم أن آل المهلب لا يريدون فتنة ولا إثارة حرب على الدولة ، وأما الثاني ، فانه قد اشتد حنقه عليهم للمال الذى قال الحجاج إنه قبلهم .

نرجع الى سليمان بن عبد الملك — وقد تحمل من جوار آل المهلب ما تحمل ، وكفل لهم الأمنة فى كنفه — فنجده قد كتب الى أخيه الوليد أمير المؤمنين ، يطمئنه من جهة يزيد ويضمن له المال الذى عليه ، ويقول له : إن يزيد عندى وقد آمنته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، لأن الحجاج أغرمه ستة آلاف الف ، فأدى منها ثلاثة آلاف الف ، والذى بقي ثلاثة آلاف الف ، أنا أؤديه .

أما الوليد فلم يرقه ما فعل سليمان ، لأن الدين متى كان على سليمان فهو لا يطالبه به ، فكتب إلى سليمان : والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلى ، فأراد سليمان أن يصور له حاله معه ، ويعلمه أنه جاد فى حمايته ، فكتب اليه : لئن أنا بعثت به اليك لأجيئن معه . ورأى الوليد أن مجيء سليمان مع يزيد يغل يد الوليد عن شيء إن أراده بيزيد ، واذا أصدر عفواً لا يكون ذلك العفو خالصا من شائبة التورط ، فكتب الي سليمان : والله لئن جئتنى لا أؤمنه .

وقف يزيد بن المهلب على ما كان بين الخليفة وولي عهده ، وأن الأمر تحرج بينهما بسببه ، فقال لسليمان : ارسل بي اليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينه وبينك عداوة ، ولا أن يتشاءم الناس بي لكما ، واكتب معي بألطف ما قدرت عليه .

فعل سليمان ما طلبه يزيد ، وأرسل معه ابنه ايوب ، وكان الوليد قد أمر أن يجيئه اليزيد مقيدا ، فقال لابنه ايوب : اذا دخلت على أمير المؤمنين فادخل أنت ويزيد فى سلسلة ، ففعل . فلما رأى الوليد ابن اخيه فى السلسلة قال : لقد بلغنا من سليمان ، ودفع أيوب كتاب أبيه الى الوليد وقال له هذه الكلمة التى تلين القلوب القاسية ، ونصها كما رواها ابن الأثير :

« يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك ، لا تخفر ذمة أبى وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذل من رجا العز فى الانقطاع الينا لعزنا بك »

قرأ الوليد كتاب سليمان بعد ذلك وهو يستشفع له ويضمن المال عليه ، واعتذر يزيد فأمنه وعفا عنه ، فرجع يزيد الى سليمان .

كتاب سليمان الى الوليد : كانت نسخة كتاب سليمان : لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك . أما بعد يا أمير المؤمنين ، فوالله إنى لأظن أنه لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك لأنزلته وأجرته ، فانك لا تذل جارى ، ولا تخفر جوارى ، على أنى لم أجر الا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء والأثر فى الاسلام ، هو وأبوه وأهل بيته ، وبعد فقد بعثت به اليك ، فان كنت انما تعرف قطيعتى ، والاخفار لذمتى ، والابلاغ فى مساءتى ، فقد قدرت ان انت فعلت ذلك ، وأنا أعيذك بالله من اختيار قطيعتى ، وانتهاك حرمتى ، وترك برى وصلتى ، فوالله يا أمير المؤمنين ، ما تدرى بقائى وبقاؤك ؟ ولا متى يفرق الموت بينى وبينك ؟ فان استطاع أمير المؤمنين — أدام الله سروره — أن لا يأتى علينا أجل الوفاة الا وهو لى واصل ، ولحقى مؤد ، وعن مساءتى نازع ، فليفعل . والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشىء من أمور الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر منى برضاك وسرورك ، وترضاك مما ألتمس به رضوان الله ، فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتى وصلتى وكرامتى وإعظام حقى ، فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على . فلما قرأه قال : لقد شققنا على سليمان ، ودعا بابن أخيه فأدناه منه ، ثم يزيد بن المهلب ، فقال : بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينسى ذلك فلسنا بناسيه ، ومن يكفر فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلائنا أهل هذا البيت فى طاعتكم ، والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام ، فى المشارق والمغارب ، ما أن المنة فيه عظيمة . فقال له : اجلس فجلس وأمنه .

وكتب الوليد الى الحجاج : إنى لم أصل الى يزيد وأهله مع سليمان ، فاكفف عنهم ولا تكتب الى فيهم ، فكف الحجاج عنهم ، وترك ألف ألف كانت على أبى عيينة بن المهلب ،

وكف عن حبيب بن المهلب — وكان يعذب بالبصرة — وأقام يزيد عند سليمان فى كنف أمنه وغبطة وأرغد عيش وأنعم بال ، لا يهدى الى سليمان هدية الا بعث بنصفها الي يزيد ، ولا تهدى الى يزيد هدية إلا بعث بها الى سليمان ، ولا تعجب سليمان جارية إلا بعث بها الى يزيد .

موت الحجاج : فى خلافة الوليد مات الحجاج سنة ٩٥ هـ واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبى كبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم ، ولم يغير الوليد ما صنع بل أقر خلفاء الحجاج وعماله على حالهم ، ومن هنا نعلم أن الذى خلف الحجاج على العراق يزيد ولكنه غير يزيد بن المهلب الذى اضطهد ظلماً لمجرد التوهم بأنه يلى بعد الحجاج .

يزيد بن المهلب يلى على العراق : توفى الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين ، وأفضت الخلافة الى سليمان بن عبد الملك ، فولى يزيد العراق دون خراسان .

ولم تكن ولاية يزيد بن المهلب العراق بالتى تسره كل السرور ، فقد حسب لولاية العراق ألف حساب ، فقد نظر فى نفسه وما هو قادم عليه من هذا الأمر الجسيم فقال فى نفسه : ان العراق قد أحربها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، يفزعون الى فى نوائبهم وقضاء حوائجهم وحمل كلهم ، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه ، صرت مثل الحجاج : أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التى عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل منى . فأعمل الحيلة فى أن يحط عن نفسه مؤونة الخراج ، فجاء الي سليمان وقال له : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه « صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم » فقال : قد قبلنا رأيك فيه (وجل هم يزيد أن يكون التقصير فى أمر الخراج آتياً من قبل غيره ، ولم يدر أنه بذلك قد كاد نفسه)

قدم صالح العراق قبل مقدم يزيد ، ونزل واسط ، فلما قدم يزيد العراق قدم الناس يتلقونه من بعد ، ولم يخرج صالح حتى قرب من مدينة واسط ، فخرج اليه وبين يديه أربعمائة جندى من جنود الشام ، فلقى يزيد وسايره حتى دخل المدينة ، وقال له : قد فرغت لك هذه الدار ، ثم مضى صالح . ومن هذا الوقت أحس يزيد بتضييق صالح عليه ، وقد ظهرت آثار هذا التضييق فى أمور :

١ — اتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتب ثمنها على .

٢ — اشترى يزيد متاعاً كثيراً وصك صكا كا الى صالح ليبتاعها منه فلم ينفذها ، فرجع أصحاب الصكاك الى يزيد ، فغضب وقال : هذا عملى بنفسى . وذلك أن سليمان كان قد ولى يزيد حرب العراق وصلاتها وخراجها فاستعفاه من الخراج وأشار عليه بصالح كما قدمنا .

لم يلبث صالح أن جاء الى يزيد فوسع يزيد له ، وكان بينهما الحوار الآتى : —

صالح : ما هذه الصكاك ؟ إن الخراج لا يقوم لها ، ولقد نفذت لك صكاكا بمائة ألف درهم ، وعجلت لك أرزاقك ، وسألت مالا فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضى به أمير المؤمنين وتؤخذ به . يزيد : يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة ، وضاحكه . صالح : انى أجيزها فلا تكثرن على . يزيد : لا أكثر عليك .

هنا حاسب يزيد بن المهلب نفسه ، وعلم أنه جنى على نفسه ، ووازن بين همته وبين الوضع الذى وجد عليه ، فسجية كرمه تأبى الا أن ينفق ويغدق ، ومن فى يده المال لا يوافقه على ذلك ، ففتقت له الحيلة أن يطلب من أمير المؤمنين إمرة خراسان ، لأن بها الغزو المقرب للغنى والغنائم الرغيبة التى ينفق منها عن سعة انفاقا يتفق مع كرمه وكرامته وهمته ، غير أن يزيد أراد أن يكون الامر صادراً اليه من الخليفة دون أن يطلب هو ذلك ، فطلبها طلباً غير مباشر ، ذلك أنه عمد الى عبد الله بن الأهيم ، وكان داهياً أريباً ، فكان بينهما الحوار الآتى : —

يزيد : إنى أريدك لأمر قد أهمنى ، فأحب أن تكفينيه . عبد الله : أفعل . يزيد : أنا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه ، وخراسان شاغرة برجالها فهل من حيلة ؟ عبدالله : نعم . سرحنى الى أمير المؤمنين . يزيد : اكتم ما أخبرتك

على اثر هذا الحديث القصير ، كتب يزيد الى الخليفة يعلمه علم العراق ، وأثنى على ابن الأهيم ، وذكر فضله وعلمه بالعراق وخراسان ، وبعث بالكتاب مع ابن الاهيم . فلما قدم على سليمان قال له : إن يزيد كتب الى يذكر علمك بالعراق وخراسان فكيف علمك بها ؟ قال أنا أعلم الناس بها : بها ولدت ، وبها نشأت ، ولى بأهلها خبر وعلم . قال : فأشر على برجل أوليه خراسان ، قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد ، فان ذكر منهم أحدا أعلمته برأيى فيه . فسمى رجلا من قريش . فقال ليس من رجال خراسان ، قال : فعبد الملك بن المهلب . قال : لا يصلح فإنه يصبو عن هذا ، فليس له مكر أبيه ولا شجاعة أخيه . حتى عدد رجالا كان آخرهم وكيع بن أبي سود ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام ، وما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندى يدا من وكيع ، لقد أدرك بثأرى ، وشفانى من عدوى ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا ، والنصيحة له تلزمنى . إن وكيعا لم تجتمع له مائة عنان قط ، إلا حدث نفسه بغدرة ، خامل فى الجماعة ، ثابت فى الفتنة . قال : ما هو ممن نستعين به فمن لها ويحك ؟ قال : رجل لم يسمه أمير المؤمنين . قال : من هو ؟ قال لا أذكره حتى يضمن لى أمير المؤمنين ستر ذلك ، وأن يجيرنى منه إن علم . قال نعم . قال عبد الله : يزيد بن المهلب . قال سليمان : العراق أحب اليه من خراسان . قال ابن الأهيم : قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق ويسر ، قال أصبنا الرأى ، وكتب عهد يزيد على خراسان ، وسرح به عبد الله بن الأهيم ، فلما قدم على يزيد أخذ فى الجهاز للسفر من ساعته ؟

« يتلى »

عبد الوهاب النجار

كتاب ابن الرومى

نقد وتحقيق بقلم الاديب الكبير

السيد مصطفى صادق الرافعى



(السيد مصطفى صادق الرافعى)

السيد مصطفى صادق الرافعى ، فى المقدمة من رجال الادب القديم ، وهو بحق حامل لوائه والذائد عن حياضه .

واذا كان قد بدأ كتابته فى (المعرفة) بنقد كتاب الاستاذ العقاد ، فليس ذلك عن غرض كما قد يتوهم البعض ، أو عن تآمر — بين الاستاذ الرافعى والمحرر — كما يتوهم آخرون ، ولكنه نقد برىء ، قصد به الى اظهار الحق ، بعيداً عن الغرض .

ويحسبنا أن نصارح قراءنا بأن ثمة خلافا ... كان بيننا وبين الاستاذ الرافعى ، من ستة أشهر تقريبا ولكنه زال ولله الحمد ، على أثر تشريفه لنا بزيارته ، وتفضله بهذا النقد الطريف .

ويسر (المعرفة) أن تصارح الاستاذ العقاد ، بأنها على استعداد تام لنشر ملاحظاته ، ان كانت له ملاحظات على هذا النقد .

المحرر

وضع الاديب عباس محمود العقاد كتابه هذا فى الكشف عن حياة ابن الرومى واستخراجها من شعره ، وفى الكلام على أدبه ونهجه ، وفى بيان منزلته ومحله ، ثم خصائصه ومزاياه ، وغملاته وسقطاته ، فكتب فى كل ذلك ثلاثمائة وثلاثين صفحة ، دخلها كثير من شعر ابن الرومى : يستدل به ، أو يستنبط منه ، أو يخرج عليه ، ثم ختم كتابه بستين صفحة اختارها من ديوان الشاعر وقال « إنها تتم المعرفة بشاعريته من جميع نواحيها »

وقد وقع الي هذا الكتاب فقرأته ، فشككت أن المؤلف قد كان يتوجه و يقارب الغاية لو أنه عكس الوضع فى كتابه ، فاختار من شعر ابن الرومى ثلاثمائة وثلاثين صفحة وكتب عنه الباقى ، اذ ليس الاعتبار فى مثل هذا البحث بالورق والحشد فيه ، ولا بالجرى على عادة الاستعمال فى الكتابة الصحافية ، التى بلغت أن تجرى فى أصابع كتابها مجرى الكلام فى ألسنتهم .... بل هو التاريخ لا يجوز أن يخلق ابتداعاً ، ولا أن يحدث على غير ما حدث ،

فلا تتمحل له الفروض ، ولا تلتمس فيه غير حقائقه ، وليس للكاتب فيه إلا الحادثة على نصها ، ثم إقامة الحجة على وجهها ، ثم شرح العلة على مقدارها ، ثم ما بين ذلك من استخراج الاسباب التى تتوافى بها الحوادث وتجتمع وتتركب ، ثم ماحول ذلك مما لابدأن تسترسل فيه نفس الكاتب من فن الملاحظة أو ملاحظة الفن ، ليثبت أن التاريخ قد اتصل منه بالحياة مرة أخرى .

ولو أن متعصباً على ابن الرومى منحرفا عنه ، قد أفرط فى تهجينه واستهلكه بالنقد ، ونعى كل سيئاته ، ونقض كل حسناته ، لما كان بعمله ذاك الا فى الجانب الآخر من صنيع العقاد الذى غلا فى ابن الرومى أشد الغلو ، وتعسف له المعانى ، وجاوز به التقدير ، وأخذه حقيقة ، وأبرزه خرافة ، فهو من هذه الناحية فى حكم التاريخ كذلك المتعصب ، كلاهما لا يكتب على مذهبه الا وقد وضع عن نفسه أنه ليس فى الناس من يعتبر عليه بنقد أو يتعقبه بتصحيح ، وكلاهما لا يمضى إلا على ماصور له الغرض ، ولا يقصد الا قصد التسويغ لما فى نفسه ، وكلاهما بتاريخه وراء الحدود التاريخية . . .

يقول الاديب عبد الرحمن صدقى فى ما كتب فى المقتطف عن العقاد وكتابه : « إن كل لفظ فى عبارته له قيمة الارقام الحسابية الدالة على العدد . . وإنها لمعجزة أن تكون هذه الدقة الحسابية مفرغة فى قالب من جمال الفن السامى » . ونقول نحن : إن الذى تقع له هذه المعجزة فيما يكتبه حرى أن لا يخطىء فيما ينقله ، وإن من لا يوثق بصحة تمييزه لما يقرأ ، خليق أن يكون بعيدا عن معجزات البيان بل عن البيان نفسه .

لقد صحح العقاد غلطات كتابه واستدركها فى آخره ، وأحصي منها ما لا خطر له كتصحيح نفخ الريح بنفح الريح ، والفرد بالقرد ، فما وقع فى نقله مما لم يصححه فانما هو غلط فى الفهم وانما هو شىء لا يجرى فى (الدقة الحسابية) ولا يدل عليها بل على نقيضها . فانظر أين الدقة فى هذا البيت الذى ورد فى صفحة ٢١ :

كم رضيع هناك قد فطموه   بشفا السيف قبل حين الفطام

وإنما هى « بشبا السيف » . وفى صفحة ٢٩ نقلا عن معجم الادباء « يلائم الخمار ويفيق الشهوة » وصوابها « ويفتق الشهوة » . وفى هذه الصفحة عينها « لأمر ما قد قمت » وإنما هى قدمت . وفى صفحة ٤٠ عن معجم الادباء « وأمرت بنقله إلى آخر نار الله وسعيره ، والصواب الى حر نار الله . وفى صفحة ٦٧ فى خادم اسمه إقبال نقلا عن كتاب العمدة « ومنكوس اسمه لا بقا » وهى معكوس اسمه . وقد يظن القارىء أن هذه غلطات مطبعية ولكنه يصيبها كذلك فى الكتب التى نقل عنها العقاد ، فهى غلطات لم تقع منه ولكن وقع هو فيها . ومنها فى صفحة ٧٢ نقلا عن أمالى المرتضى « فدخل يوماً (الوزير) عبيد الله الى أبى الحسن (ابنه القاسم الذى سم ابن الرومى) وابن الرومى عنده ، فاستنشده من شعره .

فأنشده وخاطبه ، فرآه مضطرب العقل « جاهلا » ، وكرر هذا النقل فى صفحة ٢٥٦ وهو كذلك فى الامالى . قلنا : فاذا كان ابن الرومى جاهلا ولا يراه كذلك الا الوزير الكاتب البليغ عبيد الله بن سليمان ، ففيم كتاب العقاد .. ؟ إنما صواب العبارة فرآه مضطرب العقل ذاهلا . وقد وصفوا ابن الرومى بأنه كان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على تغير حال ، وذلك هو الذهول . وفى صفحة ١١٢ يصف ابن الرومى زيغ بصره :

و بورك طرفى فالشخوص حياله قرائن من أدنى مدى وهى فرد

يريد أنه يرى الشىء اثنين ، وكرر العقاد نقل هذا البيت فى صفحة ١٣٠ وفسر هذه البركة... واستدل بها على أن ابن الرومى يتهكم حتى بنفسه ، مع أن القصيدة التى منها البيت تحسر وتوجع ، ولا نحسب معتوها فضلا عن رجل كابن الرومى يعد مثل هذه العلة بركة فى نظره ، وإنما هى (وشورك طرفى) أى كأن فى عينه ناظرين للشخص الواحد ، وهذا هو المعنى الشعرى الدقيق لا ذلك المعنى الفاسد الذى يقول فيه العقاد : إنه « يحمد الله على زيغان بصره » ... ونعوذ بالله من هذا الذوق الفاسد .

وفى صفحة ١١٨ يقول العقاد وهو يصف ابن الرومى بما استدل عليه من شعره . . إنه كان يعاف المشمش لأنه دواء لاغذاء .

إذا مارأيت الدهر بستان مشمش فأيقن بحق إنه لطبيب

وقد أيقنا بحق . . . أن العقاد لم يفهم المعنى ، فكيف يعاف الشاعر السقيم المعتل فاكهة تكون دواء للجسم ؟ أما الذى يريده ابن الرومى فهو أن المشمش داء (لا دواء) إذ هو ينتهى بمن يأكله الى الطبيب ، وهو معنى أخذه مما كان يقول به الاطباء من أن هذه الفاكهة تجلب الحمى ، فهكذا يستدل مؤلفنا بشعر ابن الرومى على حياته وصفاته . . .

ومثل هذا كثير فى الكتاب أحصيناه كله واجتزأنا بهذا القدر منه تفاديا من الاطالة وهو حسبك فى الدلالة على تمييز العقاد وفهمه و بصره بالكلام .

* * *

ونعرض الآن لموضوع الكتاب فهو كما قلنا يجرى على عادة الاستعمال فى الكتابة الصحافية ، حتى ما من ورقة فيه إلا وانت تستطيع أن تنقض منها على المؤلف أو ترد عليه إذ كل ما فى الكتاب استرسال ، و إغراق وترخص ، كأنه يأخذ الكلام عسفاً وجرفاً . حتى خرج بابن الرومى عن مقداره ومقدار عصره كأن الرجل كان فى زمنه غفلا غير معروف ، فلا يفهمه أحد ولا يتعاطى شأوه إنسان ، وكأن شعره الذى وضعه من ألف سنة بقى ألف سنة لا يجد من يفصح عما كان فى نفس واضعه . ثم ما الذى كان فى نفس واضعه يومئذ وأخفاه ابن الرومي عن قومه وعصره وعن نفسه أيضا . . . ؟

كانت هناك أصول ومعان لا تكشف الا بعبارات مترجمة من كتب الأدب الأوربى فى هذا العصر . . . « كعبادة الحياة ، ومنح الطبيعة الحياة من عنده أو من عند الخرافات . . . والاصغاء الى سر الحياة الكامنة فى الأرض ، والعلم أن أنسه بالطبيعة مستمد مما يفيضه هو عليها من دلائل الحياة ، والخلع من شبابه عليها والخلع من شبابها عليه والمزج بينهما مزجاً لا تخاله يكون الا فى مهجة واحدة . . . وإعطاء الحياة وإعطاء الشخوص . . . ولهنوات (كذا) النفوس عنده شخوص يخاطبها وتخاطبه ، وعالم الطفولة الخالدة لم تزدها السنون الا إمعاناً فى الطفولة واغراقا فى اللعب وشوقا الى الحلوى ورهبة من العصا ... »

نظن أنه لا ينفع العقاد أن تقره الدنيا كلها على تعقيد حياة ابن الرومى هذا التعقيد اذا كان لا ينكره عليه إلا ابن الرومي نفسه وأهل عصره . على أن كل كاتب يستطيع أن يتناول أسخف الشعر وأرذله وأبرده من أى عصر شاء ، ثم يحمل عليه كل ما جاء فى كتاب العقاد عن ابن الرومي من مثل هذه العبارات ، ويوطىء له منها ويشرحه بها من نحو :

قال محمد : هو ابن مالك أحمد ربى الله خير مالك

فانظر كيف بر الناظم أباه ؟ وهذا فيه دليل التقوى والورع كأنه يكافئه على ايجاده إياه بتخليد اسمه فى أول كلماته، ثم ذكره اسمه دليل على عبادته الحياة ورغبته بعد الموت أن لا يموت اسمه، كأنه أعطى الحياة الآتية من بعد شخصاً ليس فيها ، ولكن لا بد أن يكون فيها ولا بد أن يبقى فيها ما بقيت العربية . وتأمل كيف جعل نفسه (يقول) وهو ميت لا يقول شيئاً ، فهذا دليل على أن لهنوات النفوس عنده شخوصاً ... كما أنه دليل على طفولته الخالدة ، إذ أظهر صفات الطفل أن يلفت النظر اليه . الخ الخ

أفيسمى مثل هذا الكلام الصحافى بحثاً فى البيان والأدب والاستدلال على الحياة بالشعر ؟

* * *

تكلم المؤلف فى المقدمة عما سماه الطبيعة الفنية ، ونقل قول ابن خلكان فى وصف ابن الرومى اذ يقول « هو صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكامنها ، ويبرزها فى أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ». قال العقاد : وهذا وصف صادق كله ولكنه ليس بكل الوصف . فهو تعريف ناقص والناقص فيه هو المهم .... إذ هو هو المزية الكبرى فى الشاعر ، وهو هو الطبيعة الفنية التى تجعل الفن جزءاً لا ينفصل من الحياة . ثم انسحب على هذا المعنى وخلط فيه على طريقته المعروفة التى تدل القارىء المتبين أن الكاتب يشعر دائماً بأن رأيه لضعفه أو شذوذه موضع

المنازعة والمحاجة ، فهو يرقعه من كل فتوقه ، و يضطره ذلك أحياناً أن يأخذ رقع الثوب من الثوب نفسه ، فاذا ناحية مرقوعة بناحية ممزقة...

ليس ابن الرومى لغزاً بشرياً ، فأنه كان شاعراً « صاحب توليد غريب ومعان نادرة ، ولا يترك المعنى ، حتى يستوفيه إلى آخره » ، فهل هـذا الا من أنه « صاحب طبيعة فنية وإحساس حى وأن ذخيرة نفسه تتطلب التعبير للافتنان فيه ? وهل كان واجباً على أدبائنا وعلمائنا المتقدمين أن يبقوا أحياءاً على الأرض ألف سنة حتى يقرؤا الكتب الأدبية الأوربية الحديثة ، و يصفوا ابن الرومى بألفاظها ليتمموا التعريف باللغة الأدبية المترجمة التى لا يقبل فى مصر غيرها ?

إنما خلط العقاد ذلك الخلط لأنه لم يفهم معنى « التوليد » ولا المعانى النادرة وظن هذا كله صناعة وزخرفا و «أدوات للتعبير » حتى قال : فاذا لم يكن عند الشاعر ما يعبر عنه، فكل معانيه وتوليداته ونوادره لغو لا حاجة بنا اليه ، واذا ما كان عنده ما يعبر عنه واستطاع التعبير بغير توليد ولا إغراب ولا استغراق ، فقد أدى رسالته .

ونحن نقول: إنه ليس على وجه الارض عبقرى ذو طبيعة فنية إلا وأساس عبقريته «التوليد» وحده ، لأن هذا التوليـد هو الاحساس الحى بالمعانى ، وهو القوة التى يتحول بها الكون فى نفس من الأنفس الرقيقة الى التعبير ، وهو أساس الالهام والدرجة الممكنة من الوحى لغير الانبياء ، وبه يحس العبقرى أن الكون فى ذاته وأنه مترامى الحدود مع الاشياء ، وأن الحياة مضاعفة فيه بآلامها وأفراحها، وأنه منصوب لتفسيرها مهيأ لابلاغ رسالة من رسائلها .

فليس التوليد أخذ معنى من غيره فان هذا بعض عمله ، أما هو فهو الملكة المتأتيـة من أسباب كثيرة : أولها الطبيعة الفنية التى لا يخص الله بها إلا أهل هذه الملكة وحدهم . وفى الجملة فالتوليد هو اسم آخر للجهاز العصبي الدقيق المرهف المستحكم، إذ لا يستطيعه الا من وهب هـذه الموهبة أو من أصيب بها . فلو فقد ابن الرومى ملكة التوليد لكان نظاماً ليس غير . والعجيب أن العقاد يقول : فقد تحذف منه توليداته ومعانيه، ولا تحذف منه عناصر الشاعرية والطبيعة الفنية . . .

أحذف ! ويحك، توليدات ابن الرومى ومعانيه ، فكيف تعرف أنه شاعر ? وكيف يبلغك فى التاريخ وما هي عناصر الشاعرية التى تدلك عليه ? واذا لم يكن إلا رديئه والساقط من كلامه والسخيف من معانيه فكيف بهذا يكون عندك « الشاعر من فرعه إلى قدمه » وهو قد حرم طبيعة الشعر وملكة الاستجابة للاحساس التى سموها بعملها أى التوليد ?

وتكلم المؤلف عن عصر ابن الرومى ـ وعصر ابن الرومى هو عصر كل شاعر كان فيه ـ فلو ترجمنا لمائة شاعر من أهل هذا العصر، لوجب أن يتكرر هذا الفصل مائة مرة. على أن عصر

الشاعر، ليس هو الخلفاء والأمراء والحكام والنظام والاقطاع والحالة السياسية والحالة الدينية والحالة الأخلاقية، وهذا الحشو الثقيل الممل، بل هو ما اتصل بالعصر وحياته من الشاعر نفسه. وهبك تكتب عن رجل فى مستشفى المجاذيب فما صلة هـذا الرجل بالخلفاء والأمراء والسياسة والدين الخ الخ ؟ إن عصر مجنون فى مستشفى المجاذيب هو مستشفى المجاذيب لا غير..

وانتقل المؤلف لأخبار ابن الرومى فظن عند نفسه أنه استقصاها، على حين قد فاتتـه أشياء كانت أمس بموضوعه منها: هذا الخبر الذى يدل على أن الشاعر كان يدون آراءه، فقد نقلوا أنهم عثروا فى بعض « تسطيراته » على كلام اعتـذر به عن أبى تمام فقال: إنه يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ، حتى لو تم له المعني بلفظة نبطية لأتى بها.. وهذه هى طريقـة ابن الرومى بعينها، فالخبر نص فى أنه يتبع أبا تمام، كما كان يتبع جريرا فى طريقته فى الهجاء من بنائه على السخر وإغراقه فى ذلك، والاضحاك به، وهذ أيضاً لم يذكره العقاد. ولو أطال أبو تمام الشعر إطالة ابن الرومى لما أفلح ولو خفف ابن الرومي تخفيف أبى تمام لما أخفق. فـكل ماخلط فيـه العقاد من أسباب خيبة ابن الرومى لا يتوجه منه شىء وإنما السبب فى تلك الخيبة غوصه على المعانى وطول قصائده، فهما مصيبتان اذا أريد بهما التكسب، وهما السر فى ضعف صناعته الشعرية، وأنه كان يسفسف كثيراً ويضعف وذلك بعض ما تخلف به .

مصطفى صادق الرافعي

تاريخ البيمارستانات

فى العهد الاسلامى

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

— ٥ —

الاجازة الطبية أى « الشهادة باصطلاح العصر »

الاجازة اسم مصدر من أجاز له ، أى سوغ له ذلك ، ويطلق عليها اليوم لفظ شهادة ، متى أتم طالب الطب دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء فى القطر المصرى ـ ووظيفته هى أكبر وظائف الأطباء ـــ ويطلب اليه إجازته فى تعاني صناعته ، وكان الطالب يتقدم اليه برسالة (Thèse) فى الفن الذى يريد الحصول على الاجازة فيه ، تكون لأحد مشاهير الاطباء المتقدمين أو المعاصرين ، ويكون قد أجاد دراستها ، فيمتحنه فيها ويسأله فى كل ما يتعلق بها من الفن ، فاذا أحسن الاجابة أجازه الممتحن بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة . ومن محاسن الصدف أنى عثرت فى دشت قديم ، فى مكتبة أستاذنا العلامة الفاضل أحمد زكى باشا عن إجازتين فى الطب أعطيتا فى القرن السادس عشر للميلاد : إحداهما لفصاد والثانية لجراح ، أنقلهما هنا كى يعرف القارىء كيف كانوا يجيزون للأطباء معاناة صناعتهم وهما : ـــ

الاجازة الأولى وهى من القرن الحادى عشر الهجرى .

« هذه صورة ما كتبه الشيخ الأجل ، عمدة الأطباء ومنهاج الألباء ، الشيخ شهاب الدين ابن الصائغ الحنفى (١) رئيس الأطباء بالديار المصرية ، إجازة للشاب المحصل محمد عزام ،

---

(١) هو أحمد بن سراج الدين ، الملقب شهاب الدين ، المعروف بابن الصائغ الحنفى المصري ، الشيخ الطبيب الفاضل . أخذ العلوم من الشيخ الامام على بن غانم المقدسى ، والامام الفهامة محمد بن محي الدين ناصر الدين التحريرى ، وولده الرئيس الشهير سري الدين ، وبه انتفع فى الطب ، وتولى قديما تدريس الحنفية بالمدرسة البرقوقية ، ومات عن مشيخة الطب بدار الشفا المنصورى (قلاوون الآن) ورياسة الاطباء . قال الشيخ مدين : وكانت ولادته كما أخبرنا به فى سنة ٩٤٥هـ ـــ ١٥٣٨ م وتوفى فى ربيع الاول سنة ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٦ م ودفن خارج باب النصر ، ولم يعقب إلا بنتا وتولت مكانه مشيخة الطب . (صحيفة ٢٣٠ خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر . ج١)

أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف الاحول ، الشيخ زين الدين عبد المعطى رئيس الجراحين ، على حفظه لرسالة الفصد كما سنبينه »

« الحمد لله ومنه أستمد العناية .

الحمد لله الذى وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين، وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الاوقات والازمان إلى يوم الدين .

و بعد فقد حضر عندى الشاب المحصل ، شمس الدين محمد عزام بن ... بن ... (هنا كلمات مفقودة) على المؤذن الجروانى المتشرف بخدمة الجراح ، والمتقيد بخدمة الشيخ الصالح ، بقية السلف الصالحين العارفين ، وشيخ طائفة الجراحين بالمارستان المنصورى ، هو الشيخ عبد المعطى الشهير بابن رسلان ، نفعنا الله ببركاته ، ورحم أسلافه العارفين الصالحين ، وعرض على جميع الرسالة اللطيفة ، المشتملة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته وشروطه ، وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة ، الرسالة المذكورة للشيخ الامام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى (١) شكر الله سعيه ورحمه وأسكنه بحابيح جناته بمنه وكرمه - عرضاً جيداً دالى على حسن حفظه للرسالة المذكورة ، وقد أجزته أن يرويها عنى بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية » (هذا آخر ما عثرت عليه و باقى الاجازة ضاع مع ما ضاع من نفائس الكتب)

الاجازة الثانية وهى كذلك من القرن الحادى عشر الهجرى، وهى صادرة من رئيس الجراحين بدار الشفا المنصورى بمصر (مستشفى قلاوون) :

« صورة ما كتبه الفقير على ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

من ممد السكون أستمد العون ، الحمد لله الذى جعل لهذه الأمة بالطب المحمدى شفاء ، وداوى علل أفهامهم بصحيح حديثه بعد ما كانوا من سقم الباطل على شفا ، أحمده حمداً يتقوى به الضعيف ، وأشكره شكراً وافياً يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي جعل الفصد والحجامة للأبدان من أنفع العلاج ، إذ بهما . . . . تقف (٢) الحرارة الردية والمزاج ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذى قطع عرق الاشتراك ، وعلى آله وأصحابه السادة النساك ، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة وفصل الخطاب ، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم ، فعوفى وحفظ لهم الصحة وطاب »

« و بعد فقد وقفت على هذه الرسالة العظيمة ، والمقالة الكريمة الموسومة « ببرء الآلام فى صناعة الفصد والحجام » نظم لوذعى زمانه ، ألمعى عصره وأوانه ، الشمس شمس الدين محمد ،

(١) واسم الرسالة : نهاية القصد فى صناعة الفصد ، وموجود منها نسخة مخطوطة بدار الكتب .
(٢) أول الكلمة ضائع

القيم شهرة ، الجراح صنعة ومهرة . التى أصلها للشيخ الفاضل حاوى الفضائل ، الشيخ شمس الدين محمد الشربيني الجراح ، لا زالت شآبيب الرحمة والرضوان على قبره غادية رائحة ، وشذا العبهرى والريحان من مرقده فائحة ، الموسومة « بغاية المقاصد فيما يجب على المقصود والقاصد » إذ هي فى هذا الفن أسنى المقاصد ، وقد قرأها عليه قراءة إتقان و إمعان ، وحل لمشكلات الألفاظ والمعان ، فلم ير بدا من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد ، ولتسهيل ضبط تلك القواعد ، فجاءت بجملة أبهى من نور الأنحار ، وأضوأ من نور الأسحار ، كالتبر المنسبك ، أو القطر المنسكب ، قد أجاد ناظمها فى تحقيقها ، و بذل الجهد فى تحريرها وتدقيقها وأتقن ألفاظ مبانيها ، وغاص بحار معانيها ، واستخرج الدر الثمين من أصلها ، وجمع بين فصلها و وصلها ، وصارت تجلى كالعروس لمعاينها ، ولقد صارت في هذه الصناعة العمدة والكفاية ، واعترف لها الكامل أنها المنهاج والهداية ، ونسيت بها التذكرة المفيدة ، ولم يبق لهذا العلم ذخيرة حميدة ، وأحجم عندها كل مهذب بالمكنون ، وصرح تاريخ الأطباء أنها نص ما فى القانون ، فلما ظهرت نتيجة الانتخاب فى المسألة والجواب ، وتغدى ناظم سلكها بالخاص من اللباب ، و صارت الخناصر عليها تعقد ، وإن كان لساعد الانصارى رسالة (١) فشتان بين رسالته و رسالة محمد ، وكانت عين المقصود ، ورقمت فيما يجب على القاصد والمقصود ، استحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الاجازة ، فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ما أتقن معرفته ، ليحصل له النجاح والفلاح ، وهو أن يعالج الجراحات التى تبرأ بالبط ، و يقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط ، وأن يفصد من الاوردة ، و يبتر الشرايين ، وأن يقلع من الأسنان الفاسدة المسوسين ، وأن يلم ما بعد من تفرق الاتصال بقطان ، وغير ذلك وطهارة الأطفال هذا مراجعته وخدمته لرؤساء هذا الفن المتبحرين ، والمهرة الأساتذة العارفين مع تقوى الله ، والنصح فى الصناعة ، ولا يخشى مع ذلك من كساد البضاعة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال في كل حال ومآل ، اللهم إنى أسألك من فضلك العظم مغفرة لذنوبنا ، وعافية لأبداننا ، لا إله غيرك ولا مرجو إلا خيرك رب العالمين »

«رقمه بقلمه أقصر عباد الفتاح الفقير للحق ، على بن محمد بن محمد بن على الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفاء بمصر المحروسة ، حامداً ومصلياً ومسلماً ومحبذا ومحوقلا ومستغفراً ، بتاريخ تاسع صفر الخير من شهور سنة إحدى عشر والف (١٦٠٢م) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله وحده ».

---

(١) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري المعروف بابن الاكفانى المتوفى سنة ٧٤٩ والرسالة تسمى نهاية القصد فى صناعة الفصد ، وتوجد منها نسخة بخزانة الكتب الملكية .

امتحان الاطباء والصيادلة والتفتيش عليهم

لم يكن الأطباء أو الصيادلة متروكين وشأنهم ، يعملون ما يريدون دون رقيب ولا حسيب بل كانت عليهم الرقابة شديدة من الخلفاء و رئيس الأطباء فى الديار المصرية والمحتسب ، ومما يدل على يقظة الخلفاء فى مراقبة الأطباء والصيادلة ، نذكر ما يلى : قال سنان بن ثابت « لما كان فى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م اتصل بالمقتدر أن غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة أبا ابراهيم بن محمد بن أبى بطيحة المحتسب ، بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة ، (وهذه الرقعة هى المعبر عنها فى أيامنا بالاجازة أو الشهادة) فصاروا إلى سنان ، وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه ، و بلغ عددهم فى جانبى بغداد ثمانماية رجل ونيف وستين رجلا ، سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم فى صناعته ، وسوى من كان فى خدمة السلطان .

ومن ظريف ما جرى فى امتحان الأطباء ، أنه أحضر إلى سنان رجل مليح البزة والهيئة ذو هيبة و وقار ، فأكرمه سنان على موجب منظره ، ورفعه وصار إذا جرى أمر التفت اليه ولم يزل كذلك حتى انقضى شغله فى ذلك اليوم ، ثم التفت اليه سنان فقال : قد اشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئا أحفظه عنه ، وأن يذكر شيخه فى الصناعة ، فأخرج الشيخ من كمه قرطاسا فيه دنانير صالحة ، ووضعها بين يدى سنان وقال : ما أحسن أن أكتب ولا أقرأ ، ولا قرأت شيئاً جملة ، ولى عيال ومعاش دار دائرة ، وأسألك أن لا تقطعه عنى ، فضحك سنان وقال : على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لم تعلم ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل ، الا لما قرب من الأمراض . قال الشيخ : هذا مذهبى مذ كنت ، ما تعديت السكنجبين والجلاب ، وانصرف . فلما كان من غد أحضر اليه غلام شاب حسن البزة مليح الوجه ذكى ، فنظر اليه سنان وقال له : على من قرأت ؟ قال على أبى ، قال ومن أبوك ؟ قال الشيخ الذى كان عندك بالأمس ، قال : نعم الشيخ ، وأنت على مذهبه ؟ قال : نعم ، قال : لا تتجاوزه وانصرف مصاحباً .

وقد حكى عن أمين الدولة بن التلميذ : أن الخليفة المستضىء بأمر الله ، كان قد فوض اليه رآسة الطب ببغداد ، ولما اجتمع اليه سائر الاطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة ، كان من جملة من حضره شيخ له هيبة ووقار وعنده سكينة ، فأكرمه امين الدولة ، وكانت لذلك الشيخ دربة ما بالمعالجة ، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب الا التظاهر بها ، فلما انتهى الأمر اليه . قال له أمين الدولة : ما السبب فى كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه ، حتى نعلم ماعنده من هذه الصناعة ؟ فقال : ياسيدنا ! وهل شىء مما تكلموا

فيه إلا وأنا أعلمه ، وقد سبق الى فهمى أضعاف ذلك مرات كثيرة ! فقال له أمين الدولة : فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟ فقال الشيخ : ياسيدنا ، إذا صار الانسان الى هذه السن ، مايبقى يليق به إلا أن يسأل كم له من التلاميذ ، ومن هو المتميز فيهم ؟ وأما المشايخ الذين قرأت عليهم فقدماتوا من زمان طويل . فقال له أمين الدولة : ياشيخ ! هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ، ومع هذا فما علينا ، أخبرنى أى شيء قد قرأته من الكتب الطبية ؟ (وكان قصد أمين الدولة أن يتحقق ماعنده) فقال سبحان الله العظيم ، صرنا الى حد مايسأل عنه الصبيان ، وأى شيء قد قرأته من الكتب ياسيدنا ؟! لمثلى مايقال إلا أى شيء صنفته فى صناعة الطب ، وكم لك فيها من الكتب والمقالات ؟ ولابد أننى أعرفك بنفسى . ثم إنه نهض الي أمين الدولة ، ودنا منه وقعد عنده ، وقال له (فيما بينهما) : ياسيدى اعلم أنى قد شخت ، وأنا أوسم بهذه الصناعة ، وما عندى منها إلا معرفة اصطلاحات مشهورة فى المداواة ، وعمرى كله أتكسب بها وعندى عائلة ، فسألتك بالله ياسيدنا مشى حالى ، ولا تفضحنى بين هؤلاء الجماعة . فقال له أمين الدولة : على شريطة ، وهى انك لاتهجم على مريض بما لاتعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل الا لما قرب من الامراض . فقال له الشيخ : هذا مذهبي مذ كنت ، ماتعديت السكنجبين والجلاب . ثم إن أمين الدولة قال له معلنا والجماعة تسمع : ياشيخ اعذرنا فاننا ماكنا نعرفك ، والآن فقد عرفناك ، استمر فيما أنت فيه ، فان أحداً ما يعارضك . ثم إنه عاد بعد ذلك فيما هو فيه مع الجماعة ، وقال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة ؟ وشرع فى امتحانه . فقال له : ياسيدنا أنا من تلامذة هذا الشيخ الذى قد عرفته ، وعليه قد كنت قرأت صناعة الطب ، ففطن أمين الدولة بما أراد من التعريض بقوله وتبسم ، ثم امتحنه بعد ذلك ؟

احمد عيسى

الاختلاط بين الجنسين

الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوان

> «مسألة اختلاط الجنسين من المسائل العويصة التى كثر حولها الجدل فى الايام الأخيرة ، وبما أننا نود أن نوقف قراء « المعرفة » على مجرى التيار الفكري المختلف ، فقد رجونا السيدة الفاضلة مدام دى سان بوان التفضل ببسط رأيها فى ذلك الامر لما لها من الخبرة الواسعة فى مثل هذه الموضوعات الهامة »
>
> المحرر

لقد كان من النادر جدا قبل الحرب العظمى ، ان يترك النساء أوكارهن – التى تعد ميدانهن النسوى – ليذهبن فى جنبات العالم كالرجال « يكسبن القوت » ، ومن شذذن عن هذه القاعدة كن من القلة بحيث لا يخلقن مشكلة تحتاج الى الحل . ولكن الحرب بما نثرت من أشلاء الرجال فى انحاء العالم ، دفعت بالنساء الى العمل الذى كان الى ذلك الوقت من خصائص الرجال . ولما رجع المقاتلون الذين اخطأهم رصاص الحرب، وجدوا أماكنهم الشاغرة ممتلئة بالنساء ، وألفوا الوكر منقلبا رأساً على عقب ، كما ألفوا عقلية المرأة قد تغيرت ، فتغلغلت فى نفسها عادات جديدة ، هى عادات الاتصال بالعمل الذى لم يكن ضروريا لها قبل الحرب ، حيث كان الكثير من الكماليات غير معدود من الحاجيات . فكانت المرأة الضئيلة الثروة ، تقنع بمبهجات الحياة التافهة الصناعية فى سرور دون اقتناص اللذة العميقة.

ولن تستطيع جميع النبوءات والنصائح أن تغير شيئاً من حالة المرأة بعد الحرب، فالتيار جارف لا يقاوم، لأن المرأة رأت مجدها فى العمل ، لا تقصد بذلك العمل الذى يعينها على الحياة وحسب ، فان هذا المطلب من الحياة له صبغة جافة ، ولكنها تطلب العمل للمرح . فصدوفها عن « البيت » لتخضع لعبودية العمل ، هو ما تسميه « الحرية » . وقد بحثنا هذا الموضوع فى بحث سابق نشرناه فى هذه المجلة « المعرفة » بالعددين الأول والثانى، ونأمل فى المستقبل أن نناقش « العمل » والنظريات الحديثة والديمقراطية التى نتناول بعضها الآن .

ولما كان نزول المرأة الى ميدان العمل خارج بيتها قد تم ، ولما كان هذا الضرر الغربى ينتشر شيئاً فشيئاً فى الشرق .

ولما كانت مجموع المساوىء التى تعرف باسم « الموضة » مرضاً لم يعرف أطباء الاجتماع

كيف يوقفوه عندحده في الوقت المناسب ، والأمور تسير على ذلك المنهاج إلى آخر النكبة فتصبح بطريقة أخرى مستعمرة بعد ذلك ، فلنقف اليوم عند ناحية خاصة من هذه المسألة الاجتماعية الجديدة وهى : اتفاق ، إن لم يكن اختلاط الجنسين فى كل الميادين .

إذا نظرنا إلي العمل الذى تتمه المرأة فقط ، فاننا نتفق فى الرأى مع المتحمسين لفكرة عمل المرأة، فليس من شك أن المرأة تستطيع على الأقل أن تؤدى مختلف الأعمال التي تدير مجلة الحياة الاجتماعية والتي يعملها الرجل : كالآلات والادارة ، وأنها تستطيع كذلك — بدراساتها — أن تنجح فى التخصص فى أى شىء كان . ولكنا نظن انها ذات روح عملية أكثر من الرجل ، فهى أقل منه استعداداً لمواجهة الاشياء المجردة ، ولكن هذا بعض الشواذ . ولما كنا نحس حقيقة مؤقتة ، وجب علينا ان نلتجىء الي المتوسط والعام .

وهذا يعنى كيف أن المرأة التى نعرف عنها سمواً غير منكور — اذا لم تضللها الشهوات — تميل إلى مايسمونه «الروح العملية» وادراك التناسب ، وهذا لم يتحقق إلا حين نزلت الى ميدان العمل، فكانت سبباً عظيما من أسباب البطالة السائدة فى الغرب ، والتى تؤثر نتائجها الاقتصادية العالمية فى السياسة الدولية . وأخيراً ، لما كان كل شخص له حق الحياة ، فانها ستصبح وشيكا إذا ظل تقدم المرأة كما هو الآن — لا شىء أكثر من شخص يسعى إلى كسب عيشه ، وهذا لن يغنيها شيئاً عن الحمل وولادة الأطفال للعالم ، لأنه حتى لو فرضنا أن الرجال هم من يعملون أشغال البيوت — فانهم لن يكونوا فى وقت من الأوقات « أمهات »

وفى الجملة ، كيف لم تفهم المرأة أنه بدلا من أن تحرر نفسها ، حكمت على نفسها وبارادتها بالقيام بجميع الأعمال ؟ يجب أن تطلب المرأة العمل إذا دفعتها الظروف الاقتصادية القاهرة إليه اضطراراً ، لا أن تتشبه بالعاملة كأنها مثلها الأعلى .

ويجب ألا ننسى بعد ذلك أن المرأة التى ترغب أن تغزو كل الميادين ، قد سطت على ميادين الرياضة حيث تنافس الرجل ، ونحن لن نفصل البحث فى هذا الموضوع ، فليس هذا مكاننا ، ولكننا سنوضح الاغلاط الناشئة عن فساد استعمال الرياضة، وعلى الأخص بالنسبة للمرأة ، ويكفى أن نشير اليها ونحذرها من أن أمومتها تصبح أكثر عقما وعسراً .

ويبقى بعد ذلك وجهة النظر الشخصية ، التى تترتب عليها العلاقات الانسانية وهى : الأخلاق،والصفات، والفضائل الاجتماعية . فماذا اكتسب الرجال والنساء باجتماعهما من هذا الاختلاط الدائم فى العمل ، والألعاب ، والرياضة ؟

كنا من المتفائلين القائلين بأن الرجال ، الذين يختلطون دائماً بالمرأة ، يكتسبون بديهة حاضرة ، وأدبا جماً . وكنا لا ننسى أيضاً أنه لاشىء أسهل من تقليد المساوىء ، وأنه ليس أصعب من اكتساب الفضائل حتى أمام أفضل المثل ، وأكثرها اجتذابا.

وها هى الحقيقة تفتح أعيننا، فقد أصبح النساء الرفيقات المتحفظات فى تطورهن أشبه بالرجال، أما الرجال فانهم لا يتضجرون مطلقاً من الرفيقة التى معها يشربون، ويدخنون ويتكلمون باللغة الدارجة. فقد ذهب الاحترام، والأدب، والذوق فى لحظة. وقد كانت المرأة دائماً هى التى تعلم الرجل، وكنا نرى أنه حيثما نجد الرجل فظاً نحكم بأن الغلطة غلطة المرأة.

ومن ناحية أخرى فقد قضى على الحب أن يختفى. وأصبح الحب الذى يقوم على العاطفة يضحك معاصرينا. وقد استطاع البعض — اذا حكمنا حكما سطحياً — أن يجدوا مزايا فى أن لا يكون الرجل دائماً فى شغل بالمرأة. ولكنهم بماذا أبدلوا هذا الفكر المستمر؟ هل تخلصوا من المشاعر؟ أو هل أصبحوا روحانيين؟ كلا. هل ترك الناس أنفسهم لشهواتهم كاليوم؟ أو هل كان الانسان ماديا، أكثر تعطشاً للجهاد للترف والقوة كاليوم؟

إن اللذة اليوم فى متناول اليد، فلا حاجة نغزو قلب المرأة التى تعجب الرجل، ولا لذة فى اكتسابها، ولا مجهود يبذل فى سبيلها. فالاختلاط قد جعل علاقة الجنسين من السهولة بحيث أفقد كل شوق بين الرجل والمرأة، واستتبع ذلك أنه لفقدان المثل الأعلى أصبح التردى فى حمأة الرذيلة من الضرورات، وإذا كانوا أصبحوا « رفقاء » فى العمل والألعاب والشهوة، وفى المال والرياضة، فان الذى اختفى من العلاقات بين الرجل والمرأة إنما هو العاطفة، تلك العاطفة التى كانت ثابتة، وكان يقوم على اكتافها بناء العائلة الحقة.

وإنه إذا كان حقاً أننا نعثر فى الأعمال الحرة على عدد من الجمعيات المؤسسة على التقدير المتبادل، وأننا نجد الشريكين يرتبطان برابطة من التآزر الشائق، فانه من الجلى أنه حتى فى العصور المظلمة توجد دائماً شواذ، ويجب ألا ننسى أننا لا نبنى أحكامنا على مثل هذه الشواذ ولكن على الاتجاه العام، إذ ليس كل واحد قادراً على الدراسات العالية التى تربطه بالآخر برباط شريف.

والفكرة الحديثة عن الشريكين قد جعلت الحياة لمن استوفت احساساتهم الاجتماعية شاقة عسيرة. هذه الحياة التى كانت نخراً فى كل عصر من العصور، حيث كانت الصالونات تؤلف بين عظماء رجال العصر، أصبحت تجرى هذه الحياة بين المراقص والصالونات التى ترتشف فيها أكواب (الكوكتيل) ويدور فيها الرقص حتى آخر الليل، وحيث لا يجد من يصرف مثل هذه الاشياء، إلا فى موائد الميسر.

وبعد هذا نفتخر بأننا نعيش فى عصر التقدم والحضارة! إننا نقترح على القراء أن يرجعوا بأبصارهم إلى القرون الوسطى. وإلى عصور أخرى قديمة ينعتونها اليوم بأنها « مظلمة ». فما

(البقية على الصفحة رقم ١٠٩٧)

بشار بن برد

بقلم الاستاذ أحمد حسنين القرنى

تناول الاديب الفاضل الاستاذ القرنى — فى العدد الماضى من هذه المجلة — الكلام عن السياسة والادب ، وصلة كل منهما بالاخر ، وعن الدولة العباسية التى نشأ فى عصرها بشار ، ويبدأ الآن بتحليل شعره ممهداً لذلك بما يأتى . . . . . .

المحرر

السنة التى جرى عليها الأدباء والكتاب فى تحليل الشعراء أن يبحثوا أولا فى حياتهم ، وبعد ذلك يوردون طائفة من شعرهم تؤيد ما ذهبوا اليه . ولن أستطيع هنا إلا أن أخالف السنة أو أعكسها ، وأعتقد أنه من الواجب أن أخالفها أو أعكسها ، لأن بشارا غير جميع الشعراء ، فيجب أن يكون البحث فيه غير جميع البحوث .

كل شاعر تحلله تفترض أن شعره فى متناول الأيدى ، وتقدر أنه متداول معروف ، ولكن بشارا ليس كذلك : فشعره مبدد ، واليسير الباقى منه مبعثر فى كتب جلها غير متداول ، وحسبك أنه ليس لشعره ديوان يجمع متفرقه ، بل حسبك أن تعلم أنه لم يطبع بحث خاص ببشار وشعره غير المجموعة التى أظهرتها له بعنوان (بشار بن برد : شعره وأخباره) منذ خمس سنوات ، ولم أكن يومئذ عثرت إلا على القليل من شعره ، أما اليوم وقد وفقنى الله الى طائفة من شعره لا يستهان بها ، فقبل أن أعرض للبحث فى تحليل حياته سأقدم لك طائفة من شعره لتستطيع فى النهاية أن تسايرنى فيما سأقرره من أحكام ، أو تخالفنى فأكون — فى سبيل الحقيقة والعلم — قد أمددتك بالدليل .

* * *

قال بشار الشعر صغيراً ، وقال في كل ضروب الشعر ، وبرز فيها جميعاً حتى أجمع نقاد الأدب على احتسابه رأس المحدثين ، وسأقدم لك بعدئذ خلاصة آراء الأدباء قديماً وحديثاً فيه .

برع بشار فى الشعر الوجدانى بأنواعه من : تغزل ومدح وهجاء ورثاء ووصف . وأحب ، بل كان كثير الحب وشديد الحب أيضاً ، أو إن شئت فانه لم يعشق ولم يكلف ، ولكنه كان لاهياً يتصنع الحب ليوقع فى أحبولته من شاء من النساء ، كان يكلمهن بلسان العاشق ، دراية منه بطبيعة المرأة وعرفاناً بالناحية التى تستهويها ، ولقد أبان عن ذلك بقوله :

عرضن للتى تحب بحب ثم دعها يروضها ابليس

يعنى بذلك أن من طبيعة المرأة أن تندفع وراء من يزعم أنه يحبها ، ويردد على سمعها حديث الحب ، وكان عملياً فى ذلك، فملأ سفر حياته بحديث الحب ، وشعر الحب الذى تلمس فيه الصناعة إن دققت النظر ، ولكن حسن السبك ، وجمال الصنعة ، ودقة التعبير ، وسلامة الألفاظ ، واستقامة المنطق ، التى امتاز بها جميعاً بشار تخفى وراءها أثر الصنعة وتلبس شعره ثوب شعر العاشق المشغوف . ومهما يكن من أمره فانه غزل وله تغزل .

وهنا أقرر أن الغزل غير التغزل ، وأن البعض يساوى بينهما خطأ ، وفى هذا يقول ابن رشيق فى كتابه العمدة : « لالنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى ، وأما الغزل فهو الف النساء والتخلق بما يوافقهن ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ »

وهكذا يقول قدامة فى كتابه (نقد الشعر) : « قد يذهب على قوم موضع الفرق بين الغزل والنسيب ، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذى اذا اعتقده الانسان فى الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله ، فكأن النسيب ذكر الغزل ، والغزل إنما هو التصابى والاستهتار بمودات النساء » .وعلى هذا يكون بشار غزلا ومتغزلا .

تغزل بشار : مهما يكن المرء مستهتراً ولاهياً ، فانه لايلهو إلا بمن يستحسنها ويستملحها .

وبشار ولد أعمى لم ير من جمال الوجود شيئاً ، فكيف كان يتجه قلبه ، ولأى حاسة كان يخضع هذا القلب ؟ . لقد كان يقدر الجمال ويزنه بسمعه ولمسه ، وفى ذلك يقول :

يزهدنى فى حب عبدة معشر قلوبهمو فيها مخالفة قلبى
فقلت: دعوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب ، لا بالعين ، يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

أحب (عبدة) وذكرها فى شعره ، واختصها منه بالنصيب الأوفر ، واستعطفها كثيراً ، ولها يقول حين خرجت مع زوجهامن البصرة إلى عمان :

هوى صاحبى ريح الشمال ، وإنه لأشفى لقلبى أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنهـا حين تنتهى تناهي وفيها من عبيدة طيب
عزيرى من العذال إذ يعذلوننى سفاها ، وما فى العاشقين لبيب
يقولون : لو عزيت قلبك لارعوى فقلت : وهل للعاشقين قلوب ؟

ويكشف لنا ذلك عن الشىء الكثير من جرأة بشار واستهتاره ، وإلا فبم تسمى رجلا يشبب بامرأة متزوجة تسمع هي ، ويسمع زوجها ، ويسمع ذووها مايقول عنها هذا الرجل؟

بم تسميه ، وهو يقول لها :

يا عبد ! حيي عن قريب وتأملي عـين الرقيب
وارعي ودادي غائباً فلقد رعيتك فى المغيب
أشكو اليك ، وإنما يشكو المحب الى الحبيب
فزعا اليك من الهوى فزع المريض الى الطبيب

وهبها تستطيع أن تتنصل منه ، وتزعمه مفتوناً يهرف ، فماذا هى قائلة حين يعرض عليها قوله :

عبد ! إنى قد اعترفت بذنبي فاغفرى ، واعدلى خطاى بجنبي
عبد ! لا صبر لى ، ولست ــ فهلا ــ قائلا : قد عتبت فى غير عتب
ولقد قلت حين أجهدنى الحـ ب فأبلى جسمى وعـذب قلبى
رب ! لا صبر لى على الهجر حسبى فأقلنى ، حبى ، لك الحمد ، حسبى

أو ماذا يفهم السامعون من قوله :

يا عبد إنى قد ظلمت ، وإننى مبد مقالة راغب أو راهب
وأتوب مما تكرهـين لتقبلى والله يقبل حسن فعل التائب

إن ذلك كله يعطى معنى الاتصال بينهما ـــ أحبت أو كرهت ، وصدق هو فى ذلك أو كذب ـــ ولئن صح للشعراء أن يطيروا على أجنحة الخيال إلى أبعد مدى ، ويلبسوا غـير الواقع ثوب الواقع ، ويصوروا الباطل فى صورة الحق ، وتذل لهم الألفاظ يصرفون بها الأفئدة ويوجهون الأهواء كيف شاءوا ، فأى رجل هو إن لم يكن مستهتراً ذلك الذى يتخذ من الخيال ومن الألفاظ أداة للتشبيب بامرأة هى لزوجها ، ومع زوجها ؟

على أنه لم يطر الشر بين عبدة وزوجها من جراء ذلك ، وأقصى ما وصل اليه الأمر بينهما هو سفره بها إلى عمان بعيداً عن بشار .

ونستطيع أن نفهم من ذلك أن هذا العصر ساد فيه كثير من التسامح ، حتى صار الرجل يسمع اسم عقيلته يتردد فى الأندية وتلوكه الألسن فلا يرى ذلك نكراً ، ويمر كريماً كأن لم يسمع كأن فى أذنيه وقراً .

ولقد كنا نستطيع أن نجعل ذلك حكما قاطعاً على هذا العصر لولا شك يخامرنا فى أن (عبدة) هذه أحاطتها الطبيعة بحصانة أو مناعة ، نخصتها بقسط وافر من قبح الذات جعل زوجها يدعها مع الشيطان آمناً عليها من بطشه ، ولهذا كثر لأئمو بشار على حبه اياها ، ولهم يقول :

يزهدنى فى حب عبدة معشر قلوبهمو فيها مخالفة قلبى

إلى آخر الأبيات التي مرت بك فى طليعة المقال . ولكن بشاراً كان يسمع فيفتتن ، ويعتقد أن وراء الصوت الجميل جمالا وفتنة ، فما يزال يتطلبهما ويستحث القريحة فى الاغراء والغواية ، ويقول ويكرر حتى يفضح ويفتضح ، ولعبدة يقول :

ألا طرد الهوى عنى رقادى فحسبي ما لقيت من السهاد
لعبدة ، إن عبدة تيمتني وحلت من فؤادى فى السواد

ويقول :

مسنى من حب عبدة ضر فبنات الفؤاد ما تستقر
ذاك شيء من حب عبـ ـدة باد ، أو باطن يستسر

ثم يلبس لها مسوح العاشق المخلص فى عشقه ، المتفرد فى غرامه فيقول :

لعبدة دار ، ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسفار
أسائل أحجاراً ونؤيا مهدما وكيف يجيب القلب نؤى وأحجار
وما كلمتنى دارها إذ سألتها وفى كبدى كالنفط شبت له نار
وعند مغانى دارها لو تكلمت لمكتئب بادى الصبابة أخبار
تحمل جيرانى ، فعيني لبينهم تفيض بهتان اذا لاحت الدار
بكيت على من كنت أحظى بقربها وحق الذى حاذرت إذ ساروا

ويصف سهره وعناءه فى حب عبدة فيقول :

لم يطل ليلى ، ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها : جودى لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسى ياعبد عنى ، واعلمى أننى يا عبد من لحم ودم
إن فى بردى جسما ناحلا لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحب لها فى عنقى موضع الخاتم من أهل الذمم

ويقول لها مستعطفاً :

ياعبد ! ياهمتى عليك السلام فيم يجفى حبيبك المستهام
نزل الحب منزلا فى فؤادى وله فيه مجلس ومقام

ولكأنى به كان يحس بالريبة تتمشى فى قولهلها ، أو كان يعرف من نفسه عدم الاخلاص فيما يدعيه ، فهو لا يفتأ يقسم لها لينفى الريبة عن قوله فيقول :

ياعبد ! زوريني تكن منة لك عندى يوم ألقاك
والله ، ثم الله فاعتقدى أنى لأرجوك وأخشاك

يا عبد إنى هالك دنف إن لم أذق برد ثناياك
فلا تردى عاشقاً ولها يرضى بهذا القدر من ذاك

واستمع اليه وهو يصورها فى صورة التي استجابت له، وخشيت عليه الهلاك إن لم يمتعه ببرد ثناياها كما زعم ، فأهدت اليه مسواكها فهو يقول :

وهبت له على المسواك طيبا فطاب له بطيب ثنيتيك
أقبله على الذكرى كأنى أقبل فيه فاك ومقلتيك

ولكن مع كل ذلك فالشيء الذى يكشف عنه شعره أنه لم يكن عاشقاً ولكنه كان غزلا ، فهو لم يعلن حب عبدة وحدها، ولا شبب بها دون أترابها ، بل أنشد كثيرات غيرها ، فهوى : خشابا ، ورحمة الله ، وسلمى ، وغيرهن . بل كان يسير فيسمع الصوت الجميل فيشبب ويتغزل ويلح فى التشبيب والتغزل ، وهو الذى يقول :

وكاعب قالت لأترابها ياقوم ما أعجب هذا الضرير
أيعشق الانسان مالا يرى ؟ فقلت ودمعى بعينى غزير
إن كان قلبي لا يرى وجهها فانها صورت فى الضمير

ولا تستهوينك رقة شعره فتظنه مخلصاً ، ولكنما كان صناعا ماهراً تتزاحم عليه المعانى ، وتواتيه الأفكار فينظم وشيا خلابا . وسأورد عليك شعره فى غير عبدة فترى تلك الروح بعينها . ولكى تعلم مقدار الصلة بين شعره وقلبه فاسمع قول هذا الأعمى الفنان المصور :

خططت مثالها وجلست أشكو اليه ما لقيت على انتحاب
كأنى عندها أشكو إليها همومى والشكاة إلى التراب

تأمل فى قوله هذا ريثما أعرض عليك شعره فى عشيقاته الأخريات لنستطيع أن نستخلص بعد ذلك حكما قاطعاً فى غزله وتغزله ، ومدلول هذا الغزل والتغزل ؟

احمد حسنين القرنى
المدرس بمدارس النهضة المصرية الثانوية وكلية الفرير

الاختلاط بين الجنسين

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٩٢)

أحلى هذه الرؤية الهادئة ! ! فقد كان كل شيء مستقر فى مكانه تبعاً للنظام الطبيعى : فالمقاتل وحده فى الحرب ، والمزارع فى الأرض ، والفنان فى عمله ، والمرأة فى دارها وبين صغارها ، ولم يكن هذا ليسلبها نعمة القراءة أو الفن .

وأخيراً فلست أرى الاختلاط مفيداً البتة ، وإنما هو خطر على العائلة ، فيجب أن نقاومه ؟

ف . دى سان بوان

هل الحب سعادة أم شقاء ؟

فرقت الايام بين صديقين (للمعرفة) يمتان الى الفلسفة بصلة وثيقة ، فاستقر احدهما فى باريس والآخر في مصر ، ولكن بعد الشقة بينهما لم يمنع من تراسلهما بالكتب ، يبثان فيها ما تكنه جوانحهما ، واليك صورة مما دار بينهما من الرسائل فى هذا السبيل ... المحرر

١ — القاهرة فى ٢٠ — ١١ — ١٩٣١

أخى . . . . م

. . . لقد أصبحت متبرما بالحياة لأنى لا أجد فيها العناية التي تشبع وثبات نفسى ، و إنى أجد العلم الذى حصلته ، المال الذى أكسبه ، الجاه الذى أتمتع به ، كل ذلك عبث لا يوصل إلى سعادة ، ولا يجعل الانسان يحس الحياة إحساساً ويختلط بها وتختلط به ، وقد أعملت فكرى فيما يوصلنى إلى السعادة ، وقلبت نظرى فى مسالك الناس وقصص السالفين ، حتى أعثر على المفتاح الذى يلج باب الحياة فيفتحها أمامى ، فرجعت بعد البحث والتمحيص ، والاستقراء والنظر ، إلى أن الحياة هى الحب وأن الحب هو الحياة ، وأن أبواب الحياة ونوافذها هى الحب ، من يجهله فقد ضل سبيل الحياة وعاش إلى الحيوان الأعجم أقرب منه إلى الانسان ذى الوجدان أو كما يقول (ديكارت) يصبح كالحيوانات الآلية « Les bétes machines » إذا صح لى أن أستعير جملته المشهورة . فلما تبين لى ذلك انتقلت الفكرة إلى عقيدة ، واستحالت العقيدة إلى رغبة لا ينقصها إلا التنفيذ ، فالرغبة متغلغلة ، والعزيمة متحفزة ، ونفسى مهيأة لقبول أى حب طارىء ، يعيننى على ولوج باب الحياة .

إنى أحس يا صديقى أنى مقبل على حب وشيك ، وسأزف لك بشراه حين يتم ، ولن يكون ذلك بعيداً . . . ف . . .

٢ — باريس فى ٢٨ —

أخى ف . . .

. . . سرنى كتابك بمقدار ما كنت أسر من حديثك ، وشاطرتك فى غبطتك بنشاطك ، و إذا كنت تتألم اليوم من أشياء ، فاعلم أن هذا الألم لا ضرر فيه ، لأنك تعرف السبيل إلى ملافاته ، بل إنى أرى من خلال خطابك أن هذا الألم يدفعك إلى تحقيق رغبات طيبة سامية ، و إذن فعش قليلا فى ظلال الألم ، ولكن لا تحسب أن هذه الظلال من الكثافة بحيث تمنع عنك النور .

تصرف فى الألم ، ولا تدعه يضعف عزيمتك ، أو يقعدك عن الوثوب إلى حيث تريد همتك . وإذا كنت تبحث عن « حب » فتأن كثيراً ، لأن الحب فناء ، والفناء الانساني إما أن يكون نهاية السعادة ، أو نهاية الشقاء ، وهو قد يعبر عن إدراك غاية الكمال ، أو يعبر عن نقيض هذا ، والحب كفناء يسوق الانسان كالقضاء الذى لا يقاوم . وإذن فلا تعجل بالحب ، وحافظ ما استطعت على حريتك واستقلالك ... ؟ م . . .

٣ — القاهرة فى ١٠ — ١٢ — ١٩٣١

أخى م . . .

. . . وصلنى كتابك الأخير ، فسرنى منه طلاوة الاسلوب ، وصفاء الروح ، أما صفاء الروح فهذا عهدى فيك دائما ، وأما طلاوة الاسلوب فلأنك تلبس فكرك لباساً من الفلسفة يغريني على قبوله لأول وهلة ، لا سيما إغراؤك لي أن أصدف عن الحب ولا أنزلق اليه . وقد صدم استدلالك مشاعرى ، ووجدته نابياً عن دفين وجدانى ، فلم يسعنى إلا أن أرد عليك بمثال ما كتبت إلى .

لقد بدأت بقضية عامة هي « أن الحب فناء » ثم رتبت عليها بعد ذلك كل قياس ، ولأسلم معك بهذا ، أى أن الحب فناء ، فيكون أحد أمرين : إما أن الانسان قبل الحب هو غير فان فى شىء من الاشياء ، وإما فان فى شىء . وعندى أن الانسان لابد فان فى شىء من الاشياء ، فى غاية يسعى اليها ، لأن كل إنسان يسعى إلى غاية ، وهذا هو ما يفرق بين الكائن الحى والجماد : فالاول غائى Finaliste ، والثاني غير ذلك . والفارق بين الانسان والحيوان هو أن الحيوان قد ركبت فيه الغاية بالغريزة ، فهو يسعى اليها دون أن يبصرها ، بينما الانسان يتميز بالعقل والحرية ، فالعقل ينير له سبل الغايات ، ثم له بعد ذلك الحرية فى السعى اليها ، والفناء فيها .

وإنى لا أنشد الحب غاية فى ذاته أفنى فيه ، ولكني أنشد غاية أخرى أسمى وأرفع ، هى الجمال ، لأن الجمال هو انسجام الاشياء وتوافقها وهو غاية الغايات ، والمثل الأعلى البعيد ، ولذا كان صفة من صفات الله جل تعالى ، لأن الجمال كمال Perfection . ثم إنى لن أستطيع أن أصل إلى هذه الغاية إلا إذا تحققت فى صورة مادية ، فى واسطة من الفن ، أو الادب ، أو الحب ، أو غير ذلك مما لا أزيدك به علماً . وعندى أن المرأة هى أفضل وسيلة تتحقق فيها غايتى من الحياة ، الوسيلة التى أنفذ منها إلى الحياة فأحس بها أعمق الاحساس ، هى الباب الذى يلج منه الانسان إلى نعيم الحياة بما فيها من جمال وسعادة ولذة .

فأنا لن أفني فى الحب لأنه وسيلة وليس غاية ، ولا تخش على من انتقال تلك العاطفة ، فانك تعلم من صلب إرادتى ، وامتلاكى لنفسى ، ما يجعلنى أدفع الحب لنفعى ، وشحذ عزيمتى ، دون أن أتركه يشكلنى ويوردنى موارد الحتف والهلاك .... ؟ ف . . .

عشائر البدو الرحل وواجبنا نحوها

للدكتور خالد بك الخطيب

«ان البحث الذى نقدمه لقرائنا فى هـذه الصفحات ، لمن أمتع البحوث وأنفعها للشرقيين عامة ، والعرب خاصة ، وقد ألقاه الدكتور خالد بك الخطيب ، أحـد كبار المجاهدين السوريين محاضرة فى مدرسة التجهيز بمدينة عمان (شرق الأردن) وتفضل فخصنا بنشره فنشكره » المحرر

أسباب تدهور الامة العربية :

إن الأسباب التى أدت الى تدهور الأمة العربية إلى هذا الدرك كثيرة، وجدير بالعرب أصحاب ذلك الماضى المجيد أن يعالجوا هذه الأسباب معالجة حكيمة توصل الى طرق فعالة تنقذ هذه الأمة من بلائها وتعيد إليها مجدها وعزتها الغابرين .

وقد خطر لى ـ يوم كلفتنى إدارة هذه المدرسة المحترمة بالقاء محاضرة فى ناديها ـ أن أعالج جهد المستطاع ناحية من نواحى هذا الضعف فى هذه الأمة المنكودة الحظ ، وسرعان ماتذكرت حالة هذه العشائر المبعثرة فى فيافى الصحراء وما آل إليه حالهم من الانحطاط ، وقد كانوا سند العروبة الأقوى . فعن لى أن أذكر الأمة — أو بالأحرى الطبقة المفكرة فى الأمة — بواجبها نحوهم بكلمة موجزة قد لا آتى بشىء جديد فيها، ولـكنها على كل حال ستكون بمثابة التذكير، ولعل الذكرى تنفع المؤمنين . وإننى آمل أن تكون هذه الـكلمة فاتحة البدء لطرق أدبائنا الأفذاذ، ورجال نهضتنا العاملين،هذا الموضوع الحيوى، ومعالجته بما يستحقه من العناية، وأن تكون وسيلة لحمل الحـكومات العربية على التفكير فيه بصورة جدية، والقيام بما يجب القيام به نحو هذا الفريق من الأمة ، لاخراجه من هذه الحياة المظلمة الى حياة ينيرها العلم والتثقيف .

فان من أعظم أسباب انحطاط العرب شأناً وأشد هذه الأمراض فتكا ، هو بقاء هذه العشائر فى ديجور قاتم من الجهل وهم يكونون ثلث مجموع هذه الأمة تقريباً . فاذا ما أتيح لك أن تزور هذه العشائر فى مضاربها ، وتدرس حياتها وتدقق حالتيها: الاجتماعية والعلمية ، وتلاحظ درجة تقدمها الفكرى عن كثب ـ لرجعت وأنت تحمل بين طيات نفسك عاطفتين متضاربتين: عاطفة تحملك على التفاخر — وأنت عربى — بأخلاق هذه الأمة، ومزاياها الفطرية السامية

التى تناقلتها بالتوارث عن آبائها الأولين ، فتردد مترنماً ما قاله الأستاذ خليل بك مطران عن الفطرة العربية فى كتاب بعث به لصديق له إذ قال :

« جل فضل الله بما خص به الفطرة العربية من مزايا لم يودع منها سجايا الأمم الأخرى إلا قليلا ، وعاطفة شفقة توقد فى صدرك عوامل التألم لبقاء هذه المخلوقات البريئة فى معزل عن التطورات الاجتماعية الحديثة التى أصابت بقية الشعوب العربية المتحضرة منها بسهم وافر ، فغدوا كأنهم يعيشون فى عالم غير عالمنا ، وأصبحوا كما تراهم عضواً أشلا فى مجموع هذه الأمة . ومن العار على الطبقة المفكرة من الأمة أن لا تشعر بواجبها نحو إصلاح هذا العضو المشلول ، وإنعاشه لتعيده إلى الحياة » .

ما المقصد من قولي « واجب » ؟

ألفنا أن نسمى واجباً ما نؤمر باجرائه ، حتى ولو كان ضد الواجب فى الحقيقة ، ولم نعتد الشعور بالواجبات إلا عن طريق القوة التى تفرض علينا فرائضها فرضاً ، وكثير من الواجبات الالزامية التى يتحتم علينا الشعور بها والقيام بأدائها قبل كل شىء آخر ، نهملها وربما لا تأتى لنا على بال باعتبار أنها واجب ، وهذا لعمرى نقص فى تكاملنا الأخلاقى يجب أن نسعى لتلافيه ، ويجب أن نعلم أنفسنا على الشعور بالواجب عن طريق الواجب لا عن طريق القوة .

وهذا الواجب الذى نحن بصدده ، والذى يتحتم على الأمة القيام به نحو هذه العشائر التائهة فى عالم الجهل المظلم ، إنما هو من نوع تلك الواجبات الشعبية الالزامية ، وليس هو بواجب حكومى ، بل ربما رأت الأمة وهى تقوم بأدائه كثيراً من الصعاب والعثرات تلقيها فى سبيلها الحكومات ، لأنه ما كل يوم تتفق مصلحة الأمة ومصلحة الحكومة ، خصوصاً فى بلاد قدر عليها أن تكون محكومة فى أمورها بأرادة غريبة عنها .

ويقسم واجبنا نحو هذه العشائر الى نوعين : واجب إنسانى محض ، وآخر وطنى له قيمته فى كياننا القومى . فان خشونة هذه المعيشة الجافة التى يقاسى مضضها هذا البدوى البائس ، وما إلى ذلك من عناء مستمر فى حياة متنقلة لا استقرار فيها ، وتعرض دائم لفتك الأمراض السارية وتحمل ويلات التناسل الناتجة عن جهل مطبق فى أصول التوليد الفنى ، وكثرة وفيات الأطفال الناتجة عن سوء التربية التى لا يعرفون لها معنى صحيحا ، وكثرة الأصابات بالعاهات التى كثيراً ما تترك تشويهاً فى أجسامهم — كل ذلك يحملك على الشفقة عليهم باعتبارك إنسانا يعطف على أخيه الأنسان .

نرى المثرى الأمريكى يحمل نفسه عناء الأسفار الطويلة ليأتى من بلاده النائية الى بلادنا التى لا تربطه بها أية رابطة سوى الانسانية المجردة ، فيصرف المال بسخاء : لتعليم يتيم ، أو تسهيل

إيصال المياه إلى قرية ، قد يتحمل أهلها شيئاً من العناء فى استشفائهم. ويعتقد أنه بذلك يخدم الانسانية، وأين هذا من ذاك الذى تكلفك به الانسانية نحو أخيك البدوى البائس ؟ ثم اليس الأقربون أولى بالمعروف ؟ !

هذا واجبنا نحوهم من الوجهة الانسانية ، أما من الوجهة الوطنية فلا أظن أننى بحاجة الى الأسهاب فيه ، لأننى اعتقد أن الجميع يقدرون ما لتقوية عناصر الأمة الاجتماعية من الأثر العظيم فى تقوية كيانها القومى .

فى كل يوم نقرأ أمثلة جديدة عن اهتمام الأمم الراقية فى تكثير معيار التناسل الصالح فيها، وتكثير عدد أبنائها لتعتز بقوتهم من عاديات الأيام، فى حين أننا نهمل ثلث مجموعنا بل ربما اكثر من الثلث فنتركه عضواً أشلا ، لا نفع للوطن منه، بل ربما كان أقرب الى الموت منه الى الحياة .

وما يدريك لو عنيت بتثقيف هذا المجموع المنعدم وربما كان لك منه الغوث المنتظر ، ربما خرج لك منه الأدمغة التى تعرف كيف السبيل الى الخلاص . إن المرحوم عبدالمحسن السعدون مثل الوطنية المجسم، ورئيس وزارة العراق السابق، والمنتحر فى سبيل الذود عن كرامة امته - هو احد أفراد هذه العشائر الذين قدر لهم أن يردوا مناهل العلم، فكان علماً من أعلام الوطنية الخفاقة، وعاملا فيها من كبار العاملين .

وما يدريك لو ثقفت هذا المجموع المنعدم، ربما خرج للبشرية منه الأدمغة التى قد تؤدى لها أجل الخدم ... أليس البدوى هو الذى أوجد علم الفلك، ووضع له قواعده، وهو الذى ابتكر طريقة تعيين المواقيت، واخترع الساعة، واكتشف ملح البارود، وجلا اسرار الكيمياء، وجعلها علماً قائماً بذاته بعد ان كانت البشرية تجهل كل شىء عن الكيمياء ؟ ثم أليس البدوى هو الذى وضع أسس الصيدلة ، وفن التداوى ، وأصول الجراحة، وأول من اكتشف طريقة التداوى بالزئبق ، وأول من داوى الامراض العصبية بالكهرباء ، بواسطة نوع من السمك يقال له « الرعاد » ؟

هذا بعض ماقام به العربى من الخدم العلمية الكثيرة العدد لهذه البشرية يوم كانت غارقة فى ظلمات من الجهل، فمن الظلم اذن أن ندع هذه القابلية الممتازة تضيع اليوم بين البراعة فى التحقق من هوية السواد المقبل ومعرفته فيما اذا كان صديقاً أو عدواً ، وبين المهارة فى اقتفاء الأثر وانتخاب الارض الصالحة لرعى الابل وحلب الشاة وصنع السمن وجز الصوف .

فهذان الواجبان وحدهما كافيان لحملنا على ان ننظر نظرة جدية فى امر اخراج هذا المجموع الأشل من امتنا من هذه الحياة المظلمة الى حياة تنير ارجاءها الثقافة وحسن التربية الصحيحة .

مزايا العرب الفطرية :

ان العشائر الرحل هم العرب الحقيقيون، واليهم ترجع أصولنا، وليس من الانصاف أن لانهتم لأمرهم ولا نثقفهم فنغذى فيهم تلك المزايا السامية - التي يصفها شاعر القطرين بذلك الوصف البليغ العادل - بغذاء العلم لنؤهلها لخدمة العرب والانسانية معاً .

لا يمكن تقدير مزايا الامة الفطرية حتى تقاس بمزايا امة اخرى، فيظهر اذ ذاك الفرق بيناً. واليك مثلا واحدا يؤكد لك بأنى لم أبالغ فيما أرويه عن الفطرة العربية وقابليتها للتثقيف والاصلاح.

منذ مائة سنة تقريباً انتشر داء الجدرى فى البلاد الانجليزية — وكانت لاتزال تلك البلاد فى عالم الفطرة الاولية — ولم يكن الشعب الانجليزى يعرف يومئذ شيئاً عن عملية التلقيح ضد الجدرى ، فلما أخذت الهيآت الموكول اليها امر التلقيح تشرع فى عمليته ، كانت تصادف من الشعب ممانعة هائلة ، وكثيراً ما كانت عرضة لفتكه وانتقامه ، وكانت تذهب المساعى العظيمة التى تبذل فى سبيل اقناعه بفائدة العمل سدى ، حتى أنهم كانوا يقولون على سبيل المثل فى التهويل : « التلقيح و بونابارت ألد أعداء انجلترا » .

قس هذا الحادث بما وقع بين عشائرنا منذ برهة قصيرة، وقدر بنفسك الفرق بين الفطرتين:

منذ بضعة اشهر تقريباً حدثت بعض الاصابات بداء التيفوس بين بعض عشائر الشرق العربى، فقامت دائرة الصحة هنا بواجب التلقيح ضد هذا الداء، وكانت تلقى من تلك العشائر — بعد أن أفهمتهم فائدة العمل — كل مساعدة على إتمام مهمتها . هذا المثل - على بساطته - يظهر لك الفرق ما بين: الفطرة العربية ، و بين فطرة امة تعد نفسها أعظم أمة على وجه الارض ، فليس من المروءة اذن اهمال امتنا وفيها اكمل فطرة ممتازة .

حياة البدوى وأخلاقه الحاضرة :

لا مجال للتبسط هنا فى شرح كل ناحية من نواحى الحياة عند هذه القبائل كل على حدة، فجميع نواحى الحياة عندهم ظلمات تتكاثف بعضها فوق بعض فهم يتخبطون فى طيات هذه الظلمات تخبط الأعمى الضائع ، وأجدر بى أن يكون كلامى عاماً .

ليس هناك إحصاء صحيح نقف منه على حقيقة عدد النفوس عندهم ، ولكننا نستطيع القول على وجه التقريب، أنهم يشكلون ثلث مجموع الأمة العربية ، وأسماء هذه القبائل أمر يعرفه أكثر الناس فلا حاجة لذكره هنا .

أما أخلاقهم فمن المعلوم أن أخلاق المرء أى (مجموع طبائعه) تتطور بتطور بيئته، فقد تتكامل وتنمو نمواً حسنا ، وقد تضعف وتسوء . ولا ريب فى أن للغرائز الوراثية تأثيرها

القوى فى سوق طبائع المرء إلى ناحيتها ، ولكن من الثابت أن البيئة هى التى تسيطر على تكييف هذه الطبائع وتلبسها لباسها ، وعلى هذه القاعدة يجب أن لا نفاخر كثيراً بأخلاق العرب الحاضرة المفاخرة التى ترتاح اليها النفوس . هذا إذا أردنا أن لا نخدع أنفسنا ، وإذا كان مبدؤنا تقرير الحقيقة والاعتراف بها . العرب أمة مجيدة منذ البداء وأخلاقها الفطرية أخلاق طيبة بلا ريب : فكرم العربى واجارته المستغيث ، وتفانيه فى سبيل حماية الدخيل ، وإبائه ووفائه ، وجرأته وشجاعته ، ونفوره من الأسر والاستعباد ، وتوق نفسه الى الحرية الكاملة كل ذلك أمر يقره الجميع ، ولقد كان صحيحاً تعليل العلماء الاجتماعيين ذلك الأمر إذ قالوا : إن هذه الصفات الأخلاقية العالية التى يتصف بها البدوى ، ناتجة عن نسق حياته فى البادية ، غير أن ذلك كان قبل هذا العصر الاقتصادى الشحيح ، وقبل ان تفسد دنانير المستعمرين تلك النفوس الطيبة النقية فتتلاعب بها كما يتلاعب الاطفال بالكرة . فانك اليوم — على الرغم من بقاء البعض منهم تلازمه غرائزه الاساسية الطيبة — ترى ان اكثرهم يتصفون بصفات لا تلبث متى تأكدتها ان تشمئز وتنفر منها نفورك من أقبح الخبائث . خذ لذلك مثلا : ان أى أجنبى يستطيع بقليل من المال ان يسخر الكثيرين من هؤلاء المساكين ويستخدمهم ضد الكثيرين من اخوانهم ومن هم من أبناء دينهم وجلدتهم ... ان أى أجنبى قادر ببذل القليل من الذهب الوهاج ان يجد بينهم العشرات بل المئات الذين يتطوعون عن طيبة خاطر للتجسس على امتهم وبلادهم ، مع أن التجسس احط عادة دنيئة عند العرب منذ القدم ، وهذه وحدها سيئة لعمرى كافية لأن تمحو فضل الف حسنة من الحسنات التى ذكرناها : كالكرم والوفاء والشجاعة مثلا . وليس من العدل أن أهمل القول هنا بأن للعرب المتحضرين أيضا حصة وافية من هذه المأساة أقول ذلك والأسف يملأ جوانحى . فاذا ذهبت أيها العربى إلى بلاد أخرى وبذلت الوف الجنيهات لتستأجر من أهلها من يتجسس لك عليها لتعذر عليك ذلك ، ولكن الأجنبى فى بلادنا فى برهة قصيرة وببذل القليل من المال يستطيع استخدام الكثيرين للتجسس على بلادهم ، وهذا لعمرى من دواعى الألم الممض ؟

خالد الخطيب

الاســـــراء

بقلم فضيلة العالم الجليل

السيد محمد الببلاوى

« ألقى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد الببلاوى نقيب الاشراف بالديار المصرية ، خطبة قيمة عامرة تناول فيها مسألة «الاسراء» وكان ذلك في الاحتفال الرسمى بليلة الاسراء بجامع الرفاعى ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ . وتفضل فبعث بها الينا، فرأينا أن ننشرها لما حوت من آراء جليلة، شاكرين» المحرر

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير »

(قرآن كريم)

اتفق المسلمون على أن المراد بالعبد فى الآية الكريمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأجمع المؤرخون وعلماء السير على أن الله جلت قدرته أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس فى ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

ورأى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفريق من المسلمين أن الاسراء كان بالروح الطاهرة فقط . أطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى نومه على شيء من آياته وأراه المسجد الأقصى ، وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين إماماً ، قالوا: ورؤيا الأنبياء صادقة لأنها نوع من الوحى واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى هذه السورة: «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس» ولكن استدلالهم بهذه الآية ـ على ما ذهبوا اليه من أن الرؤيا منامية ـ لا يثبت لهم ما ذهبوا اليه لأن الرؤيا التى فى هذه الآية لم تكن نصا فى الاسراء ، بل يجوز أن يكون المراد بها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، أو رؤياه المبشرة بفتح مكة . ولما كانت الرؤيا التى فى هذه الآية غير نص فى الأسراء ، أصبحت الآية غير صالحة أن تكون لهم دليلا ، فلا تقوم لهم بها حجة على ما ذهبوا اليه ، ولو كان الأسراء رؤيا منام ما دهش المشركون وملكهم العجب لما سمعوا رسول الله يخبر بذلك ، وما سارعوا إلى تكذيبه ، وما ارتد ضعفاء الايمان عند سماع ذلك ورجعوا بعد إيمانهم كفاراً .

على أن الرؤيا المنامية لا تستبعد من أى إنسان كائنا من كان، فاذا حدث الناس شخص بأنه رأى فى منامه أنه انتقل إلى البلاد الشاسعة والأقطار المتباعدة وأنه رأى من الأعاجيب ما لا يخطر ببال لا يجد من سامعيه إنكارا عليه ولا جحوداً ولا تسفيها له ولا تكذيباً .

فاستنكار المنكرين لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بما عاين دليل صريح وبرهان واضح على أن الاسراء كان بجسمه وروحه الطاهرين، لهذا أجمع جمهور المسلمين من الصحابة وغيرهم على أن الاسراء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم كان بجسمه وروحه الطاهرين، ولا مانع عقلا من ذلك، فان الحركة المتناهية فى السرعة بالأجسام جائز حصولها فى هذا الوجود، بل هى موجودة بالفعل وإن لم تدركها العقول بادئ ذى بدء، وليس كل ما لا تصل العقول إلى إدراكه مستحيل الحصول لذاته، بل ربما كان من أقرب الممكنات وأيسرها، فلو أن مخبراً أخبرنا قبل أعوام مضت أن قناطير من الحديد تطير فى الجو وتحمل ما شاء الله أن تحمل من الأجسام اللطيفة والصلبة، وتقطع المسافات البعيدة جداً فى الوقت القصير جداً - لكنا بلا شك لا نصدقه، بل نبادر إلى تكذيبه لأن إخباره بذلك خارج عن دائرة تفكيرنا ومألوفنا فى ذلك الوقت، وبعده عن دائرة تفكيرنا ومألوفنا لا يجعله مستحيل الحصول لذاته بدليل وجوده الآن، وما يدرينا إلى أى حد تصل سرعة الحركة بعد قليل من الزمن ما دامت العقول الكبيرة دائمة البحث لكشف أسرار هذا الوجود؟ وإذا كانت هذه الأعمال والآثار فى مقدور المخلوق - وما أوتى من العلم إلا قليلا - فما بالك بالعليم الحكيم الذى وسعت قدرته كل شىء وأحاط علمه بما ظهر وما خفى .

بهذا نتحدث لإقناع من يحكم عقله المحدود بالشاهد المحسوس وهو غافل عن عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه .

أما العليم بعظم القدرة الالهية فيرى أن الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس فى جزء قليل من الليل معجزة له صلى الله عليه وسلم أجراها الله على يديه تأييدا لرسالته وتحديا لمنكرها، وهى بمنزلة قول الله تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . والمعجزة يجب أن تكون خارقة للعادة مخالفة للقانون جارية على يد رسول.

فالمسلم الصادق فى إسلامه متى صدق بنبوة محمد عن عقيدة وبرهان يجب عليه أن يقبل كل ما جاء به هذا النبي الأمين المأمون بدون بحث ولا تفكير، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وقد أخبر الله تعالى بأنه أسرى بعبده «محمد» ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فى تلك الليلة عرج به إلى الملأ الأعلى وأراه الله من آياته الكبرى وأوحى اليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات فى اليوم

(البقية على الصفحة رقم ١١٢٠)

تجاريبي في الحياة

للاستاذ الكبير اسعد بك لطفى حسن

— ١ —



(الاستاذ اسعد بك لطفى حسن)

الاستاذ الكبير أسعد بك لطفى حسن من خيرة رجالنا علما وعملا، وأنبلهم خلقا ونفسا، يمتاز بصراحته فى القول وحريته فى الرأى ، ولا أدل على ما نقول ، من هذه المذكرات الخاصة بحياته التى يقرر فيها ما يقرر فى صدق وخلاص ، ونحن نشارك الاستاذ أسعد بك حسن في أن الدكتور طه حسين قد فتح بكتابه «الايام» سبيل الادب الواقعى ، وأنه كشف فيه عن سير لم يشأ كتاب الشرق أن يذيعوا حياتهم على سياقه ونسقه .

وفى يقيننا أن الاستاذ لطفى بك قد تأثر بالايام وصاحبه أجزل تأثير . فهو يطلع علينا فى هذه المذكرات بالوان حياته وما فيها من تجارب، وسيرى القراء فى هذه المذكرات — التى سنوالى نشرها — من روائع الانباء ما يمتعهم دون ريب . .

المحرر

ثارت الحرب العالمية فأثارت معها : هواجع الأمم، ورواقد الشعوب، ونوم الدول ، وأهاجت النفوس ، وأشعلت الأفئدة ، وأيقظت القلوب ، وأنعشت الأرواح ، وكان للشرق أكبر نصيب فى اليقظة بعد رقدته ، والحركة بعد سكونه ، والصحو بعد نومه ، والعمل بعد خموده والجد بعد جموده . وما وضعت الحرب أوزارها حتى سكن القائمون بها ، وهجع المشعلون لنارها ، وعلى الضد قام الشرق ، وبدأت نهضته ، وعمل واستمرت حركته ، وتقدمت خطواته، وكثرت آماله ، وانتشرت فى كل ناحية من نواحى الرجاء مجهوداته وأعماله ، ومن ثم وهو يقاتل اليأس ويعتنق الرجاء ، ومنذ عهد قريب بدأ يجنى ثمرات غرسه ، ويتمتع بلذيذ ما تطيب

إليه النفوس وتطمئن له الخواطر ، وكان إحياء العلوم وإنهاض الآداب من أقوى قواه وأعظم ما كان يعمل له ويرجوه ويتمناه ، فقد أطل على الأدب العربي والتفكير الشرقي قبس جديد من الثقافة التجريبية الناجعة، والبحوث العلمية النافعة ، ذات الأثر الفعال في تربية أذواقنا العامة وأحاسيسنا الفردية، وفي توجيه الحياة الدائمة الأثر إلى الناحية الناجعة المرجوة والمنتجة حقاً . ولا مراء في الاقرار بأن ظهور ذلك القبس كان بأشراق تلك المذكرات القيمة النفيسة التي طالع بها القراء صديقنا الأديب النابه الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، عن تاريخ حياته ، وما جاء بها من حرية القول وصراحة الحقائق ونزاهة النشر ، ولعل القراء يذكرون أيضاً ــ ويذكرون بالخير الكثير والثناء العاطر ــ مقالات «الأيام» وهي تنم على أنا لسنا في حاجة الى تعريفنا بالدكتور العميد ، أو تمداحنا لمواهبه وكفاياته وقوة نبوغه .

ولا نبالغ في اعتبارنا هذا الأسلوب القيم والنوع الثمين القدر من الكتابة التهذيبية، بأنه القبس المنير الوضاء ، والاتجاه الصحيح النافع للثقافة التجريبية الناجعة ، والمورد العذب لأرواء النفوس بالخلق الكريم، وتغذيتها بالفضائل الواصلة إلى قرارة القلوب والافئدة ، ذلك لانه بمثابة خطة عملية للحياة الحقيقية ، ورسم واضح لصورة ما في تلك الحياة من مهامه وفيافي ، وأنجاد ووهاد ، وسهول وحزون ، وأضاليل وأباطيل ، وترهات وخزعبلات يتحذر من الوقوع فيها، ويعمل على تفادي الشر منها ، ويكون المجهود النافع بمثابة منارة كشافة ترسل الضياء المنير، والهدى الساطع لارتياد طرق الخير والهداية والارشاد ، حتى لا ترتطم الرذائل بالفضائل ، ولا تبتلع الاهواء قوى العاملين الصابرين، وتفنى مجهود السالكين المجدين ، وما أكثر ما في هذه الحياة الدنيا من صعاب نكراء ، وعقبات كأداء ، ومصائب دهماء ، ودواهي برحاء .

ونتمسك بهذا النوع القيم ، ونعتبره قبساً واضح الانارة ، لأنه وصف دقيق للحياة الحقيقية بدررها وغررها ، وجواهرها وأصدافها ، ونتباهى به، كما اعتبر الفرنسيون اعترافات (روسو) وقدر الانجليز اعترافات آكل الأفيون (ديكنسى) ، وكما فاخر الايطاليون بمذكرات (بانيني) عن المسيح عليه السلام ، وكما يعترف العرب للكثير من علمائهم وأدبائهم ببحوثهم المنتشرة هنا وهناك في الأغاني والجاحظ وغيره من فذلكات قيمة وأقاصيص متينة شيقة .

ونعتبره قبساً خليقاً بالاحتذاء والاقتداء ، يرجي منه النفع كله، والاهتداء به إلى تقويم المعوج من الأخلاق ، وإنماء المستقيم من العادات، والهداية إلى الطريق السوى ... وبهذا نستميح «قراء المعرفة» الكرام أن ندلي بدورنا بدلائنا لنمتاح من هذا القليب الذي لا ينضب، والمعين الذي لا يزال يدر بأخلاف النفع ومختلف الفوائد ، ونتقدم إليهم آمنين مطمئنين لعفوهم الكريم وفضلهم العميم ، لعلنا نصل بواسع حلمهم وغزير علمهم الى ما نعمل له ونصبوا اليه من مقاومة

ما اجتاح الهمة ونزل بالفضائل ، ونتمكن من بث مايدعو الى: العزة، وإباء النفس، والشمم والكرم، والحلم، والجود، والبر، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ، ومن ثم يسطع نور الثقافة وتضيء شمسها وتخترق أشعتها قلوب العاملين وأفئدة المجدين ، وتعود شمس العرفان الى مشرقها مهبط الوحى ومبعث الحكمة ونور اليقين .

فى هذه الحياة الدنيا التى بدؤها بلاء ، ووسطها عناء ، وآخرها فناء، وأولها حركة، ونهايتها سكون ، فى جوها المملوء بالمفاجآت ، المفعم بالمحزنات ، المضطرب بالآلام النفسانية ، المشبع بالغيوم الخلقية ، المملوء بالزفرات والحسرات ، فريق من الناس يلهو ويلعب ، ويمرح ويطرب، وآخر يتألم ويتوجع، ويشكو ويتضرع ، وغيره يرضى بما هو عليه ، ويسر بما هو سائر فيه ويقنع، أضداد ومناقضات ، تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فى هذه الحياة — وقد قضيت الخمسين من عمرى ، ومرت بى فى خلالها ما مر من أفراح وأتراح، وهموم ومتاعب، وتسهيلات ومصاعب، ونعم ومحن، وهناء وبلاء، ونعيم وشقاء ، وكان لى منها عظة واعتبار ، وتجاريب واختبار ، وآمال وآلام ، ورضى وتوجع، وشكر وتضرع ، ومواقف ومواهب — رأيت بعد بحث عميق، وتمحيص وتدقيق، أن كل انسان مسئول عن الدعوة للواجب، مكلف بالتذكير للخير وفعل المعروف ، مطالب بالعمل للاصلاح وخير المجموع ، لا فرق بين أمير وحقير ، وكبير وصغير، وواعظ اختص بالوعظ ، وكاتب انقطع للقلم والقرطاس، بل الكل مسئول عن تأدية واجبه نحو المجموع الانسانى قدر طاقته ، وفى دائرة علمه ومداركه وتجربته. وما أجمل أن يطبق العلم على العمل ... لهذا رأيت فى حدود تجربتى وخبرتى — التى قضيت فيها ذلك العمر المنصرم — أن لا أضيع مجهود تلك المرحلة، ولا أضن بسرد ما صادفنى واعترانى، لعل فيه نفعاً لغيرى، وتفاديا مما أصابني، فلا أضن بسر ليس فى إذاعته ضرر ، ولا أبخل بأمر فيه عبر ومزدجر. فالصراحة مبدأى، والاخلاص للحق رائدى، والوفاء للواجب مقصدى ، وعظة الناس واعتبارهم وعبرتهم غايتى . وإنى لا أتهيب سرد وقائع خفى أمرها عن الناس، وفى ذكرها دفع للشر وعمل للخير ... كل هذا ليكون الواقع عند قول القائل « سل مجربا » .

نشأتى:

سبحان الله خالق كل شيء ، سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض، ومن أنفسهم، ومما لا يعلمون ، فقد أوجدنى من أبوين — رحمة الله عليهما — وقد فارقا هذا العالم الفانى وانا ابن ثلاث سنوات، وخلفانى يتيما أتجرع كأس اليتم المرير، وأشرب حنظله، وأتجرع مره وصابه، مع أن أبى — طيب الله ثراه — كان كما شهد له أهله ومعارفه — تقيا ورعا، ممن اتبع قول الله «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » فخلف

لنا ما كان كافياً لحفظ كيان: أولاده الستة، وابنتيه، وزوجته غير امى، وجدتى لأبى، ولكن شاء القدر ان يتولى أمر هذه العائلة وصيان: أولهما عمى شقيق أبى، وثانيهما جد اخوتى لأمهم، وكان المجلس الحسبي سلطان الرقابة عليهما.

المجلس الحسبي:

كان المجلس الحسبي رقيباً على عمي الوصى، وكان يحاسبه فى كل سنة، ولا يزال ماثلا لناظرى وكان ينتقل عمى من محل إقامته بمدينة طنطا الى مقر رئيس المجلس بمدينة دمياط فى كل عام مرة وقد كنت أتذكر جيداً اهتمام عمى بهذه الرحلة، حيث أراه شديد الاهتمام بالانقطاع الى إعداد كشوف الحساب، والاستعداد بشتى الهدايا، فكان يحمل باليمين أوراقا و باليسار ارزاقا، حتى اذا ما وصلت الارزاق، اعتمدت الاوراق، وكان الحساب يسيراً وعاد عمى فرحاً مسروراً.

سبحان ربى! فقد انطبعت فى مخيلتى حياة الصغر، كأنما رسمت كل المرئيات التى مرت أمام ناظرى فى خلايا ذلك العقل الصغير الذى احتوى كل حادث مر عليه، أو كأنما كانت ثنايا ذلك المخ طيات كتاب حفظ كل صغيرة وكبيرة فى ادوار الحياة، حتى اذا رجعت اليه راجعت تلك المحفوظات فوجدتها كأنها بنت اليوم لا تحوير فيها ولا تغيير.

لهذا، أذكر أن عمى اختلف مرة مع كاتب تجارته — وكان ثم اتفاق بينهما من قبل — فاتخذ الكاتب الخصومة سبيلا للطعن، فأذاع بين الناس شيئا ضد مفردات الحساب، وما هى إلا عشية — استحضرت فيها بعض المطايب من الهدايا، وما أسرع من القطار الذى حملها وكتاب البريد — حتى وصل الرد بالاطمئنان وعدم الاهتمام... هذه واقعة تدفعنى للكلام عن المجالس الحسبية فى عهدها القديم وحالها الحديث.

من راجع أعمال هذه المجالس فى الماضى والحاضر، لا يشك مطلقاً بأنها من الأنظمة الواجب التدقيق فى مهمتها، ووضع خطط قيمة تدفع عنها ما أصابها من الشكوى والضجر، لأن المجالس الحسبية فى عهدها القديم نظام عتيق لم يكن للرقابة على الاوصياء ومحاسبتهم على تصرفاتهم، بل كان لاطلاق أيديهم فى مال القصر، والسعيد من تهيأت له أسباب الوصاية أو القوامة حيث لارقيب ولا محاسب، وقد كان هم المجالس مراجعة الايرادات والمصروفات فقط، والتصديق على المبررات، ولم نسمع أن مجلساً حاسب وصيا على تعليم قاصر أو الاهتمام بحالته الأدبية، وكان الأوصياء يجتهدون فى إجابة طلبات القاصر و إرضاء المشرف، وقد ينتهى الأمر ببلوغ القاصر سن الرشد والاستيلاء على حقوقه بحالتها التى وصلت، دون أن يعرف كيف يتصرف فيها أو يدير شؤونها، ولذلك تسوء العاقبة أو يندفع فى تيار الضلال و يلتف حوله قرناء السوء، فلا يلبث إلا قليلا حتى يصبح معدما، واذا رأيته فى ضلاله قيل: إنه وارث.

وقد تحسنت حال المجالس فى عهدها الجديد فى أمر واحد فقط، وهو: الدقة والشدة فى المحاسبة المادية، والاشراف الدائم على المادة، ولكن التصرفات التفصيلية من النواحى الادبية والخلقية، والعناية بتعليم القاصر وتثقيف عقله، فهذا أمر لا شأن لها به ولم يكن من عملها.

والنتيجة تكاد تكون أشد من نتيجة الأمس، اذ يبلغ القاصر رشده — وهو ثرى لم يكن يحلم بما يملك ولا يدرك غاية ما عنده — فيندفع فى الحياة على غير هدى .

ومن المدهش أن للقصر أموالا ضخمة مودعة باسمهم فى خزانات الحكومة دون فائدة أو استغلال، ودون البحث فى استثمارها فى عمل نافع ، وكان من السهل التدبر فى ذلك ، وقد آن الأوان للاهتمام بهذه النقطة الدقيقة الهامة .

حياة الطفولة:

أنتقل بك أيها القارىء الكريم لأذكر إصابتى بمرض الحصبة ، وأنا فى الرابعة من عمرى ، وقد عهد الى عجوز تمرضنى، فجعلتنى تحت رحمة جهلها وتصرفاتها السيئة ، فكانت تتلاعب بحياتى وتجعلنى ضحية تجاريبها واختباراتها ، اذ حرمت على غسل عينى طوال مدة المرض، ولولا فضل من الله ورحمة لفقدت بصرى ـ ولكني نشأت قصيره وضعيفه ـ ثم جاوزت كل حد فى التعنت، فحرمتنى رؤية الشمس، ووضعتني فى كلة (ناموسية) حمراء ، وألبستني جلبابا أحمر، ومنعت عنى شرب الماء ، وأباحت شرب منقوع السكر الأحمر.. كل هذا ليظهر الطفح، وأغلقت نوافذ الغرفة التى كنت أقيم بها، وسدت منافذها حتى لا يدخلها الهواء فأصاب بالسعال الحاد، وإن أنس لا أنسى يوم خلعت عني كل ملابسي، وغسلت جسدى بماء الملح وعصير البصل ، ثم تنازلت وسمحت لى بما شاءت من الطعام ... كل هذا وانا فريستها ، ولا من ينقذنى من مخالبها ، لا نى يتيم لم أسمع صوت الأم الحنون، ولا أجد عطف الأب الشفيق .

أنا يتيم أحس بآلام اليتامى، وأشعر أنى ـ ولما كنت عالة على عمى الذى عهد اليه أمر تربيتى ـ كنت فى شقاء دائم: إن مرضت لا من يواسينى، وإن جعت لا أجد من أتجاسر عليه واطلب منه طعامى ، وان كانت لى حاجة الى أى شىء لا أجد من أفاتحه فيه ليسعفنى به ... كنت انظر حسرة الى ما أحتاج اليه ، ويرتد بصرى وهو حسير بألم لوعة الحرمان من الأم والأب، إذ هما حقا قبلة آمال الولد وكعبة رجائه .

عهد إلى عمى إدارة شئونى فنقلنى وأخى الأكبر قليلا منى إلى داره، وكان مقيما بمدينة طنطا، وقد صاهر أحد أهلها، وإن كان موسراً إلا أنه كان قروى الحياة صميمها، يسره أن يجد مواشيه فى صحن داره، لا يعبأ بما يتصاعد من روائح ، ولا يهتم بغير وفرة ألبانها وكثرة زبدها وسمنها ، ومن الأسف أن عمى كان راضياً بهذه الحياة ، سعيداً بالتمتع بزوجته التى هى غاية قصده ومناه ، فعهد اليها أمرنا والعناية بنا ، وعلمت هى وأهل الدار أننا ولدا أخيه اليتيمان قد فقدنا الأب والأم ، وأننا تحت رحمتهم وفى كنفهم .

بدأت حياتنا الجديدة بالاندماج فى هذه العائلة، وكانت فوارق كبيرة بين المعيشتين: الحالية والسابقة ، ولكن هكذا أراد الله، وكان ولى أمرنا لا يهمه الا أن يسمع عنا أننا أكلنا وشربنا. إلا أنه من الجحود أن أنسى ما كان له من حسنات فى هذا السبيل ، فاسأل الله له الرحمة كما أنى أذكر ضدها وأغتفرها له ؟

— يتلى — أسعد لطفى حسن

الامتيازات الاجنبية

ماضيها – حاضرها – مستقبلها

بقلم الأستاذ محمد أمين حسونه

الاصل فى الامتيازات — الامتيازات فى مصر — مقارنتها بتركيا — تفاقم الحالة فى مصر — مساوىء النظام الحالى — مايعوق تقدمنا الاقتصادى — جهودنا فى مكافحتها.

---

(١) فى بحث لغير واحد من كبار العلماء المشتغلين بالفقه والتشريع أن الأصل فى الامتيازات الأجنبية هى الشريعة المحمدية السمحاء التى تنص على أنه يسمح للاجانب بتركهم إلى قضائهم للفصل فى منازعاتهم الطائفية ، وبدليل قوله عز وجل « فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم »

ولفظة الامتيازات Capitulations مأخوذة من كلمة « كابوت » أى الرءوس أو الفصول الذي كان العهد الاسرائيلى القديم ينقسم إليها ، وفي معنى آخر « الخضوع والتسليم بالأمر »

والامتيازات فى حد ذاتها ، بقية من بقايا العصر الاسلامي الأول ، حين كانت كل أمة من الأمم الأجنبية تطلب ضماناً لرعاياها فى شكل امتياز يمنح لهم ويخول لهم حق الاقامة فى البلدان التى يرغبونها ، مع عدم التعرض لهم بسوء ، وحمايتهم من الأشرار ، ولا يخفى أن ذلك كان ضرورة للاتصال بهم لمصلحة التجارة

ويعزو البعض إلى أن نظام الامتيازات الحالى أصله تركيا ، على أن التاريخ يذكر لنا بعض معاهدات أبرمت فى شكل امتيازات بين كل من : السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وجمهورية بيزا فى ٢٥ سبتمبرسنة ١١٧٣ ، إذ جاء فيه مايلى « جاءنا مندوب بيزا فاتضح لنا أن

مصادر هذا البحث ومراجعه :
١ — كلوت بك — لمحة فى تاريخ مصر
٢ — تقارير نوبار باشا
٣ — مركز مصر الاقتصادي
٤ — انجلترا فى مصر للورد كرومر
٥ — الياس الأيوبى — مصر فى عهد الخديوى اسماعيل
٦ — مذكرات باريس بالقاهرة
٧ — مجموعة مجلة كلية الحقوق

البيزيين راغبون فى ولائنا وإطاعة أوامرنا ، والمجيء إلى ممالكنا ، وقد سمحنا لهم بالدخول مراعاة لمصلحة التجار الذين يجيئون إلى بلادنا ويحضرون معهم أصناف السلع والبضائع ويؤدون عليها الرسوم »

وفى سنة ٨٤٤ هجرية عقدت معاهدة بين كل من : السلطان أبي النصر ، وجمهورية فلورنسا ، وفى سنة ٩٠١ هجرية عقدت معاهدة بين كل من : السلطان قايتباى ، وجماعة الفرنسيين من أهالى فلورنسا ، ثم اتفاقهم أيضاً مع السلطان قانصوه الغورى سنة ٩١٠ هجرية حينما أنشأوا قنصلية لهم بمدينة الاسكندرية .

أما الامتيازات فى تركيا ، فقد بدأت سنة ١٥٣٠ ميلادية حينما منح السلطان سليمان القانونى فرنسوا الأول ملك فرنسا امتيازاً لرعاياها فى تركيا ، ثم امتيازاً آخر إلى كل من : ملك انجلترا واسكتلندا ، ثم إلى بقية الدول المسيحية .

وكانت هذه المعاهدات التى تعطى فى شكل امتيازات تنتهى بموت صاحبها ، إلا أنه صدر في سنة ١٧٤٠ قانون مقتضاه أن الامتيازات تبقى بصفة مستديمة ، وأنها لا تسرى على الدولة العلية وحدها فحسب ، بل على جميع الولايات التابعة لها

وهذه الامتيازات التى كانت عبارة عن منح يمنحها السلطان بصفة مؤقتة ، كان الغرض منها تأمين التجارة والبحارة والرحالة على أرواحهم وأموالهم ، وحضهم على الهجرة لنشر التجارة فتنتعش الحياة الاقتصادية

(٢) وجاء السلطان سليم إلى مصر ، وأراد اجتذاب الأجانب إلى ربوعها لينقلوا اليها ألوان الحضارة الأوربية ، وليروجوا تجارتها فيسود فيها الرخاء ، فأصدر بلاغاً إلى قناصل الدول فى الاستانة جاء به : أن جميع المعاهدات التى أبرمت مع تركيا يسرى مفعولها فى مصر ، وأن للأجنبي حق الاقامة والتمتع بنفس الامتيازات الممنوحة اليه فى حدود الدولة العلية ، بل وأكثر

وكان من المقتضيات الطبيعية لهذه المزايا تعيين قناصل اتسعت سلطتهم تدريجياً ، وبمرور الزمن صارت الفئات الصغيرة من التجار جاليات مقيمة تتمتع بالاعفاء التام تقريباً من تشريع الدولة وضرائبها ، وتتكون منها دويلات داخل الدولة مما يتنافى وسيادة الدولة المستقلة ، ويقيم سداً منيعاً فى سبيل تقدمها وإدخال تشريع جديد إلى قوانينها

وقد يرجع السبب الأساسى إلى تمتع هذه الكثرة الهائلة من الأجانب ، الى أنهم ينشرون روح التعليم فى أوساطها ، وينقلون اليها ألوان الحضارة ، ويروجون سلعها ومحصولاتها ، ويستخدمون أموالهم فى إنشاء الشركات والمشروعات النافعة بين ربوعها ، فاذا نظرنا إلى العصر الحاضر

حق لنا أن نتساءل : هل يؤدى الأجانب إلى مصر اليوم هذه الخدمة حقاً حتى يحق لهم اكتساب هذه المزايا التى ترفعهم عن الوطنى ؟

إن أكثرهم يأتى إلى بلادنا لا يملك شروى نقير ، يقصدونها لغرض الارتزاق والانتفاع منها ، وليجنوا ثمراتها وخيراتها دون أية خدمة يؤدونها ، حتى صارت مصر لهم كالبقرة الحلوب، نحن نطعمها ونسهر على راحتها وهم يأخذون لبنها وخيرها

بل إن البعض من الاجانب ينشرون فى البلاد الفساد، ويرتكبون أفظع الشرور والآثام، يتاجرون فى المحظورات والمخدرات وفى الرقيق الأبيض، ويستعين بهم بعض الأشرار — من الوطنيين — على ارتكاب الجرائم ، واقتراف الموبقات وتهريب البضائع ، دون خشية من القانون الذى لا يملك سلطة لتأديبهم وردعهم .

وقد ظلت الامتيازات فى مصر على ما هى عليه إلى أن تسلم زمامها « محمد على » فكان لزاما عليه أن يبقيها كما هى لسببين :

١ — أنه تعهد للباب العالى بمحافظته على جميع التعهدات التى ارتبطت بها تركيا مع بقية الدول إذ جاء فى فرمان ولايته سنة ١٨٤١ « بأن عليه احترام جميع المعاهدات ، التى أبرمت والتى ستبرم بين الحكومة العثمانية والدول المتحابة » .

٢ — تشجيعه للتجارة ، فقد تسلم زمام مصر وعدد سكانها لا يزيدون عن ٢ مليون نسمة وتجارتها الخارجية نحو ٥٧٧,٠٠٠ جنيه، إذ أن مصر كانت تئن فى ذلك الحين من حكم المماليك وإرهاقهم إياها بمختلف الضرائب .

وقد كان « محمد على » يكرم وفادة الأجانب ، ويعمل على راحتهم جهد طاقته ، لأنه كان فى أشد الحاجة اليهم فى معاونته على إصلاح حال البلاد وترقية شؤونها الداخلية، وتنفيذ المشروعات الضخمة التى كان يخرجها شيئاً فشيئاً ... والدليل على ذلك ما جاء باحدى المخطوطات التى كتبها « محمد على » وعثر عليها كلوت بك ونشرها فى كتابه وهى « نوصيكم بعمل ما يلزم كى لا يلحق بحامل هذا حيف، أو يوجه اليه شتم من الفلاحين ، وأن تبادروا بموافاته بما يحتاج اليه ، وألا يدفع ثمناً عنه إلا السعر الجارى ، وإنى أعتبر أن الخدمات التى ستؤدونها اليه كأنها أديت الينا بالذات » .

كان من جراء ذلك أن الحكام أكرموا الأجانب فوق الحاجة واحترموهم احتراماً لا مزيد عليه، واستعانوا بهم على قضاء مآربهم وشهواتهم ، ووجد هؤلاء فى مصر مرتعاً خصباً يجنون منه أطيب الثمار ، فزادت سلطتهم وقوى نفوذهم لدرجة أن كانوا يعاملون الوطنيين بسوء واحتقار بكل ما فى الوسع ، وليس أدل على ذلك من قول كلوت بك نفسه « إن فريقا من الأجانب يسلكون مع المصريين مسلك الشدة والقوة، ويعاملونهم معاملة لا تتفق وروح النظام والمدنية الحاضرة التى

يدعونها و ينتسبون اليها ، وذلك لأنهم يعتبرونهم ككائنات حقيرة مرذولة خارجة عن نطاق النوع البشرى ويرون أنه ليس من الواجب مخاطبتهم بغير لسان الكرباج الذى يحملونه لضرب المكلفين بحمل أمتعتهم وأشيائهم باعتبار أنهم دواب يسامون سوء العذاب».

و تفاقمت الحال بعد ذلك تفاقماً صار من الصعب إيقاف تياره أو صده ، ذلك أن الأوربيين الذين فى مصر - وكانوا قد كثروا - منحوا لأنفسهم حقوقا فوق ما أجازته الامتيازات، أقدموا على ذلك لعلمهم أنه ليس فى البلاد من يعارضهم أو يمنعهم فيما يأتون ، وما كان ذلك كله إلا من تساهل الخديويين الذين قال عنهم لورد كرومر : « إن الخديويين لحاجة عاجلة منحوا الأوربى كثيراً من الامتيازات لم تصادق عليها معاهدة ، ولو أنهم تنبهوا لما حدث — نتيجة غفلتهم هذه - لما وسعهم مقاومتها . وعدم الوفاء بما عليهم من الديون دفعهم للنزول عن جانب من حقوقهم السياسية مقابل تنازل وقتى ، فصار الأوربى فى مصر صاحب الامتياز أكثر منه امتيازاً فى تركيا، فنشأ عن ذلك أن الجانب من الممتلكات التركية أصبحت فى السنوات الأخيرة تحت مراقبة دولية أوربية، فأضحت الامتيازات أقل ما يكون ضرورة، وبلغ من سوئها أن عطلت تقدم البلاد ، فدرجة الامتيازات أعلى ما تكون ، وشرها أكثر ظهوراً فى مصر من أى بلد من بلدان السلطان » .

(٣) فهذه الفوارق التى ظهرت فى مصر عنها فى أى بلد من بلدان السلطان — كما يقول كرومر نفسه – انحصرت فى المخالفات والجنح والجنايات والدعاوى المدنية والتجارية وحق الامتلاك والعقار .

فالجنح والجنايات التى كان يرتكبها الأجانب فى تركيا كانت خاضعة للسلطة الأهلية وحدها خارجة عن سلطة القناصل ، على حين نجد فى مصر أن الأجنبى الذى يرتكب — ولو مخالفة بسيطة — فانه كان يسلم إلى القنصل التابع له للفصل فى أمر دعواه، ولا يخفى أن لكل بلد نظاما ولوائح داخلية خاصة تختلف تمام الاختلاف عن الأخرى .

والجريمة التى يرتكبها الأجنبى فى مصر . فانه يرسل إلى بلاده ليحاكم هناك بمقتضى قانونها، الأمر الذى من شأنه كثيراً ما يطلق سراح المجرمين والسفاكين، نظراً إلى أنه من المتعذر إحضار شهود للقضية، ولأن القضاة والمحلفين غير ملمين بظروف الجريمة تماما ، وقد وضحت مساوىء هـذا النظام تماما فى حادثة قتل رجل ثرى عظيم فى القاهرة — مسيو شيكوريل — كان اثنان من المجرمين فيها أجنبيين والثالث مصريا ، فقد حكم على المصرى بالاعدام ولكن تنفيذ العقوبة ظل معلقا شهوراً عدة فى حين كان الأجنبيان يستأنفان حكم المحكمة القنصلية فى بلديهم ، لأنه كان من الضرورى جداً إرجاء تنفيذ الحكم على المصرى الى أن يصدر الحكم النهائى على زميليه ، ولما كانت قوانين بلديهما لا تسمح بعقوبة الاعدام فقد حكم عليهما بالاشغال

الشاقة... وقد أثار هذا الاختلاف - فى الحكم على مجرمين اشتركا فى جريمة واحدة - استياء شديداً من كافة الطبقات الرشيدة فى مصر.

والدعاوى المدنية التى تتجاوز الأربعين جنيها، فهذه كانت من اختصاص محكمة الباب العالى، ولما كان من المتعذر على الفرد الذهاب الى الآستانة نظراً الى شقة المسافة، وكثرة المصاريف التى كثيراً ما تربى على قيمة الدعوى، فقد سمح لهم برفعها أمام محكمة الخصم، ولا يخفى أن القنصل كثيراً ما كان ينتصر لابن وطنه على المصرى، واذا حدث وحكم بشىء فقد كان تنفيذ هذا من الصعوبة بمكان.

أما المواد العقارية فنرى أن تركيا قد سمحت للاجانب بامتلاك العقارات فى بلادها تحت بعض التحفظات، ومع دفع الضرائب عنها، على حين انعكس الامر فى مصر، فقد رفض الاجانب فى زمن سعيد باشا دفع الضرائب، بدليل ما جاء فى أحد تقارير نوبار باشا: « منذ أربعين سنة، والاوربى يتمتع بحق الملكية العقارية فى مصر، ومن المفروض أنه يمتلكها طبقا لقوانين البلاد، أما فى الواقع فانه يمتنع بحجة كون الامتيازات تحمى الاوروبيين من دفع الضرائب اذا كان مالكا لمنزل أو لأرض زراعية، وعند ما يتداخل القنصل تكون النتيجة عدم الدفع فى كل الاحوال ». وقال فى موضع آخر: « لقد صارت مصر دولة لا يمكن للوطنى فيها أن يجد العدالة سواء أكان مدعياً أو مدعى عليه، ويعتبر نفسه سعيداً اذا هو لم يترك المستأجر الاجنبى غير منزله... »

أما سلطان مصر وهيبة حكومتها فقد زالت تماما، وساعد على ذلك بعض الحكام، وقد طلب سعيد باشا من القناصل الاجتماع بهيئة مؤتمر وإقرار تنفيذ بعض القوانين الجنائية، ففشل المؤتمر.

(٤) أثرت هذه الحالة تأثيراً سيئاً فى سير البلاد وتقدمها الاقتصادى حتى ضج الجميع بالشكوى وتعطلت أعمال الناس وهضم حق المصرى وصار لزاماً على الاجنبى صاحب الامتياز أن يتنازل قليلا عن بعضها حتى ترجع البلاد إلى حالتها الطبيعية وتتخلص من المؤثرات المصطنعة التى فرضت عليها ظلما وعدوانا.

ظهر «اسماعيل» فى الافق يحمل بساعده القوى معول الهدم، يريد أن يقوض به أركان هذه الامتيازات، فانتهز فرصة وجوده بفرنسا لحضور المعرض الذى مثلت فيه مصر هناك، ففاوض الامبراطور نابليون الثالث ليساعده على إلغائها، ولكن السلطان عبد العزيز — وقد كان بفرنسا ذلك الوقت — وقف له بالمرصاد، وعارض فى أمر الغائها أشد المعارضة، لئلا تتخذ مصر من الغائها ذريعة لاعلان استقلالها وانفصالها عن بلاد السلطان!!

أعيت «اسماعيل» الحيل فكلف وزيره الداهية «نوبار» بايجاد حل لهذه المشكلة التى تفاقم

خطرها ، فاقترح عليه انشاء محكمتين للتجارة : الأولى بمدينة القاهرة ، والثانية بالاسكندرية وفعلا أنشئتا ، وكانتا مختصتين بالنظر فى القضايا التجارية المرفوعة من الأجانب على الاهالي وبالعكس، وكان رؤساؤهما من الأجانب ، إلا أنهما لم تأتيا بالفائدة المرجوة من إقامتهما العدل والمساواة ، فرأى « اسماعيل » بثاقب فكره أن تنشأ فى البلاد محاكم دولية يكون من اختصاصها النظر في الجرائم والجنح والمواد العقارية والتجارية التى تنشأ بين الاجانب والوطنيين ، فسافر نوبار خصيصاً لهذه المهمة إلى لندن وباريس والأستانة، وعقد المؤتمرات رجاء أن يوفق إلى إيجاد حل لذلك ، ووافقت الدول جميعاً ما عدا فرنسا التى عارضت فى أن تكون سلطة هذه المحاكم الفصل فى الجنايات .

وفى ٥ يناير سنة ١٨٧٠ عقد مؤتمر دولى بالقاهرة للنظر فى أمر الامتيازات وانشاء محاكم مختلطة ، وانتهى المؤتمر من أعماله بعد أن وافق على ذلك ، وافتتحت هذه المحاكم باحتفال رسمى كبير فى سنة ١٨٧٦ . وتختص هذه المحاكم الآن بالنظر فى القضايا المدنية والتجارية والدعاوى الخاصة بالملكية العقارية، ولها اختصاص محدود فى المسائل الجنائية: كالافلاس، والاختلاس، ومخالفة لوائح البوليس . وللجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة حق تطبيق القوانين الجديدة على الاجانب ، ولا شك أن نجاح هذه المحاكم ونزاهتها من أبرز الجهود فى تاريخ مصر الحديث ، مما رفع شأن العدالة فى البلاد وبسط بعض سلطتها .

(٥) ذكرنا أن هذه الامتيازات عقدت فى جو يختلف تمام الاختلاف عن جو العصر الحاضر ، فوجودها الآن ظلم بين على المصريين ... فكثيراً ما تثير الامتيازات حقد الوطنى على الاجنبى وتحمله ضغينة لا مبرر لها ، لأنه يمتاز عنه فى كافة الحقوق المدنية والجنائية والتجارية ، وقد سبق أن شرحنا ظروف جريمة يشترك فيها وطنى وأجنبي، وكيف أن الاول يحاكم بمقتضى قانون بلاده الذى يكون عادة صارما ورادعا لأمثاله ، وكيف أن الثانى يذهب إلى بلاده ليحاكم بمقتضى قانونها ، وقد يبرأ وقد يعود ثانية إلينا تحت شخصية غامضة لمعاودة إجرامه .

وإن فى سير هذا التشريع وبمثل هذه الصورة الشاذة ما يؤلم المصريين كثيراً إذ أن فيه عدم الثقة بهم وبقضائهم الاهلى الذى يشهد فيه دروزاس بقوله « إن الذين يعرفون الشباب المصرى لا يجهلون أنه يستطيع أن يمد المحاكم بقضاة عادلين متعلمين، لا يظلمون انسانا ولا يجورون على أجنبي بدافع كراهتهم لجنسية أو تعصبهم الديني »

وان من أكبر العقبات التى تمنع البوليس المصرى من تنفيذ رغباته وتأدية واجبه على أكمل وجه، أنه لا يستطيع دخول منزل أجنبى بدون ترخيص من القنصلية التابع لها ، وفى هذا ما يستخدم لحماية المجرمين، إذ أن القنصلية تغلق أبوابها فى أيام الاعياد والآحاد، وقد يمتنع قواص القنصلية أحيانا عن الذهاب لمرافقة البوليس المصرى خاصة بعد الغروب ، وقد يفاجأ البوليس

المصرى بادعاء أحد الاجانب أنه ليس رعية فتظل مسألته معلقة للفصل فى أمر جنسيته أولا ، وهذا نظام عقيم يشل جهود البوليس والأمن العام .

ومسألة اعفاء الاجانب من التشريع المصرى عقبة لا يستهان بها ، خاصة فى مكافحة جرائم المواد المخدرة ، وقد حدث فى مارس سنة ١٩٢٥ أن سنت الحكومة المصرية - بموافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة - قانوناً لمحاربة تجارة المخدرات ، و بمقتضى هذا القانون اعتبر ان ما يرتكبه الوطنى يعد جنحة يعاقب عليها بالشدة ، أما ما يرتكبه الأجنبى فهو مخالفة بسيطة لا لا تتعدى الحبس البسيط وغرامة جنيه واحد ، ولهذا السبب تقدمت الحكومة المصرية باقتراحات عدة لتجاوز اختصاص المحاكم المختلطة فيما يتعلق بالجرائم ، ولا يزال هذا الاعفاء تاما ماعدا : الرسوم الجمركية وضريبة العقار ورسوم بلدية الاسكندرية ، وأخيراً ضريبة الخفر التى ظلت المفاوضات جارية بشأنها بين الحكومة المصرية والدول زهاء عامين .

(٦) فهذا النظام الشاذ الذى تنفرد به مصر اليوم قد أصبح نظاماً بالياً عتيقاً لا يتفق وروح المدنية المنتشرة التى تتطلب المساواة ، وهو كما قال عنه كرومر نفسه : « قد أصبح نظاما عتيقاً مضى زمانه وانقضى أوانه ، وبات حائلا دون تقدم البلاد الصحيح ومعرقلا لأعمال الحكومة » ... هذا فضلا عن أنه اليوم عقبة كؤود فى سبيل تقدم البلاد الاقتصادى ، وشل حركة مواردها المالية ، وموقف لدولاب أعمالها . وانه العقبة الوحيدة التى تقف فى سبيل المشرع الذى يريد ان يضع للدولة ميزانية تكفل العدل والمساواة ، وتأتى بدخل كبير يسد النقص الذى تحدثه المشروعات والاصلاحات التى تتطلبها البلاد ... واذا بحثنا عن أهم الأسباب التى تدعو الى ذلك وجدناها تنحصر فيما يلى :

١ — امتناع الأجانب عن دفع الضرائب ، ولا يخفى أن الدولة فقيرة و إيرادات خزينتها محدودة ، فامتناعهم عن ذلك يوقف الاصلاحات المطلوبة لها ... ثم إن الضرائب التى تجمع نرى أكثرها يصرف على الأحياء الأوربية التى يسكنها الأجنبى لتجميلها ونظافتها قبل أن تصرف على الأحياء الوطنية .

٢ - ضريبة الدخل ، كفرض ضريبة على العزوبة والميراث و إيراد الأغنياء والضرائب التجارية على الكمبيالات والشيكات والسندات والأسهم وما شابه ذلك ، وفرض ضرائب على الملاهى والمسارح ، لتعذر تطبيق هذه اللوائح على الأجانب ، ومن الظلم البين تحميل المصريين وحدهم دفعها .

٣ — مقاضاة التاجر الوطنى للأجنبى ونيله حقه بعد جهد ومشقة ، لتذرع الثانى بالمحاكم المختلطة التى كثيراً ما تبعد عن بلدته ومركز أعماله .

٤ — ان كل ضريبة جديدة يراد فرضها لا بد وأن تنال موافقة الدول التي لرعاياها

امتيازات فى مصر ، فاذا امتنعت واحدة منها على الموافقة صعب التنفيذ ، وقد حدث فى سنة ١٩٠٩ م أنه لما تحسنت حالة المجارى فى القاهرة رؤى وضع ضريبة صغيرة على أصحاب العقارات الذين استفادوا منها ، فماطلت الحكومة البرتغالية فى ذلك نحو ستة شهور ، وأخيراً جاء جوابها هذا بها لا نوافق .لا بشرط ، هو الحصول من الحكومة البريطانية على وعد خاص ببعض الشؤون الاستعمارية فى جنوب إفريقيا ! !

٥ — ليس فى استطاعة الحكومة المصرية تنظيم المناجم والمصانع والمعامل التى يديرها أو يملكها الأجنبى، فالتشريع الذى يملكه القانون قاصر لا يخول له الحق فى أكثر من حبس أسبوع أو غرامة جنيه مصرى .

ولا يخفى أن الأجانب هم أصحاب التجارة والصناعة فى البلاد ، وهم يخنقونها بأيديهم ما دامت هناك قيود موضوعة تمنع المتشرع المصرى من إيجاد لائحة داخلية للمعامل وتشريع للعمال .

٦ — ان فى فرض ضرائب جديدة ما ينعش الحياة الاقتصادية فى مصر فتكثر الاصلاحات: كانشاء القناطر وطرق الملاحة الجوية والنهرية والبحرية وطرق المواصلات الزراعية ، وأول ما يعود فى ذلك من النفع هو على الأسواق الغربية التى نستورد منها كل المواد الخام والآلات والسيارات والبواخر ونحوها مما يعود عليها بالنفع قبل غيرها .

(٧) إن الدول التى يتمتع رعاياها بامتيازات فى مصر هى : إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان والولايات المتحدة وهولندا وبلجيكا والدانمارك والسويد والنرويج وإسبانيا والبرتغال.

أما روسيا والنمسا والمجر وتركيا ، فقد فقدت امتيازاتها بعد الحرب العظمى ، واستعادت ألمانيا البعض منها بموجب المعاهدة المصرية الألمانية (١٣ يونيه سنة ١٩٢٥)

وبعد أن أعلن استقلال مصر وأصبحت لها سفارات وقنصليات فى الخارج سعى المرحوم ثروت باشا فى إلغاء هذه الامتيازات التى لا تتفق وجودها وسيادة الدولة المستقلة

ووضع صادق حنين باشا مذكرته القيمة إلى المؤتمر الدولى الاقتصادى الذى عقد بجنيف عن الامتيازات وبالغ ضررها، موجهاً نظر الدول الى العقبات التي تعترض طريق العدالة المصرية من وجودها، ورغبة الحكومة المصرية فى تخفيف الضرر الذى يلحقها من وجودها، وقد وافقه المؤتمرون على طلب تخفيفها .

لقد صارت مصر مملكة مستقلة ذات سيادة لها دستورها وتشريعها النيابى ، لها سفاراتها وقنصلياتها المنبثة فى كافة انحاء العالم ، لها قضاء من أرقى قضاء فى العالم، وقانونها متخذ عن أحدث القوانين العصرية ، وفى محاكمها قضاة درسوا القانون فى الغرب، وفيها مشترعون يضارعون أكبر المشترعين العالميين، وكثر بها عدد المتعلمين، وأصبحت مصر أرقى بكثير من الدول التى

ألغت الامتيازات الأجنبية بها: كفارس والصين وسيام وجميع الولايات التى كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية ، فوجود هذه الامتيازات بها لمما يحط من شأننا ويصغرنا فى عيون بقية الشعوب الاخرى .

لقد أصبحت هذه الامتيازات الآن من أكبر الضربات الموجهة إلى حقوق السيادة المصرية والعزة القومية ، وإنها لصرح مشيد لنفوذ الأجنبي فيها . ونحن ننتظر بفروغ صبر إنهاء المسائل المعلقة بيننا وبين انجلترا لنصل إلى حل موفق فيما يختص بالخلاص من ربقة هذه الامتيازات ؟

محمد أمين حسونه
لوم فى العلوم التجارية والاقتصادية

الاسراء

(بقية المنشور على الصفحة ١١٠٦)

والليلة ، وقد حدث الناس لما أصبح بما رأى ، فصدقه المسلمون الذين قوى إيمانهم ورجحت عقولهم وأنار البرهان بصائرهم ، وكان أسرعهم فى تصديقه أبو بكر رضى الله عنه ، فلقب من ذلك الوقت بالصديق

أما المشركون وضعفاء الايمان فقد بهتوا وأمعنوا فى تكذيبه والزراية به ، والحط من قدره وأخذوا يسألون هذا المعصوم أن يصف لهم بيت المقدس — ولم يكن رآه قبل ليلة الاسراء — فجلاه الله له ، فأخذ يصفه لهم أدق وصف وأتمه ، وأخبرهم بآيات أخرى رآها فى طريقه دلت على خزيهم وصدقه ، فعليه من ربنا أفضل الصلاة وأتم السلام .

فجدير بالمسلمين أن يتقربوا إلى الله تعالى فى هذه الليلة المباركة بصنوف البر وأنواع الاحسان وأن يكثروا من الأعمال الصالحات ، إحياء لذكرى إكرام الله عز وجل لنبيه العظيم ، وشكراً لله تعالى على نعمه الكبيرة ؟

محمد الببلاوى

فى الحب والحياة

من احسان الى آمال

عزيزتى آمال !

أهتف الآن من أعماق قلبى ياعزيزتى وأقول: اننا نسير فى هذه الحياة وفق إرادة عليا قد رسمت لنا – رضينا أم أبينا – هذه الارادة العالية هى الحب . .

وهل لك الآن أن تستغرقى فى الضحك بعد أن كنت أنا أسخر منك يا آمال فى حبك الذى طالما حدثتينى عنه، والذى كان سببا فى تقول الناس عنك حتى ان والديك لما عرضا عليك الزواج من عزيز بك . . رفضت الزواج منه بكبرياء وأخذ والداك يرميانك بكل نقيصة ؟

لم تأبهى بالشتائم المنصبة على رأسك وتحملت همس الغير وغضب الوالدين وتزوجت بحبيبك سعيد، وها أنت الآن فى سعادة لا أحسدك عليها لأنك دفعت فى نشدانها ثمنا غاليا .

آمال ! كثيرا ما كنت ألومك على هذا السلوك وهذا التطرف فى إغضاب والديك . . .

لكننى الآن أحسب أن ما فعلتيه نزرا يسيرا. فلقد رسم لك الحب صورة من صوره ملؤها الشفقة والرحمة، وسرت فى طريقك المرسوم . . . بل كثيرا ما كنت أسخر من أن هناك شيئا يسمى الحب وأن فى سبيله يتألم الانسان ...

وأن هذا الألم يراه المحب صورة مصغرة من السعادة التى يطلبها والتى لا يمكن أن يحصل عليها مالم تتعد تلك الصور من الآلام، لذلك هو يرقب مجيئها ويستعذبها لأن فى نهاية تباينها كل مايرجوه من الحياة : راحة، وهناء.

عزيزتى !

قد تأخذك الدهشة لهذا التحول الفجائى فى أفكارى وفى آرائى حتى كانت لى الشجاعة الكافية فأعلنت ذلك ...

أنا لم أعلن عن بضاعة أو لترويج مبدأ، ولكننى هتفت من قلبى - والقلب لا يهتف الا بالحقيقة العارية عن اللبس والغموض ... والحقيقة هتفت بالحقيقة .

ولقد نفضت عنى غبار الماضى بما حمل فيه من أوهام وعادات، وتركت العالم المظلم، وأخرجتنى مشكاة الحب بشعلتها الى النور .. الى الحرية .. الى الحقيقة، وأضحت إحسان بين صورتها اليوم وصورتها أمس ليست لها صلة، لا فى الدم ولا فى المزاج، ولا فى الشكل . . حتى ولا فى تعاليمى وجملتى ..

وأعودبك إلى حكايتي : قلبان مسهما الهوى .

وأنت تعلمين انى زوجة وأكثر من ذلك أم لطفلتين .

هل تريدين الافصاح ؟ إذن فاعلمى أنى أحببت شابا .

عندما رأيته لأول مرة انجذبت إليه ، وفى ثانى مرة اندفعت إليه ، وسألته أن يحدثنى ، وأخيرا حدثتنى نفسى عنه وكنت فى تنازع بين العاطفة والواجب ..

وكنت ضعيفة . ضعيفة الى أبعد مدى بين تلك الزوابع ، وعندما اجتمعت به على ساحل البحر بالجهة النائية بسيدى بشر بالمصيف تلاشيت فيه ولم أشعر بوحدانيتى ..

ثم ماذا بعد ذلك ؟ إنه لفتان جميل الأخلاق ... أوهل تسمعين للتأكيد ؟

مضى على حبنا أكثر من سنتين ، ولقد كان حبيبى يتباعد وأمعن فى هذا التباعد لكى أنساه . وكان يرجو من وراء ذلك النفع لى ... فما أشفقه !!

ترك المدينة وسافر ولا أعلم إلى أى جهة قصد ، ولقد رأيتنى طريحة الفراش مدة طويلة وكنت تواسينى ، وعلمت أنه حضر وأسرعت فى لقائه ، وبكى قبل أن أبك ولا حاجة لى إلى التعبير ..

كذلك كان زوجى .. تزوجته من أربع سنوات مضت ، يقضى نهاره فى العمل وليله فى السكر مع الغانيات ، وكثيرا ما كان يبيت فى الخارج أو يأتى فى ساعة متأخرة من الليل .

زففت ـــ كرغبة أهلى ـــ إليه ، ولم أكن أعرفه قبلا .. إنه شاب أيضا ولكنه أظهر خيانة لى بشكل فاضح ولم تحدثنى نفسى بخيانته بالرغم من حبه المفروض علىّ والتباين فى روحينا ...

لذلك لم أنعم بجوار زوجى يوما ، بل كنت أندب حظى معه ولم أشعر بالحياة بجانبه .

أرأيت يا آمال كيف أن الحب قد حاباك وأعطاك صورة بسيطة من رسومه ؟ فلا الخلق ولا الدين ولا المجتمع يتنكر لما فعلته ويحاسبك الحساب العسير .. ؟

لاشىء من هذا حدث لك أو يحدث، أما أنا فكما قرأت وسمعت وحفظت يحكم الدين والمجتمع علىّ بالخيانة ، والحكم فى ذلك رجس أى موت محقق ، ولكننى أرمى بعبء اتهام الخيانة على هذا المجتمع الذى ظل قديما على قدمه : بصوره وأشكاله وألوانه ، فلا تغير ولا إصلاح فيه ..

فلقد وضع هذا المجتمع بأخلاقه لشعب بعيد التاريخ قد نقرأ مدنيتهم كأسطورة تاريخية للتفكهة ، والطبيعة بالرغم من أنانيتها وتأنتها تعمل دائما على تجديد مادتها من حيث أوضاعها وأشكالها ونظمها ، والذى يجبرها على هذا التحول هو الزمن الذى تظهر فيه كائنات راقية تتطلب عالما جديدا .

واذا كانت سنة التجديد ظاهرة واضحة فى شكل الانسان من حيث جمال الأعضاء والتفكير ـ كما أثبتت ذلك علم التشريح . فهل بعد ذلك نسير وراء مجتمع بال وُضع لانسان بعيد دميم الخلقة

(البقية على الصفحة رقم ١١٢٦)

أثر أيام العرب فى الأدب

للأستاذ السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم



قليلون جدا أولئك الذين يدرسون الأدب العربى على حقيقته ، وأقل منهم بكثير هؤلاء الذين يتعمقون فى تتبع أطواره وسبر أغواره.

ومن بين هذه الفئة القليلة التى توافرت على البحث والتمحيص فى لغة العرب وتعرف أسرارها الأستاذ السباعى بيومى المدرس بدار العلوم والمهذب لكتاب (الكامل) فى اللغة والأدب لأبى عباس المبرد. وقد اتحفنا بهذا البحث القيم فنقدمه لقرائنا ليستطيبوا به ضربا من ضروب الأدب العربى الصحيح ؟

المحرر

للعرب أيام كثيرة العد ، متعددة الأسباب ، يكاد المسلم بها يجزم أنه اذا كان لأمة شهرة بصناعة مميزة ، كانت صناعة العرب فى جاهليتها الحرب والقتال ، والطعن والنزال ، لاتصال أسبابها بعيشهم ، ولذا كانت شديدة التأثير فى أدبهم.

ولما كان الشعر ديوانهم الذى اليه يحتكمون ، وبه يفتخرون ، فقد فاض عليه من الأيام ما لولاه لغاض معينه ، وصرح نبته ، فلم نره كما نراه الآن تلك الروضة المعطار ، ذات الغصون الناضرة ، والأطيار الشادية.

حببت الحرب الى نفوس العرب ـ وهى طبيعة فيها ـ صفة الشجاعة والنجدة ، والبأس والقوة ، بقدر ما بغضت اليهم الخور والضعف ، والجبن والهلع ، فكانوا فى حضهم عليها واصطلائهم نارها ، وانتشائهم بلذة الظفر فيها ، يقولون الشعر .. شعر الحماسة والفخر ، فيصدر منهم جزل الألفاظ ، شريف المعانى ، نبيل المقاصد ، يحرك من القلوب الضعيفة ، ويهون الموت على الأعزة الأحياء ، ثم يثنون إلى بكاء قتلاهم ، وتعداد بلائهم ، تخليدا لمآثرهم وذكراهم ، فاذا هذا شعر الوجدان

الباكى، والعاطفة الأليمة، ممزوجة بما يخفف على الحر رزء المفقود. ويجعله يأنف أن يموت حتف أنفه، ويعد من النقيصة والعار ألا تكون منيته بطعنات الرماح، وضربات السيوف؛ وأى أمر غير هذا جعل أبا تمام الطائى يسمى مااختاره من شعرهم ديوان الحماسة، ويجعل أكثر من نصفه خالصا لها؟ ولما كان حتما مقضيا بعدها من الموت، فالتأبين فالرثاء.

تأمل عيون الشعر الجاهلى فحيث ترى العين قذافة لاينقطع ماؤها، ترمى بكل مقطعة منه متماسكة الألفاظ، متعاشقة المعانى، تجدها من هذين البابين، وهل لغيرهما - ومنشؤهما ذكر الفجيعة فى الميت، واستخلاص الحياة للحى من الاتصال بقرارة النفوس وتحريك ماكمن فيها - مثل مالهما؟ اللهم لا.

ثم يتصل بهذين البابين - عن قرب - التفاخر باجارة الجار، واغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، - وعن بعد - التمدح بقرى الأضياف وإيواء الطارقين؛ وما لنا نبعد بالقرى والايواء عن مواطن الشجاعة والاقدام! وهما راجعان الى الكرم، والكرم والشجاعة صنوان ومن أصل واحد ينبتان، هو السماحة وما تقتضيه من بذل يقع فى المال فيكون سخاء وكرما، ويرتفع الى أقصى غاية الجود تضحية بالنفس فيكون شجاعة وإقداما؛ أفلا تحس اذن أن الشعر العربى اذا تجرد مما أثر فى هذه الناحية الواسعة الأطراف يصبح قاعا صفصفا، أو يعدم أقل مايصاب جواهر تاجه ووسائط عقوده فيذهب ماؤه ويضيع بهاؤه؟

ثم كان من عادة العرب فى الحروب أن يسيروا ليلا ليدهموا بالغارة صبحاً، فكان من هذا سرى الليل وتعريسه، وهول ذلك وخوفه، وما اتصل بالسرى من ذكر الليل نفسه فى دجنته وظلمائه، أو فى سمائه، بما يسطع فيها من بدر، أو يهدى من نجم؛ وهذا منحى آخر من القول بين التأثير فى اللغة والتأثر بالأيام.

وحتى اذا هدأت الحرب ووضعت أوزارها، كانت تفيض على اللغة بالممتع الكثير منها؛ ففى الدعوة الى السلم ونفعها، والتنكب عن الحرب وضرها - من الخطب والوصايا والحكم والمواعظ وضرب الأمثال والشواهد - ماالستنفد جلها، وأخذ كثرها، ولو تتبعنا هذه الناحية نحصيها مع مااتصل بها من صلح ووئام ومغارم ومحامل وديات يفرق فيها بين عربى صريح وآخر مقرف أو هجين، لوجدنا الشطر الأكبر فى النثر الجاهلى الى هذا ينسب كما نسب نظيره فى الشعر الى الحماسة والرثاء، وما تعلق بهما أو انشعب منهما.

وإن لنا أن نعتبر عناية العرب بأنسابها، وحفظها لمفاخرها وأحسابها، الى ذلك الحد الذى لم تعرفه أمة غيرها، راجعة الى ولعها بالحرب أيضا، حتى اذا مادهمت داهمة، كان كل أعرف بقبيله وعشيرته وناصره ومولاه، واذا ماطلب ثأر كان معروف المحل ومن هو منه قريب أو بعيد، فاذا

ماحانت المفاخرة والمنافرة كانت الاصول التى تقع عليها معروفة غير منكورة ، لاتطاوع عربياً أن يدعى غير أبوته ، أو ينتسب الى غير قومه ، ولذا كان الأدعياء نورة فى العرب محل ضعة منهم وتهجين . ثم مانظن عناية العرب بالخيل ـ تلك العناية البالغة مبالغها الدقيقة فى تناولها ـ إلا منسوبة الفضل الى الأيام ، فما تستتب شجاعة الشجعان فترى منهم البلاء والفناء الا بالخيل ، عليها يكرون ، وبها يقتحمون ؛ وهل أدل على شدة التلازم بين الشجاعة والخيل من تسمية الرجل على الجواد فارساً ، فاذا ما كان على بغل أوحمار قيل : بغال وحمار ؟ وألا يكون أخذ الفرس من الفرس ـ وهو الهصر والكسر ، والخيل من الخيلاء ، وهى الدل والعجب ـ آية أخرى على هذا التلازم ؟ واذن فما تبع تلك العناية من الاكثار الكثير فى أسماء الخيل ونتاجها وعتقها وصفاتها ماألفت فيه كتب ولم يسعه كتاب ثم ما كان من تفضيل العربى لجواده على نفسه فى الزاد ، وجعله واياه جزءا لا ينفصل منه فى التفاخر بالاستبسال ، إن هو إلا من الحرب نشأ ولأجل القتال كان .

وأليس على أيام العرب وحروبها قامت صناعة السيوف والرماح وسائر عدد الحرب والقتال من مغافر ودروع ، ولجم وسروج ؛ وهذا ضرب آخر أفاض على اللغة الغنى والثراء مفردات وتراكيب وأخيلة وأوصاف : فالسيف فى صقاله ولمعانه وحدته ومضائه ، والرمح فى اعتداله واستوائه وصلابته وملداته ، ثم غيرهما مما تقدم فيما لها من صفات وأحوال ، وليس ذلك بالخفى المجهول ـــ قد فتح فى اللغة فتحاً مبينا ، ونماها نمواً كبيرا .

على أن العرب لم تقف عند الخيل ووصفها والآلات ونعتها ، بل تلفتت الى ماحولها من حيوان غير أليف فاذا بالأسد قد امتلك عليها لبها وشغل منها قلبها وفؤادها ، فلم كان الشاغل دون غيره ؟! ألا إن ذلك لما جبل عليه العربى من الولع بالقتال ، وتمجيد الجرأة على المقارعة والنزال ، فأخذ يعنى بهذا الحيوان : يبحث عن أحواله ، ويتشبه به فى صفاته وأفعاله ، حتى أحله من نفسه محلا رفيعاً وجعله على سائر الوحش سلطانا ومليكا ، وليس بخاف على أحد ماورد باللغة عن هذا الحيوان من أسماء ونعوت ، وما قذفت به ألسن الحمية والنجدة عنه من آيات اكبار واجلال ؛ ثم لم يعدم غيره من الحيوان الضارى أن ينال من ذلك بقدر ضراوته : كالنمورة والفهود والضباع والذئاب ، وان كان فيما اختص به الأسد دونها من نبل وكرم وعلو وترفع فوق ماتقدم عنه من قوة وجرأة ماجعله المقصود لدى العرب بالتجلة والاعظام ، والمتشبه به فى كثير من الصفات والخلال ، وصرفهم عن غيره الى القول فيه أكثر مايقولون .

وهل أقدمت العرب على تسمية قبائلها وبطونها وأولادها وفتيانها بالكريه من أسماء الحيوان : كأسد وفهد ونمر وذئب ، ثم من غير الحيوان : كحجر وصخر وجشم وعبس ـ إلا محبة لتلك الأسماء وتفاؤلا لبنيهم أن يكونوا من صفاتها على كمال ، فيحموا الحوزة ويدافعوا عن العشيرة ، ويكونوا

للحرب أهلا ، ولمقارعة الأبطال كفاء ؟

وهل اذ انطوى بساط الجاهلية بما كان عليه من شجار وعراك واشتباك وقتال ، بما قد نشر الاسلام من لواء سلامه ، ومد من ظل عدله ووئامه ، انقطع مدد الأيام للأدب ، أو وقفت حركتها الدافعة له ؟ كلا فقد مكثت أيام الجاهلية الأولى مدداً للشعراء غير مقطوع ومفاخر يبتعثون تراثها غير خلق ولا مجدوع ، نقرأ ذلك مستجيدين مستحسنين ، ولآثاره حامدين مستكثرين ، من لدن صدر الاسلام فى مفاخر الفرزدق وجرير ، الى حيث قطع العصر العباسى عهد شبابه وصباه على أيام البحترى وأبى تمام .

واذن فهذه كلمة انتظمت أثر الأيام فى الأدب جله ، وما كان لها عليه من فضل ونماء ، وهى على ماترى تتناول الشعر والنثر كليهما أمثلة لها وشواهد عليها الا ماقل منهما ؛ ومن ثم يسوغ لنا أن نقول غير مبالغين ولا متجنين : إن أيام العرب وأدب العرب يكادان يكونان شيئا واحداً لا شيئين ، ولذا كان الحض على تعرف أيامهم فى القديم بمثابة الوصاة على تعلم آدابهم ، لا لبس فى ذلك ولا كبير افتراق ؟

السباعى السباعى

فى الحب والحياة

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١١٢٢)

ذى حضارة ضيقة . . . ؟

لقد فرض علىّ أن أتزوج بمن لا أعرفه ، وقام أبواى بتنفيذ ذلك . . .

وهذا نظام لأسرة وضع منذ زمن غابر ولا نزال نتجاهل هل نحوره أو نحوله ؟ وكل يوم تقع مخالفات تعتبرها القوانين السماوية أو الوضعية معصيات . . .

واذا كان الحب هو جوهر الأديان بل هو أصل الخليقة ، فهل يفهم المجتمع ذلك ويعمل على احترام الحب ومحبيه ؟ ؟

أختى آمال !

يستعذب المتدين الآلام فى سبيل معرفة الحقيقة ، وحقيقة هذا العالم هى الحب . . .

وأنا لا أملك من نفسى شيئا اذا تحدث مجتمعهم أو قانونهم عن اتهامى . .

فنحن نسير فى هذه الحياة وفق إرادة عليا قد رسمت لنا — رضينا أم أبينا —

هذه الارادة العالية هى الحب . . .

تحياتي العاطرة والسلام . . . . ؟ احسان

أحمد منصور مطاوع

٣ ـــ الكتاب والأدباء المعاصرون :

الشاعر محمود ابو الوفا

لمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده

بقلم الأديب محمد أفندى السيد

الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو الوفا ، شاعر مطبوع بالسليقة ، وكاتب فذ بالصناعة ، عظيم بنفسه ، جليل بفنه ، صاف بروحه ، غنى باخلاصه ، لايعرف المداجاة ولا تعرفه ، ولا يجد الرياء ـ بالغا مابلغ ـ إليه سبيلا ، عرفته منذ أربعة عشر سنة ، فكان ومايزال لى نعم الصديق الصادق ، والأخ المخلص الناصح ، وعرفت له مواقف مشرفة ، أكثر الناس بها لايعلمون . تلك مواقف كانت نتيجة لفرص عرضت له فأبت نفسه العالية أن يهتبلها ، بل أبت عليه عظمته أن يداجى أو يمارى فيها . فاذا كان الكاتب لهذا المقال ، قد عرض لبعض نواحيه ، مقررا فيها الحقيقة ، فأنا بكلمتى هذه ، أزيد كلمته يقينا على يقين . ولا يسعنا الا أن نخص بالشكر الأستاذ الفاضل الدكتور أبا شادى صاحب فكرة الاحتفال بميلاد الشاعر النابغة (أبى الوفاء) راجين أن يظهر عظماؤنا وعلماؤنا ورجالاتنا وأدباؤنا فى بلاد الشرق تشجيعهم لهذه الفكرة السامية ، فيقبلوا على تلك الحفلة التى ستقام قريبا .

ويسر (المعرفة) أن تساهم بنصيبها الضئيل ، فتضع تحت تصرف لجنة تكريم الشاعر خمسين وصلا من وصولات الاشتراك بها ـ ليتسابق محبو الشاعر فى دفع قيمتها للجنة ، ومطالبتنا بأرسال المجلة إلى حضراتهم ؟

المحرر

أعتقد أن الانسان مهما حاول أن يعرف الحرية أو أن يصف الثورة لايستطيع ، وغاية مايبلغه هو أن يظهرك على الآثار . . . أما البواعث والمؤثرات فلا سبيل إليها .

وعلى التحديد فهو يتحدث عن النتائج ، أما المقدمات فهى محجوبة عنه . . وأستطيع أن أزعم أن كل ما تحدثنا به الكتب وما يقوله التاريخ فيما يجرى فى هذا الشأن ، إنما هو سرد وتعديد للآثار والنتائج ـ أى الحوادث ـ ليس غير .

أما الذى يزعم أنه حدد الحدود ، وبين المقدمات ، ورتب عليها النتائج ، فعندى أنه واهم يبنى القصور على الرياح .

كذلك وحى الضمير ، وإلهام الروح ، وصفاء النفس ، وإحساس الانسانية ، واختلاجات

العاطفة ، ودوافع الوجدان ، ونزوات الهوى ، كل هذه أمور لم يحدها الوصف ، ولم تعرف فى حقائقها المجردة ، وأعتقد أن المستقبل لا يستطيع أن يكشف عنها إطلاقا ، بل والويل للانسانية اذا كشف المستقبل القريب أو البعيد عن هذه النواحى .....

والروح لم تعرف أيضا ، ولأنها سر من أسرار القدسية فلن تعرف أبدا .

وكذلك أزعم أنا ، أن الناحية الشاعرية من الانسانية مجهولة ، وستظل مجهولة مادام أنها مزيج قوامه انطلاق الروح أومانسميه الحرية أوالثورة ، مضاف الى ذلك صفاء الذهن ، ونقاء التفكير ، ومايتتج عن هذا جميعه من الوحى والالهام .

وأنا اذاً غير مبالغ إذا قلت لك : إنى لاأعرف صديقى الشاعر (محمود أبا الوفا) فى حقيقته ، وعلى التحديد فى حقيقة شاعريته .

فمن الشاعر ؟ وما الشعر ؟

ذلك أمر فيما أرى يدق عن الفهم ، ولذا فهو يجل عن الوصف ..... فالشعر ليس كلاما مقفى ... ولا هو أوزان وتفاعيل . انما الشعر وحى الوجدان وفيض العاطفة . ثم اذا صفا الشعر وراق فهو سيل يغمر الدنيا بأسرار ملؤها ذوق الحياة والاحساس بها ، والشعور بالأنسانية الحقة .

واذا أبيت الا أن يكون الشعر كلاما فهو كلام النفس ، ولغة الروح .

وأنت اذا أحببت أن تعرف أن هذا الكلام شعر ، فسبيلك أن ترى نفس الشاعر فيه شائعة وروحه فيه جارية مجرى الدم فى الشرايين .

وأنا لا أكذب اذا قلت لك : إن صديقى (محمود أبو الوفا) الشاعر مجهول لى ، ثم هو مجهول لأعز أصدقائه ، بل هو مجهول لنفسه أيضا ، ذلك أنه ليس من هذه الدنيا ، فكيف يعرف فيها إذن على التحديد ؟

ومحمود أبو الوفاء شاعر مافى ذلك ريب ... ثم هو شاعر ثائر .. أوهو ثورة دائمة الهيجان والغليان ، إلا أنها للأسف محبوسة فى جوف انسان .

ولقد جرى المتقدمون والمتأخرون من الشعراء والمتشاعرين على نمط واحد فى نظم القصيد وقول الشعر .. فللمناسبات ينظم القصيد فى المديح أو الهجاء أو الرثاء .. أوما الى هذا مما تزخر به دواوين الشعر وكتب الأدب .. وقد لايخجل شاعر فى القرن العشرين أن يركب الى ممدوحه الناقة ويقطع الفيافى والقفار .. ولا أن يتغزل فى امرأة .. وهو بسبيل لا شأن للغزل ولا للمرأة فيه ...

وأنت اذا أحببت أن تلفتهم الى هذا فالويل لك .. اذ كيف لايسير المتأخرون فى طريق من

سبقهم ... ولم لا يقلدونهم ويجارونهم فى أغراضهم المعروفة مما هو ملء السهل والميل وزحمة الطريق ؟ . ولكن (محمود أبو الوفا) شاعر من طراز آخر تجيشه الجائشة أو تدفعه العاطفة أو تهزه الحادثة فيقول الأبيات القليلة من الشعر الا أنها - أو غالبيتها العظمى - تروح أمثالا ومواعظ .. كيف لا ؟ وهى انما جاءت وحيا غير متكلف أو مصطنع ...

ليس الشعر عند صديقى صناعة - وهو ماأحوجه لأن يكون الشعر له صناعة - ولا أدل على نبل هـذا الفتى وسمو نفسه من أنه لا يملك من الدنيا غير شعره ونفسه ، ثم يأبى أن يزاحم غيره من الشعراء فيما تراكضوا فيه منذ القدم حتى الآن - من الارتزاق بالشعر وحسبانه سلعة تباع وتشترى .

ولقد كان فى مصر رجل تعلقت به مصائر البلاد ودانت له الدنيا ، وانقادت له الآمال ؛ عاش هـذا الرجل ثم مات ، وقد انهدت لموته أركان مصر وخفق قلبها واضطرب ، وأصبح مستقبل البلاد بموته فى كفتى ميزان .

هذا الذى حدثتك عنه لم يقل فيه أبو الوفا شعرا وقد عاب عليه بعض الناس هـذا ؛ وعندى أنه من سر عظمة هذا الخامل ومن أسباب خلوده ومجده .

ذلك أنه لايقول الشعر مجاراة ولا محاباة فهو لم يتملق العظمة .. ثم هو لم يتملق الشعب الذى قدس ذلك الراحل الكريم ، ودان له بالطاعة وأسلس له القياد . وصديقى أبو الوفا فخور بشعره معتز به الى النهاية ، ويكاد يقدسه ، وأنا فى هذا أجاريه ؛ فشعره شىء من روحه وعاطفته . .

وأليست روح الأنسان وعاطفته هما من الدنيا كل شىء ؟

ثم هو لايحفظ شعره ، بل ولا يحتفظ به ، ولم أر له ديوانا يقرأه الناس كغيره من الشعراء المتشاعرين وما أكثرهم فى هذا الزمن ... ولكن لهـذا الفتى أصدقاء ومعجبين قد كفوه هذه الناحية من الضعف فحفظوا شعره ورووه . . ثم ماحاجة أبى الوفاء لأن يحفظ الناس شـعره ويتناقلوه الا أن يكونوا هم فى حاجة الى هذا . ؟

وحظ الشعر وحظ الأدب وحظ الفنون الجميلة فى هذا البلد هو على ماترى تجارة بائرة ، ولست أرمى مزاج مصر بالعقم ولا روحها بالافلاس ، فمازال فيها ناس يتذوقون الأدب ويطربون للشعر غير انهم للأسف أقلية بل أقلية ضئيلة .

فلو أن للأدب مكانته هنا لكان لمثل هذا الشاعر من يحفظ قدره ويعرف قيمته ، فيهىء له من أسباب الدنيا ماينمى فيه عاطفته النبيلة ووجدانه الشريف ، فيستفيد منه المجتمع أضعافا كثيرة .. ثم الى جانب هـذا يستطيع أن يحتفظ للأمة بتراثها ومجدها مخلدا على الزمان .... ومن أحق ببنات الفكر وآيات الشعر تخليداً ؟

وأبو الوفا متواضع جم التواضع ، بل التواضع فيه سجية وطبيعة ، فهو لا يتحدث عن نفسه ولا يعلن عن محصوله .... وأنت أدرى بما للاعلان من قيمة وفائدة فى زمن طغى فيه الاعلان على كل شيء ...

وبعد ، فما أحرانى بعد هذه التقدمة أن أصور لك أبا الوفا تصويرا ، فأظهرك على كل شيء فيه وكله مما تحب أن ترى وأن تسمع ... ولكن سبيل هذا التصوير فيما أرى أن أضع أمامك جمهرة من شعره على المائدة للتشريح والتقطيع ، مما لا يتسع له صدر الصحف والمجلات ، ودراسة من هذا القبيل سبيلها الكتاب ، والكتاب وحده .. غير أنى مع هذا أريد أن لا أحرمك بعض ماتذوقت من شعره فأعرض عليك عرضاً شيئا منه ...... قال أبو الوفا من قصيدة (حيرة) يخاطب الليل :

أفضى اليك بسرى أفضى اليك بروحى
فى العين دمع عصىّ وراء جفن قريح
وفى الضلوع أبى يهفو لكل مليح
أواه مما أعانى بين الهوى والطموح

فتأمل البيت الأول كيف عبر عن الافضاء بالسر ، الى أنه إفضاء بالروح وهو معنى لطيف ودقيق أيضاً — اذ لا يخفى ما للسر المرء فى نفسه من قداسة ورهبة .

وفى البيت الثانى كيف عبر عن إبائه وشممه مع شدة تأففه وتألمه ، بالدمع العصى فى الجفن القريح — وهو كناية عن دوام الألم واستمراره — وفى انهمار الدموع راحة للانسان .

الى أن قال :

الأرض لم يبق فيها من موطن للصريح
من لم يغنّ بموسى غنى لعيسى المسيح
ياروح من أين جئت من حيثما جئت روحى
سر الحياة أليم بوحى به واستريحى

فتأمل البيتين الأخيرين وقوله (سر الحياة أليم) فان هذا معنى سام ، وقلما يتأتى التعبير للانسان عن كل مافى الدنيا فى كلمات ثلاث (سر الحياة أليم) ثم قوله :

صداحة الروض ماأشجاك أشجانا نوحى بشكواك أو نوحى بشكوانا
ذاب الفؤاد أسى إلا بقيته الآن أذرفها من عينى الآنا
للحب عندى سر لا أبوح به الا دموعا وأنات وألحانا
فى ذمة الله قلب لم يجد سكنا يأوى الى ظله فارتد حيرانا

من الكلام ما اذا قرأته أرغمتك حلاوته وأشجتك عذوبته فاستعدته أخرى وأخريات

ونفس الانسان لاتطلب الاستزادة الا مما تحب ، وأنا أجزم أنك حين تقرأ تلك الأبيات لابد أن تعيدها المرة بل المرات .. ولكن انظر معى قوله :

ذاب الفؤاد أسى الا بقيته الآن أذرفها من عينى الآنا

وتدبر شطرى البيت مستقلين ثم تدبره كله جملة واحدة .. أليس كله موسيقى .. موسيقى من أى نوع ؟ من النوع الذى يأخذك سحرها من غير ما حاجة الى توقيع أو تلحين ، ثم انظره بعد ذلك يظهرك على الارتباك والحيرة وما فيهما من ألم ، فيقول: فى ذمة الله قلب .. الخ

ثم انظر قوله وتدبر مافيه من عذوبة وسحر :

ياليل هل ترثى لواجد ياليل أنت عليه شاهد ؟
وجد أقض مضاجعى هيهات ينجو منه واجد

الى أن قال :

بئس التقاليد التى تزع القلوب عن المقاصد
هل ذل من أنف الشكيم سوى الشكائم والمقاود

الى أن قال :

فكوا عن الحر القيود وحسبه الزمن المعاند
أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد
ياقلب حسبى إن أمت فى الحب أنك أنت خالد
فى الخلد من ربح الفتوح ومن قضى عذر المجاهد
يهنيك أن رمت الجمال فشمت مالم يلق رائد(١)

ثم انظر قوله يصف مجلسا وبراعته فى الوصف وإجادته فى التعبير حيث يقول :

انتظم الصفو بهم معشرا من خير ماازدان به معشر
فى مجلس يجرى به صفوه كما جرى فى الجنة الكوثر
يتابع الضحك به بعضه كالموج ذى تطوى وذى تنشر
فنكتة فى ضحكة تختفى وضحكة فى نكتة تظهر
يرسلها صاحبها لفظة كأنها من فمه السكر
يامن رأى فى قصفنا وصفه فظننا كنا به نسكر (٢)

وهذا كما ترى ضرب من الشعر الرقيق وابتكار ما أخلقه فيه بالاجادة والتوفيق ، ولئن عجز قلبى عن توفية صديقى حقه .. فأحرى به أن يعرف مافى قلبى له ... وحسبى هذا ؟ محمد السيد

---

(١) القصيدة بأجمعها نشرت فى العدد الأول من « المعرفة » تحت عنوان « ياقلب ! »

(٢) « « « « السابع « « « «مجمع الأصفياء»

قصة مصرية

الشيطانة

حدثني صديقي وهو ينكت الأرض بعصاه فقال « بحثت طويلا فلم أعثر على ضالتى » ثم صمت وقال « وأخيراً فى احدى الأحياء الوطنية المتوسطة الحال قاربت أن أصل اليها ولكن فى اللحظة الأخيرة نفضت يدى وخرجت فائزا منصورا »

فرابنى قوله وقلت « ولكنى تعودت أن أشعر بالسرور اذا ما انتهيت الى أملى وفزت به ، وأراك تخالفنى كل المخالفة أو ربما تخالف الناس كلهم »

لم يدعنى أتمم حديثى حتى قال : لأنها كادت تكون مأساة وكاد ذلك الأمل يقضى على أنا صاحبه ففضلت النجاة من الكارثة قبل أن تحل وفعلا نجوت ياصديقى وفزت فأحمد الله كثيراً .. ثم عاد الى صمته وأخرج لفافة التبغ وأشعلها . وبما أنى تعودت ألا أكون البادىء بالحديث دائما فقد صمت ، لكن كلمات ذلك الصديق أوقدت فى الرغبة للعلم بهذه الأمنية فسألته بلهفة : ماهى هذه الضالة ياعزيزى ؟ فقال وهو يبتسم : سأذكر لك قصتى على أن تعيرنى أذنك — فوعدته .

مد صديقى ساقيه ورمى اللفافة جانبا وقال : كنت كما تعلم فى كلية الحقوق وكنت كما يدعونى اخوانى (خاما) لا أعرف من أمور الحياة التى يعرفونها شيئاً . أى كنت من الكلية للبيت أو من البيت للكلية ، حتى جمعنى واخوانى مجلس سمر لذيذ ، فجلسوا يسردون على مسامع بعضهم قصصا ، بل نوادر غرامية حدثت لهم ، وأنا أستمع بشغف ، ولم يكن للأسف لدى ما أقوله فصمت طبعا . وكنا أربعة ، قال أحدنا واسمه كريم : «عرفتها بعد أن تعبت وراءها شهرين طويلين وذرفت لها الدموع حتى جفت مآقى . ثم قال بلهجة الواثق الفخور . أخيرا « حنت » . ووقعت وبادلتنى الحب . إلا اننى اليوم أحب فى (جاردن ستى) . فقاطعه محمد قائلا : انى أخاف أن تشاطرنى فتاتى فتسلبها منى فى جاردن ستى ، فقال كريم : أتصفها لى ؟ قال محمد : زرقاء العينين حمراء الخدين بيضاء ناصعة ، نحيلة الخصر ، باسمة الثغر ، شديدة الخجل ، اذا سارت فهى ملاك واذا جلست فهى إلهة الجمال . فقاطعه كريم بقوة قائلا : ما اسمها ؟ قال مريم ، قال كريم هى بعينها . ولكننى لن أحبها بعد اليوم ، وهنا التفت حسن الى وقال : وأنت ياخايب .. قلت انى لم أحاول بعد ، واذا حاولت فسأكون شريفا ، فلا أحب غير واحدة . فضحكوا وقال كريم — وكأنه رودلف فالنتينو — انى أحببت المئات ، ولو أردت لأحببت الألوف ، فوجمت .. وانقطع الحديث .. بدخول والده ..

مضت ليال على هذا الحديث .. ولم أكن من رواد جاردن ستى ، ولكنه جيبى كان يفضل دائما

الأحياء المناسبة لحاله (من باب الخلق ، للسيدة زينب ، للحسين) وأخيرا استقرت بى الحال فى الحسين فى منزل هادئ ساكن . ونظرا لطول الشقة بين دارى والكلية كنت أبكر فى الصباح حتى أصل فى الميعاد . . وهكذا مضى شهر وأنا أبحث عن فتاة أتعرف اليها أو أحبها فلم أجد ، ولم أجد ولو واحدة حنت كم يقول كريم ، ولكننى كنت عند ركوب (الأتوبيس) أجد فتاة - ليست بالجميلة جدا ، وانما متوسطة الجمال ، وأيضا قد تكون متوســـطة الملابس ، وأيضا قد تكون متوسطة الحال على مايظهر - تركب معى بجوارى أو أمامى . . وكنت خجولا حييا فلم أجرؤ على النظر اليها ، ولكن وجود هذه الفتاة كل صباح أثر على حتى كنت أشعر بفراغ كبير اذا لم أجدها ، ولحيائى كنت عندما أراها ينخفض رأسى ويتساقط العرق وتهبط درجة الحرارة قليلا ، وقد يحمر وجهى أو يصفر لا أعرف . . وانما أشعر بتغير فيه . .

على هذه الحال مضت الأيام سراعا حتى قاربت الشهرين ، ولم أعرف عنها شيئا سوى أنها تقطن فى الحى الذى أقطن فيه وأنها تركب (الأوتومبيل) الذى أركبه وتنزل معى فى السيدة وهنا ننفصل .

شعرت بأننى أحببت هـذه الفتاة وأنهـا بدأت تشغل فراغا فى قلبى . . وملكت لى حقا وشعرت أن الحياة أصبحت عبئا ثقيلا لا يحتمل بدون أن أصل اليها ، وكثيرا ماعزمت على أن أتبعها فى الصباح ولكن تخوننى شجاعتى فى آخر لحظة بعد أن أقوم بعدة تجارب فى المنزل وأحضر الحديث الذى سيدور بيننا . . ولدى (البروفات) ياعزيزى اذا كنت تريد أن تطلع على هذه الأحاديث الخيالية . . فكرت كثيرا فى الطريق التى أصل بها اليها ؛ وأخيرا اهتديت الى الطريقة المثلى فقمت على عجل فى الصباح ومررت على صديق يدرس فى الطب وعرضت عليه المسألة بحذافيرها . . فقال وهو يبتسم : تعال معى وسنكون سويا وسنرى . . تشجعت ووقفت أنتظر (الأتوبيس) وقفة نابليون بجوار الهرم الأكبر ، ولكن عنــــدما رأيتها قادمة فقدت شجاعتى وأصبحت كما يقول الأنجليز (ضعيفا كالقطة) . . . أتت وركبت وركبنا . نظر اليها صديقى طويلا ثم ابتسم فأخفت وجهها خجلا ، ولكن بعد أن مررنا بباب الخلق بدأت تبتسم ، ونزلنا فى السيدة وسرنا وراءها حتى تقدم اليها وقال بلهجة أرستقراطية : صباح الخير ! فحيته بأحسن منها . . فقال صديقى : فلان بك طالب حقوق ، ويود أن يتشرف بمعرفتك ، فقالت لى عظيم الشرف ، وأنا فلانة تلميذة بمستشفى كذا . . وتم التعارف حتى كدت أطير من الفرح لهذه الفكرة الطريفة .

سار صديقى يتحدث معها وأنا أفكر فى المستقبل الباهر الذى ينتظرنى ، وأبتنى من الأمل بيوتا تضارع ناطحات السحاب ، ولكن اذا ما تعارضت مع فكرة سيئة سقطت تلك الطبقات فصارت أكواخا ضئيلة على شاطىء بحيرة الصيد هناك فى بلدنا عند المطرية . .

مضى اليوم وأنا فى سرور عظيم أدهش أقرانى فى الكلية ، وخرجت مسرعا الى المنزل وارتديت

أفخر ثيابى وأفرغت على نفسى زجاجة (الكولونيا) ووقفت أنظر من النافذة فرأيت صديقة الصباح تطل وتحيينى فحييتها بجمل مرتبكة وأطرقت بوجهى فدخلت .. عجبت وسألت نفسى كيف يكون هذا منزلها ولا أراها مطلقا إلا اليوم ؟! لاشك أننى أسرتها فأحبتنى وأخلصت لى ، وأنها كانت تبادلنى الحب النظرى الشعرى الجميل . . . إنها حقا لفلسفة عميقة من تلك التى أحببت من أجل الحب ..

فرحت لهذا الخاطر الجميل ورفعت رأسى فوجدت جموعا تطل من النافذة . امرأة عجوز وأخرى تقل عنها قليلا وفتاتى وخمسة أو ستة من الصغار والصبية ، وكلهم ينظرون إلى بين ضاحك ومعجب فدخلت مسرعا وجلست إلى المكتب ، وفتحت كتاب القانون الضخم ، وأخذت أقلب فيه وأنا لا أقرأ وإنما أنظر مدعيا القراءة . ظللت على هذا العهد متيما أياما غير قلائل وأنا أصبحها فى الصباح وأدفع قرشا بأكمله .. وفى المساء لا يقل مايصرف عن (شلن) فى شراء (سجاير) لى ولم أكن أدخنها ، وفى مصروف للأطفال وغير ذلك .. وزاد المصروف قليلا وأبنت لوالدى فى خطاب بأن الكلية طلبت منا كتبا تساوى أربعة جنيهات فأرسلها بسرعة واشتريت لها سوارا جميلا قدمته لها وأنا خجل أيضا ، وأقول كان بودى أن تكون هديتى أثمن من هذه ولكننى لازلت طالبا فقبلتها وهى تتمنى لى أطيب التمنيات لآتى لها بأثمن (المصاغ) والملابس .

انقضى العام ومرت الأيام سراعا . . وحلت الأجازة الصيفية ، وعبثا أحاول أن أقنع والدى بضرورة الاقامة فى مصر ، ولكنه رفض وأرسل الى يؤنبنى ، وأخيرا اعتزمت السفر وكانت تتبع أنباء المفاوضات بينى وبين الوالد المحترم .. حتى علمت ألا مناص من السفر وأنه بات أمرا واقعا فحزنت وتكدرت ، واجتهدت فى تخفيف أحزانها ولكنها كانت ترمينى بالشك فى إخلاصى ، وتتخذ من حديثى لها فى الترفيه عن نفسها سلاحا للبرهنة على ظنها ، ولكنى كنت أقسم لها بالحب العظيم الذى بيننا أننى مخلص وفى محب شريف .

حدد يوم الخميس للسفر وحدد يوم الأربعاء للمقابلة والوداع ، فزودتنى بالنصائح وملأتنى بعباراتها الخلابة الجميلة .. حتى أننى كنت فى ذلك اليوم أشعر لأول مرة بسعادة الحب .

لقد كنت ياصديقى صريحا وقد عرضت ظروف يطلق عليها الشباب المتهوس (فرصا) ظهرت فيها بمظهر نبيل لا يتنافى مع أخلاقى الخام ، وقد يعدها البعض غباوة وبلاهة ، لكننى كنت أشعر أن المثل الأعلى الذى وضعته هو أن أصل (بالدراما) الى أعلى مراتب الحب النزيه الخالى من الشوائب لا أطيل عليك . . تحدثنا وطال الحديث وذهبنا الى منزلنا سويا . جلسنا صامتين تنظر الى بحزن وكآبة وأنا أنظر اليها بغباوة وبلاهة وقد تصبب العرق وحمى جسمى فعرضت عليها أن تخلع معطفها فخلعته . أحسست بتيار كهربائى يسرى فى عروقى فانتفضت وشعرت بأنفاسها تطرد وهي تجتهد فى كتمها ، وكدت أرتكب عملا جنونيا ، لكننى فجأة وقفت وعدت أدراجى ،

وجلست فلم يلبث أن عاد الى برودى ووجومى .

مضت ساعة ثم استأذنت وودعتها وداعا حارا حتى اننى تجرأت وقبلت أطراف أصابعها ! ثم خرجت مسرعة وذهبت الى منزلها .

فى الصباح المبكر كانت عربات الدرجة الثالثة ممتلئة بالركاب وقد اتخذت مقعدى بجوار النافذة وبيدى جرائد الصباح بأجمعها ولم أقرأ فيها حرفا ؛ تحرك القطار من محطة القاهرة وخرج من ظلامها ينساب كالأفعى الى النور ، وكان نورا حقا . . . فالمزارع خضراء والسماء زرقاء وأرض الحصاد بيضاء والقطن أخضر قاتم والماء يتخلل الأراضى كالشرايين يرويها فتورق وتثمر من كل زوج بهيج ، كانت المناظر جميلة إلا أننى كنت قلقا تخيم على ذهنى سحابة من الحزن وتملكتنى الفكر فارتادت بى الربى والآكام وانحدرت الى الكهوف والمغاور إلا أن بين هذا وذاك كان رأس صغير ذو عيون صامتة حزينة يبدو عليه دخان أبيض أحاول لمسه ، ولكن أين هو ؟ انه خيال ، انها فتاتى الصغيرة ومعبودتى - كيف تركتها لا أعلم !

خطر لى خاطر قد تعده غريبا . . . فى تلك اللحظة قلت فى نفسى لماذا لا تكون هذه الفتاة تحب غيرى كما أحبتنى ، ان هذا الشاب الذى رأيته معها مرارا وادعت هى قرابته لا يمت لها بصلة كما علمت من مصدر آخر ، يالى من غبى ! كيف أتهاون الى هذا الحد ؟ ولماذا ادعت قرابته ؟ ولم يتسرب الى نفسى الشك ؟ انها ماكرة انها تلعب بى . . . ولم ألبث قليلا حتى تملكنى اليأس وسيطر على القنوط وتصلبت أعصاب المخ ووقف دولاب العقل وأخيرا غضبت واشتدغضبى ، وفتحت جريدة ملأى بأخبار تافهة لا قيمة لها بالنسبة لهذه المسألة الجسيمة التى اضطرب لها جل فكرى . . يجب أن أعاملها كما عاملتنى هذه الخائنة . . تأملت فى صورة فى الجريدة مدة ، ثم جاءتنى مشاغلى فوجدت نفسى أحن الى رؤيتها وأتشوق لهاتين العينين الزرقاوين وبدأت أرمى من رأيى تلك الأفكار إلا إخلاصها . . فأمس كادت تسلم نفسها لى . . ألا يكفينى هذا دليلا ! . . أرسلت هذه الفكرة الراحة إلى العقل وأيقظت الأمانى والأحلام الجميلة . . وصلت إلى قريتى فى المساء . . ولا يخفى عليك جو المطرية الجميل فى أيام الصيف . . مضت ليلة وعزمت أن أحرر لها خطابا فى الصباح أعلمها بوصولى وأسألها عن هذا الشاب وغيره من الشبان الذين كان أصدقائى يرونها تسير معهم . . اختمرت الفكرة فى رأسى طول الليل ، وفى الصباح المبكر حملت محبرة وقرطاسا وقلما . . وجلست جلسة ريفية وتركت العنان للجمل التى تواردت على جنانى فحررتها بسرعة ، وكثيرا ما شطبت وكثيرا ما محوت ، وأخيرا بيضت فى ورقة جميلة ضمنتها عبارات الحب والولاء والاخلاص ، وأنى على عهدى لازلت ، وسألتها - فى لهجة الأدب - عن هؤلاء الشبان . .

مضى يومان انتظرت خطابها فيهما بفارغ الصبر وأخيرا وصلنى فلم أصدق وصوله وحملته فى

يدى شاكا فيه . . . ركبت قاربا صغيرا من قوارب الصيد على مياه البحيرة الراقصة الزرقاء ، وأخذت المجداف فى يدى وحركته بسرعة بعيدا عن الشاطىء حتى وصلت إلى تل الذهب ورسوت بجـــواره ، وأخرجت الخطاب برفق وفضضته ثم مد يده إلى جيبه وأخرج عدة رسائل أعطانى واحدة منها فقرأتها بامعان رغم رداءة خطها وسخافة لفظها ، وإذابها

وحيدى !

أرسل إليك يازهرة الألباب سلامى المملوء بالمحبـــة الخالدة والاخلاص من فؤاد حزين يعبدك ، متألمة لفراقك تلك المدة التى لاأجد فيها أخا حنونا يواسينى فى هذه المدة التى كدت فيها أفنى لولا خيالك يرافقنى وطيفك يمر بى فيتركنى فى غياهب لاأدرى كيف الخروج منها ، وبعد :

عزيزى ! أبعث إليك تلك الرسالة العزيزة وأناجالسة أبكى سعادتى لفراقى شخصك المحبوب جلست صامتة مفكرة فى ذكرياتك اللطيفة التى هى أحسن شىء عندى فى الحياة الدنيا .

وختاما أختم خطابى بقبلاتى الحارة ؟ المخلصة مريم

عاد صديقى إلى حديثه فقال قرأت هذا الخطاب مرتين أوثلاثة ولا يمكننى أن أصف شعورى فى تلك اللحظة السعيدة فقد عدت وأنا مطمئن على آمالى فى الحياة . . عدت إلى العاصمة وأنا مملوء بالرجاء مزود بالأمانى والآمال ، وما كان أحلاها لحظة أن رأيتها ، ولكنها قابلتنى بفتور غريب لم أكن أتعوده منها ، لم أكيف هذا الفتور حتى آويت الى فراشى وأخذت أبحث على أصل إلى خبايا نفسها فلم أوفق . . . ولم أرها عشرين يوما قابلنى فى خلالها صديقى فى مدرسة الطب فسألته عنها فقال ببرود . . وهل لازلت تحبها ؟ فقلت « نعم » فارتمى على جانبيه من الضحك وقال . . . لازلت « خاما » إلى الآن لقد مثلت معك الدور بمهارة كما مثلته معى ومثلته مع جملة من أصدقائى وأصدقائك . . بل وحلاقين وأسطوات الخ . . ـ فقاطعته وقلت له « كفى » وأخرجت خطاباتها وأريتها لصديقى فأخرج لى أربعة أو خمسة منها أيضا ! ! ونزلنا سويا إلى السينما وعدت حوالى منتصف الليل فأعطانى البواب خطابا معنونا باسمى ففتحته على ضوء مصباح ضئيل فقرأت :

عزيزى فلان ! لاتفكر فى مطلقا لأنى أصبحت لاأحبك ؟ مريم

لم يغرنى هذا الخطاب فانه كان منتظرا ، وخلعت ملابسى بنشاط ونمت ملء جفنى حتى الصباح وذهبت إلى الكلية فقصصت على كريم قصتى فقال لقد أفلست ياصديقى فى حبك ولقد جارت عليك بهذا الحكم الفظيع .

ثم صمتنا وصعدنا إلى قاعة المحاضرات وعادت الأمور إلى مجاريها . . وهذه هى قصتى .

قلت ـ وقد عادت الشمس إلى خدرها ـ إنك سقطت فى دور أنطونيو أما هى فنجحت فى تمثيل كليوباترة إلى حد الاجادة ؟

عبد الفتاح السيد

من حفلات الشهر

١ ـ فى دار العروبة

لم تعد « دار العروبة » مجهولة من أحد ، ولم يعد صاحبها الشيخ الجليل « أحمد زكى باشا » رجلا مصرياً فحسب ، وإنما جعلته (العروبة) رجلا تجتمع إلى طويته نزعات الشرق كله وتنطوى نفسه على فيض كبير من الدعاية الواسعة لاستعادة مجد العرب ورفع لواء العروبة وإنمائها فى كل قلب عربى وفى كل لسان شرقى تزدحم فى تضاعيفه لغة الضاد .

ولقد أثرت هذه الروح على حفلات العلامة أحمد زكي باشا فميزتها بأنها — دون الحفلات المصرية جميعاً — تفعم بالظاهرة الشرقية ، وتزخر بآيات العروبة الخالدات ، وتزدان برجالاتها وزعمائها الأعلام ، بل إنى لأزعم لك أن هذه الحفلات جد كفيلة بأن تظهرك على وجوه الشرق كله فى ساحة تلك الدار العامرة ، حين تشهد فى مجلس من مجالسها العامرة مصرياً يواجه حجازياً ، أو عراقياً ، أو شامياً ، أو يمنياً ، أو أفغانياً ، أو فارسياً ، أو هندياً ، أو مغربياً ، أو جاوياً ، أو صينياً الخ ...

وليس من شك فى أن هذه الظاهرة قد استقرت على الدعاية المنظمة لتحقيق (الوحدة العربية) واستكمال أسباب نجاحها ، حتى أصبحنا نأمل كل الأمل فى تحقيق مولد هذه الوحدة الذى قارب التحقيق بفضل دار العروبة وصاحبها إلى حد بعيد .

نقول هذا على أثر الحفلة التى دعا إليها زكى باشا — فى مستهل الشهر المنصرم — طائفة من حاملى لواء العروبة لتكريم الوفد الهندى للمؤتمر الاسلامى الذى يرأسه مولاى شوكت على وشفيع داوودى والشاعر العظيم الدكتور إقبال . فالحق أنها كانت حفلة جامعة حقاً ، وإن تكن قد خرجت عن طوق مثيلاتها فى إذاعة الخطب و إنشاء القصائد ، فان شهودها لم يكن لهم من هم إلا (سحق) ما يقدمه اليهم شيخ العروبة من أطايب الحلوى وأكواب الشاى .

ولكنها إلى جانب ذلك قد جددت — بأحاديث السادة العظماء ، والعلماء ، والأدباء — من عزيمة الفكرة العربية ، تجديداً فى مقدورنا أن نقول عنه بأنه مبشر بالخير الوفير .

وهكذا (دار العروبة) دائماً ما ينفض عنها حفل حاشد ، إلا لتستقبل حفلا أكثر حشداً ، وفى ذلك ما يؤكد لنا بأننا على وشك أن نحدث القراء قريباً عن حفلة أخرى .

أليس كذلك يا أستاذنا ياشيخ العروبة ؟!

مكتبة المعرفة

الاسلام ! فى حاجة إلى دعاية وتبشير

يتحقق لك من هذا العنوان روح صاحبه ، وما تنطوى عليه نفسه من عواطف . و يبدو لك موضوعه للنظرة الا ولى، وكأنه واحد من هذه الموضوعات التي قتلها البحث ومزقتها الا قلام ، فان القول بالتبشير الاسلامى قد نشأ مع الفتوحات الاسلامية جنبا لجنب ، وقد كان إلى ذلك روحا فاحة بالخير طالما وفرت على الانسانية السعادة والرضى والحياة ، وإن تكن فكرة الركود التى تنتاب الاسلام فى هذه المرحلة من حياته قد راعت أولئك الذين تتعهدهم الغيرة على الدين القويم ، و بعثت إلي نفوسهم كثيراً من الفزع ، فانهم لم يضعوا أساساً صالحاً يقيمون عليه صرح الدعاية التى يشاءون مخلصين أن يكون للاسلام من ورائها بعث جديد ..

ولكن الا ستاذ الأديب الجزائرى «السيد محمد السعيد الزاهرى» أحد علماء الجزائر قد بحث فكرة التبشير فى أسلوب العصر الحاضر وعقلية الرجل المثقف ، وحجة العقل المقتنع ، ذاهباً من رأى سديد ، إلي رأى آخر أوفر سداداً . ثم تناول ذلك البحث الذى خلع عليه إهاب الرواية وقدمه إلي العالم الاسلامي فى كتاب «الاسلام فى حاجة إلى دعاية وتبشير» والحق أن هذه الدعوة جديرة بالدراسة ، وأن هذا الكتاب جدير بالتقدير لأنه صرخة داوية نرجو أن نسمع صداها .

الفتى والفتاة

أو حقائق ناصعة تثبت سوء قصد مؤلف كتابي « السفور والحجاب » و « الفتاة والشيوخ » بقلم : عبد الرحمن محمود الجص مراسل جريدتى «العراق» البغدادية ، و «الزهور» الفلسطينية... تقع هذه الرسالة فى ٤٨ صفحة من القطع الصغير وقد حفلت بأسلوب المؤلف اللبق المقذع فجاءت سهاما نافذات وحججاً دامغات ، وليس أدل على هذه اللباقة من الكيفية التى عمد إليها المؤلف فى إبعاد الآنسة نظيرة زين الدين من موقع سهامه ، فان مهارته هذه قد ذكرتنا بحسان بن ثابت عند ما اعتزم هجر قريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف وأنا منهم؟ » فأجاب حسان : «لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين » وهكذا استطاع الاستاذ عبد الرحمن أن « يسل » الآنسة نظيرة من الموضوع على الرغم من أنها صاحبة الكتابين الذين دفعاه إلى رسالته المقذعة الرشيقة .

تقويم الهلال

أصدرت إدارة الهلال « تقويم الهلال لسنة ١٩٣٢ » وهو ثالث تقويم يصدر عنها ، والهدية الاولى من هدايا الهلال السنة الأربعين . وقد اهتمت دار الهلال اهتماماً خاصاً به فكبر حجمه وضوعفت العناية بتحريره وتنسيقه .

وتقويم الهلال مراجع يرجع القارىء إلى ما فيه من بيانات ومعلومات — وهو إلي ذلك كشكول علم وفن وأدب .

بين المعرفة وقرائها

دفاع سقراط

(بلبيس. مصر — محمد على حسنين) فى أى كتاب يوجد دفاع سقراط عن نفسه الذى استشهدتم به فى مقال لكم بعنوان «حرية الرأى وأنصار الجمهور»؟

«المعرفة» إن بالغ علمنا عن سقراط هو أنه لم يترك كتباً تحمل آراءه وفلسفته، وكل الذي تعرفه عنه مأخوذ عن تلميذيه «أفلاطون» و«زينوفون» وقد تصدى أفلاطون فى بعض كتبه للدفاع عن سقراط فيمكنك الرجوع إليها، كما يمكنك الرجوع إلى دائرة المعارف الانجليزية ودائرة معارف البستانى، وكتاب حرية الفكر

رسالة الدكتور منصور فهمى

(ومنه أيضاً) هل يمكننى أن أقتنى الرسالة التى قدمها الدكتور منصور فهمى إلى كلية السوربون وأخذ بها شهادة الدكتوراه؟

«المعرفة» كل الذى علمناه، هو أنه لا يمكنك الآن الحصول عليها، لأنها طبعت سنه ١٩١٣، وكان عدد النسخ محدودا فنفد لوقته، ولا يوجد الآن سوى نسختين فى مكتبة «الكان» بباريس وهى محتفظة بهما لنفسها.

الالتحاق بمعهد الموسيقى الشرقى

(اسكندرية. مصر — عبدالحميد حسن الشيخ) ما هى الشروط التى يجب توافرها فى شاب يرغب الالتحاق بمعهد الموسيقى الشرقى. وماذا يطلب منه؟

«المعرفة» يوجد قسمان اثنان بالمعهد المذكور: أحدهما قسم الأصوات، وثانيهما قسم الموسيقى الايقاعية، فان كنت تسأل عن الأول، فشروطه: أن يكون الطالب ذا صوت حسن يؤهله للنجاح فى امتحان يعقد أمام لجنة الامتحان بالمعهد، وإن كان الثانى: فشروطه ألا تزيد سن الطالب عن ثلاثة عشر عاماً.

مؤسسو المسرح المصرى

(ومنه أيضا) هل لكم أن تدلونى على بعض الأدباء الذين لهم ضلع كبير فى تأسيس المسرح المصرى؟

«المعرفة»: مؤسسو المسرح فى الحقيقة هم السوريون، وأول من اشتغل منهم بالمسرح فى مصر «القرداحي» المشهور، و«أبو خليل القباني» و«اسكندر فرح» ثم الشيخ «سلامه حجازي» المصرى، والأساتذة جورج أبيض، وعزيز عيد، وعبد الرحمن رشدى، وعمر وصفى، وعمر بك سرى، ويوسف وهبى، وكثيرون غيرهم.

٢ – الدكتور اقبال

فى منزل « الشهبندر »

الدكتور « عبدالرحمن شهبندر » زعيم سوريا الأكبر دون ريب ، ولكنه إلى جانب ذلك أديب بحاثة فى شتى العلوم ، وفى مقدور قراء « المعرفة » أن يلمسوا مكانته فى الثقافة العالية من هذه الفصول الشيقة التى يذيعها عليهم فى طليعة كل شهر

والدكتور محمد اقبال الفيلسوف الشاعر الهندى — أو كما يلقبه الهنود المسلمون . . أمير الشعراء — رجل تضم نفسه من صور الثقافة كفاء ماتضم من ألوان السياسة

ولقد كان من بواعث الغبطة لمصر أن يزورها الدكتور إقبال، وأن يختلف إلى نواديها ، ويشهد من معالمها فى الحضارة ، ومن مشاهدها المحدثة الجديدة هذه الجوانب التى أثرت عليه ودفعت به إلى أن يذيع أسفه لأنه لا يستطيع أن يطيل فى الاقامة أياما أخر . .

ولقد شاء الزعيم الدكتور عبدالرحمن شهبندر أن يؤلف في داره باقة من خيرة الرءوس التى يفاخر بها الشرق لتشاركه الحفاوة بشاعر الهند الكبير ، فأقام حفلة باهرة رأينا فيها شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، وشيخ المهذبين الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ، والدكتور منصور فهمى والأستاذ على عبد الرازق ، والقائد الحربى جمال باشا الغزى ، وكثيرين غير هؤلاء من أهل العلم والفضل .

ولقد كانت فى الحق حفلة ممتعة سارة فريدة فى طابعها الذى لم يكن من ذلك النوع الحافل بالكلفة والغموض ... وتميزت إلى ذلك بروحها السائغ فى غمرات الأخاء والصفاء .

وكم كان رائعاً ذلك الصمت الذى يحد الشاعر الهندى من جوانبه جمعاء . . وهو الصمت الذى يؤلف أمتع ميزة فى رجل الهند العظيم . . وليس هو بالصمت الذى يفعمه العى ، أو تزدحم عليه كتائب الريبة ، فان الدكتور إقبال فى طليعة الخالدين الذين توفروا على إذاعة المثل العليا فى مواطنيهم ، و إن عيشة البساطة التى ألفها فى بيته وبين إخوانه ومواطنيه وتلاميذه .. وهذه النظرات العميقة التى يسبح بها فى عالمه الشعرى الفسيح ، قد حببا اليه أن يكون صموتاً إلا حيث تتحرك أنامل قلمه ، فهنا الفيض ، وهنا السيل ، وهنا العاصفة على أشدها . .

والحق أن هذه الحفلة التى أقامها الدكتور «شهبندر» للشاعر الدكتور « إقبال » كانت بليغة الأثر ، سامية الأحدوثة ، لأنها مكنت أواصر الأخاء بين طلائع العروبة ، وبين رجل من رجالات الهند المسلمين الأفذاذ . . . .

٣ — فى منزل آل مرشاق

وهنا أيضا تستقيم فكرة العروبة وأحلام الوحدة بين جنبات تلك الدار بل بين أطراف الشرق وفى كل جانب من جوانبه ، وإذا كان الفضل يرجع فى الأولى إلى شيخ العروبة احمد زكى باشا ، فان الفضل فى الثانية سيرجع إلى شيخ العرب حمد الباسل باشا ، ولعلنا نعود فى فرصة أخرى لتبيان فكرة الأخير فى ذلك .

على أساس تلك الفكرة ، وعلى مثار تلك الدعاية القوية ، التى تزدحم بها أفواه الخطباء وأقلام المفكرين ، تطورت الحفلات العامة فاصطبغت بذلك اللون العربى الجامع ، وازدانت بتلك الروح الشرقية الساحرة

فكان أن أقام السرى السورى الفاضل الأستاذ وديع مرشاق ، والسيدة هدى عقيلته المصون — المثقفة بالغ الثقافة — حفلة كانت صورة من أروع الصور لتلك الروح التى حدثناك عنها والتى تتوج العهد الأخير .

أقيمت هذه الحفلة تكريماً للسيدة الانجليزية (مس فايتز ويليام) نصيرة القضية العربية وإحدى اللواتى قدمن إلى العرب يداً لا يبيد أثرها ، ولا يفنى جلالها .

وأى جماعة تلك التى أجابت دعوة وديع ، لقد رأينا عشرات من أولئك الذين تتفاخر بهم المجتمعات ، وتتمثل فيهم روح الحياة بكل ما فيها من فتوة وقوة ، فاذا كانت الذاكرة تخوننا فى سرد أسماء من حضروا تلك الحفلة ، فاننا لا ننسى شيخ العروبة زكى باشا ، وزعيم سوريا الدكتور شهبندر ، ورجل السيف اللواء جمال باشا الغزى ، ورجل التربية العمروسى بك ، وحامل القلم الشيخ محمد سليمان (أبو التلاميذ) ، وأستاذ الأدب الدكتور ضيف ، وعالم النفس الأستاذ مظهر سعيد ، والمربية الفضلى الآنسة نظلة الحكيم ... وكثيرين بل وكثيرين جداً .

وقد يكون إمعاناً منا فى النسيان أن لا نذكر تلك الألوان الشهية التى اجتمعت حول أكواب الشاى ، وحسبك لتدرك ما فيها من حلاوة وجمال ذوق ، أن تعلم بأنها من مبتكرات السيدة الجليلة هدى هانم مرشاق صاحبة الدعوة .

وبين هذه الزحمة المزدوجة ، بل بين هذه المعركة الصاخبة ، التى كانت الحلوى فيها ضحية بريئة — وقف الخطباء ، لا لينثروا فى أجواء البهو الرحيب كلمات ضخمة ، وإنما ليتحدثوا حديث الأخاء ، عذباً ، رائعاً ، صافياً ، لا شائبة فيه

فوقفت السيدة المهذبة هدى هانم مرشاق ، ورحبت بالآنسة المحتفل بها ، وشكرت الحضور ، وأثنت على الآنسة بالغ الثناء ، ثم طلبت إليها فى رفق ولين ، أن تواصل مجهودها الشريف ،

وتستمر فى طريقها الموفق ، لاسماع الغرب صوت الشرق ، وإنارة السبيل عن حقائقه ، وهدم الخزعبلات التى يشيعونها عنه ، وإبلاغ الغرب ما ينشده العرب من حرية واستقلال

وهنا قام (شيخ العروبة) ، فصال وجال ، كأنه يقول هل من مبارز ؟ فاعترض على تخصيص الحفلة لتكريم الآنسة المحتفل بها وحدها ، وأبى أن تكون وقفا عليها فحسب ، ثم قال: إن علينا أن نكرم معها كبيرين من كبراء العرب ـ وقد حضرا حفلتنا هذه: أحدهما رب السيف وهو جمال باشا الغزى . والآخر رب القلم وهو فضيلة الأستاذ م . س. صاحب المقالات الرنانة ، التى وجدت فيها البلاغة الساحرة والعلم الواسع. وأبى فضله ونبله عليه إلا أن يشيد بمجلة «المعرفة» ويذكر صاحبها بالخير ، طالباً اليه فى رفق ولين ، العمل على أن تكون « المعرفة » كما هى لسان حال العرب لنشر آدابهم وبعث مفاخرهم وثقافتهم .

ثم طلب الحاضرون إلى الدكتور شهبندر أن يتكلم ، فارتجل خطاباً نفيساً تناول فيه موضوع الاقتراح الذى بسطه شيخ العروبة بالشرح والتبيان ، واقترح أن يعهد إلى كل من أرباب الاختصاص العلمى ، أن يعمل فى دائرة اختصاصه ، ويأخذ على عاتقه ، أن يقدم لنا فى ختام كل عام مؤلفاً جديداً فى البحوث التى يعالجها .

ثم قامت الآنسة المهذبة والمربية الفضلى نظلة الحكيم ، فارتجلت كلمة قيمة بالانكليزية فى بلاغة رائعة وفى أسلوب سكسونى رصين ، لا تشوبه لكنة ، ولا عجمة ... فطلبت إلى السيدة المحتفل بها أن تقوم بنصيبها فى إسماع صوت الشعوب المظلومة إلى المقامات الأوروبية ، وانتقدت تسمية السيدة بالمستشرقة ، ورأت أن تسمى نصيرة الشرق وصديقة العرب . ثم تكلم بعد ذلك بالانكليزية : الدكتور حبيب مالك فأبدع ، والأستاذ يونس مصوبع فأجمع ، وقام الأستاذ مظهر سعيد فأفاض وأقنع ، وكان موفقاً كل التوفيق ، فكان خطيب الحفلة ، وكان أن تعهد بأن يقوم بنصيبه فى تنفيذ اقتراح الدكتور شهبندر .

ودعى صاحب «المعرفة» إلى الكلام ، وكان متأثراً أجد التأثر بما رأى وسمع ، فأبى إلا أن يناقش اقتراح زكى باشا فى تكوين جماعة تعمل على بعث ونشر الثقافة العربية ، وصارح الحضور بأن مثل هذه الفكر ما تلبث الواحدة منها أن تبدو وتظهر حتى تخفق وتقبر ، وما ذلك إلا لأننا لم نفهم معنى التعاون على حقيقته ، وإنا ما نزال فى حاجة كبرى للتآزر على فهم معنى التآزر.

ثم ناقش اقتراح الدكتور شهبندر وأيده بكل ما فيه من قوة واختتم كلمته بقوله: «إن «المعرفة» وصاحبها لخادمان مخلصان إلى الأبد وإلى النهاية حتى ولو كانت تلك النهاية غير ما نقدر ، فسنظل دائبين على نشر الثقافة العربية الحرة ، وإحياء ما اندثر من مجد أجدادنا وآبائنا ورفع ألويتنا وتقوية أواصرنا ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » .

ثم تفضلت الآنسة الانكليزية المحتفل بها ، فأثنت على صاحبى الدار ، وشكرت الحاضرين

على احتفائهم بها ، وقالت : إنه ليسرها كل السرور أن تكون قادرة على تحقيق ما طلب منها

وكان ان اختتمت الحفلة أحسن ختام بكلمة لسعادة جمال باشا الغزى الذى قال : إنى أبشركم بأن الشعوب العربية قدوصلت إلى المستوى اللائق بها ، والذى يؤهلها لأن تبلغ أمانيها واستقلالها ، وحريتها »

ولا يفوتنا أخيراً أن نذكر بالثناء العاطر ، اخانا الأديب الفاضل الأستاذ تيسير ظبيان ، الذى كان لولب الحفلة وروحها المحرك بما أبدى من اقتراحات طريفة ، وأظهر من براعة فى المناقشة

٤ — ذكرى سلامة حجازى

لم يكن حظ النبوغ فى مصر إلا الحظ الأقل الضئيل ، فحياة فنانيها ما تلبث أن تهدأ فى جانب الرمس حتى تنسى ، بينما يبقى نتاجهم خالداً فى العيون والاسماع .

ولقد كان الشيخ سلامة حجازى أحد أولئك الأفذاذ الذين تطوروا بفن الغناء وأتاحوا له وثبة من وثبات البعث ، وكان الرجل إلى ذلك صورة من صور الحياة يقدره العظماء وتتفتح له مغاليق الأبواب ، على أنه ما كاد يخطو إلى قبره ، وما كاد مشيعوه يعودون إلى أماكنهم بين الأحياء حتى كان القبر أنقاضاً ، لأن اليد التى أقامته قد أقامته حسبة لوجه الله الكريم . وأنت تدرى كيف يكون البناء الذى أقيم منة وإحساناً . .

ولكن الله قد وفر على قلوب من الشباب روح الاجلال لذلك الفنان العظيم ، فأخذوا يتناولون العمل فى تخليده وبعثه كادحين دائبين ، حتى اتيح لهم بعد جهد شاق ، أن يقيموا له قبراً وأن ينقلوا إلى ذلك القبر رفاته العزيز .

ثم شاءت هذه الجماعة أن تذكر الأحياء بعظمة الفقيد ، فدعت إلى حفلة كبرى أقيمت تذكاراً له فى دار الأوبرا خلال الشهر الفائت .

وإذا كان الاقبال على هذه الحفلة من جانب شهودها دليلا ناطقاً بما للشيخ سلامة من أثر فى النفوس ، فأن هنالك جوانب أخرى لا نستطيع أن نترك الحديث عنها ، هى أن طائفة من الفنانين قد أبت أن تشترك فى الغناء فى تلك الحفلة دون أجر . . . ! أجل إنها كانت تريد الثمن فواخجلتاه ! .

وبعد : فاذا كان الفقيد العزيز قد لقى مكانه المطمئن بين الخالدين ، فأن هناك رجلا واحداً كان فى الحق شعلة الضوء التى أوحت لفقيدنا هذا الخلود هو الدكتور محمد فاضل . . . وقليل من يعرفه ، وكثير فى الناس من يغبطه على النجاح فيما سعى إليه

نقول ذلك ، وليكن غرض الدكتور الشهرة والعمل لنفسه كما يقول المغرضون ، فما فى ذلك من ضير مطلقاً ما دمنا لم نجد من جاء بأحسن منه

٥ — محمد عبد المطلب

أخذ الوافدون على قاعة «يورت» فى الساعة السادسة من مساء ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣١ يتعجلون خطاهم إلى مقاعدهم ... ثم يقتعدونها صامتين كأن على رءوسهم الطير .. ولقد كون أولئك الوافدون حشداً من رجالات الثقافة فى مصر، وشبابها الذى يؤلف صفوة صالحة من تلاميذ الفقيد العظيم الشيخ محمد عبد المطلب، وكان وزير المعارف على رأس تلك الحشود التى ازدحمت بها القاعة ... ولم يمض بنا طويل وقت حتى رأينا الأستاذ الجليل الشيخ أحمد السكندرى قد وقف إلى المنصة وأخذ يقص علينا حياة الفقيد فى ذلك البيان الجلى، وهذا الأداء القوى، وذلك التحليل العميق الذى يتعهد به الأستاذ أشتات الشخصيات البارزة التى يتحدث عنها، ثم ألقيت قصيدة شوقى، فتلمسنا فيها قبساً من وفاء الشاعر للشاعر، وأعقبتها قصيدة السيد حسن القاياتى فكانت زفرة باكية وحسرة مبثوثة، وتلتها قصيدة الأستاذ حسين شفيق المصرى، فكانت قطعة من روح صاحبها الأديب .. ثم أنشدنا الأستاذ الهراوى قصيدته فاذا هى الدمع الصادق يسحه صديق وفى على صديقه الراحل الكريم.

وليس من شك فى أن جو هذه الحفلة كان فياضاً بالأسى والتوجع، وكان حافلا بالزفرات والحسرات. فالأستاذ الفقيد «محمد عبد المطلب» لم يكن من أولئك الذين يبيعون شعرهم رخيصاً، ولم يكن من أولئك الذين تحفزهم توافه الحوادث إلى القريض .. وإنما كان إنتاجه مزقة من عواطفه النبيلة ومشاعره الرائعة الجليلة.

ولقد أثرت عليه هذه الحالة — حالة الضن بنفسه وقلمه على ما يجلب الرفد والهناءة — فعاش فقيراً، ومات معدما.

وليس هنالك ما يعيبه فى إذاعة فقره وعدمه، فانها الحقيقة التى تلابس الأفذاذ من أمثاله فى كل العصور.

وإذا كانت هذه الدموع التى سحها شهود حفلة تأبينه — ومن ورائهم آلاف المثقفين من تلاميذه — كفيلة بأن تكون جزاء حقاً لما أسداه إلى الأدب العربى طيلة حياته، فان هنالك ديناً آخر يستطيع أولئك الذين أحزنهم فقدانه أن يؤدوه حتى يحفظوا لأسرته حالة من السعادة، وشيئاً من رغد العيش ... أجل إن عليهم ديناً لهذه الأسرة التى طوى القدر صحيفة عائلها، والتى تتناولها أيدى المحن من بعده ... عليهم أن يقبلوا على شراء ديوانه الذى يقوم تلاميذه بطبعه — مهما يكن ثمنه فادحاً — فأن الفقر فى أجمل صوره وأرقها، لا يجدر به أن يجد سبيله إلى أسرة ليس فى أفرادها واحد من البنين

ونرى قبل اختتام هذه الكلمة أن نتوجه بكلمة شكر لرجال الجامعة الأمريكية على ما يساهمون به من نصيب ليس بالضئيل فى سبيل نشر الثقافة، وفتح قاعتها لمثل هذه الحفلات.

بين المتناظرين

علام تقوم الآراء؟

لكل إنسان رأى متى بلغ رشده ومارس الحياة وخالط إخوانه فى الانسانية ، وتقوم الآراء على ثلاثة دعائم أصلية : المحبة والبغض والانصاف ، فالمحبة الطرف الأول ، والبغض الطرف الثانى ، والانصاف الوسط بينهما ، وهاته الاشياء الثلاثة كالميزان للانسان ، كفتاه البغض والمحبة ، والانصاف لسان الميزان الفاصل بين الكفتين ، الرقيب عليهما : عدالة وظلماً ، وكل إنسان نقصته أحد الثلاثة كان كالميزان الفاقد إحدى كفتيه ، أو اللسان الذى لا يعتد بما يزن ولا يرضى الفصل فيه ، وصاحب الرأى لا بد أن تكون فيه فطرة المحبة والبغض والانصاف لأنه بالمحبة يسارع لنوال محبوبه ، وببغضه يسارع ليكافح عن ذلك المقصد ، وبانصافه يكون حكما عدلا له أو عليه .

والوجود يعج بالآراء فى مختلف المقاصد : دينية وسياسية واستعمارية وملوكية : وحروب الآراء قائمة الآن مقام الحرب العظمى السابقة ، فأهل الرأى البارزون فى كل دولة وشعب إذا كانوا ممن فقدوا كمال الرأى أوقعوا العالم الانسانى فى مشكلة لا تحل إلا بحرب عالمية تكاد تعيد طوفان نوح فلا تبقى ولا تذر .

فعلى أهل الرأى والصحافة أن يرشدوا الرجال القائمين الآن بمهام الشؤون ــ سواء أكانوا زعماء سياسيين أو كتابا محررين أو رؤساء دينيين ــ وأن يختاروا منهم من كمل رأيه ومن لا تقهره عاطفته فيتطرف فى رأيه ومن لا يقوى عليه غضبه فيحيد عن الصراط السوى والمنهج النافع إلى حب الانتقام لنفسه أو لمن يحبه ، بل يلزم أن يقدموا إلى الأمة والشباب من فطروا على حب الانصاف ولو من أنفسهم الذين إذا نبهوا إلى خطأ أصلحوه ، وإذا أرشدوا استرشدوا ، وإذا أحبوا لم يتجاوزوا الوسط وإذا بغضوا لم ينتقموا لغير وجه الحق ــ فاذا اختارت الأمم أهل الاخلاص المنصفين ، واتخذتهم قادة وعلماء ، وفوضوا اليهم الشؤون والمصالح ــ استراح العالم أجمع من هذه الحروب . وهؤلاء لا تخلو منهم مكان ولا زمان ولا يخفون على أممهم وشعوبهم .

هذا هو مرض العالم الآن ودواؤه ، فلعلنا نقتطف ثمار الشفاء ولعل يكون لزعمائنا وكتابنا وقادتنا العصريين من كلمتى هذه ذكرى ــ ولا يقومن أحدهم فيشن الغارة على من تغافل من إخوانه أو نسى أن يقوم له بما يجب أو خالفه فى رأى أو نادى أهل له بما يعتقد صلاحه أو أظهرته أعماله المجيدة ومواهبه الالوهية على غيره ؟

عباس أمين

العلوم والفنون

أوزة العيد

في يوم ٢٩ سبتمبر من كل عام ، يحتفل الانجليز عادة بعيد القديس ميخائيل ؛ وأظهر ما في احتفالهم هذا هو (أكل الأوزة) كما يحتفل الغربيون عامة بأكل الديك الرومي في عيد الميلاد . ولقد كتب الأستاذ « بيكرافت » — وهو المؤلف لعدة كتب في علم النبات والحيوان — مقالا عن الأوزة وأصلها نلخصه لقراء مجلتنا لما فيه من طريف الآراء .

لو ساوت الواحدة من ثمر الشليك يوم عيد الميلاد جنيها لما أعرتها بالا — وليس هذا رأيي فحسب، بل هو رأى الكثيرين من زملائي أيضا . لأني أفضل طيبات الأشياء في هذه الحياة في أوانها ، فانا في ذلك الوقت نعرف كيف نستسيغ نكهتها ونستطيع أن ننعم بلذتها . ولهذا نبذل كل ما في طاقتنا — إذا ما حان عيد القديس ميخائيل — لمدة قصيرة لنهيء أسباب الترف لكل ما يتطلبه العيد . فنتهافت على هذه اللحوم العظيمة اللذة : ألا وهي (أوزة العيد) ونحن في هذا لا نأتي بجديد بل نتبع أجيال من كانوا في أزمانهم أكثر اتباعا للتقاليد منا اليوم .

وقد كان يجدر بنا أن نشيد بذكر هذا الشخص الذي كان أول من أرشدنا لأكل هذا الطير اللطيف، لولا أن ضاع اسمه في زوايا القدم ، زيادة على ذلك فاننا لا نعرف التاريخ الذي استأنست فيه الأوزة لبني الانسان لأول مرة ، ومع كل فقد يكون الانسان في العصر الحجري هو أول راع للأوز ، فتكون استطابة لحم الأوز سبقت استئناسه بزمن طويل — إذ كانت جميع الدواجن البرية في ذلك العصر ، تكثر في المستنقعات زرافات ووحدانا ، وما من شك في أن الانسان في ذلك الوقت ابتدع كل الطرق الممكنة لصيدها ، مع أن أكثر أسلحته المفلولة كانت من أشد الأنواع بداوة ، وفضلا عن ذلك كان له مورد آخر غير هذه الأسلحة ، إذ في شهر يوليو يتساقط ريش الطير القديم ويصبح عاريا جميعه — كما هي الحال في بعض الطيور المائية الأخرى . وكقاعدة عامة يكون هذا التساقط وئيداً وئيداً ، حتى يتيسر للطير الهرب من الخطر الداهم إذا ما شعر بقرب الظفر به . فالبط والأوز والبجع يمكنها أن تنزع عنها ريش أجنحتها ، ومع كل ففي قدرتها أن تتراجع عن طريق الخطر : إما بالهروب إلى الأحراش الفسيحة ، وإما بالسباحة داخل الماء ، وقد ظلت الأمور تجرى في مجراها الحسن على هذا المنوال أجيالا متعاقبة إلى أن ظهر الانسان على مسرح الحياة فتغيرت الأمور ، إذ عرف الانسان أنه ما هو

إلا حيوان مدبر دقيق الملاحظة ، وعرف كيف يوقع الطيور تحت رحمته إبان فترة خطرها ، فتسنى له أن يسور حواليها ، ويحز رقابها ، ويظل يذبح فيها ويذبح دون أن يمل الذبح . وما زال أهل كولجراف يتبعون نفس هذه الطريقة حتى يومنا هذا

ولا يستانس الأوز تماما إلا بين الشعوب المنظمة التي تعيش في أجواء معتدلة ، هذا ويجب أن نسجل ملاحظة هامة ، وهي أنه لم يصلح من بين جميع الأوز البرى للاستئناس ، إلا نوع واحد، وهو ذو الأرجل الرمادية ، وبمعنى آخر هو النوع الذى يصلح للتوالد بكثرة فى الظروف السالفة ، ذلك أن هنالك أنواعا أخرى كثيرة يمكن تربيتها ، بل وفى حالات كثيرة تتوالد ، ومع كل لا يصح الاعتماد عليها ، إذ طالما كانت ضئيلة النفع

ماهي المميزات الدقيقة فى تكوين هذا النوع والتي تؤهله للخضوع لغايات الانسان؟ لماذا كانت الأوزة ذات الأرجل الرمادية أكثر صلاحية للحفظ دون طيور الاحراش ، مع أننا استطعنا أن نولد بطونا عديدة من هذه الأنواع الأخيرة؟ ولماذا كان أكثرها لا يحمل أي شبه لآبائه البريين مع أن الأمور مع « الأوز الرمادى » بخلاف ذلك ؟ زد على ما تقدم أننا بواسطة التفريخ المنتخب قد أخرجنا للوجود أوزاً أبيض ، وأوزاً ذا ريش مجعد غريب ، ثم وقف عملنا عند هذا الحد ، إذ لم نتمكن من تكثير عدد بيضها ، فما السر فى الانفراد بهذه الصلاحية ؟؟ هذا بالرغم من أنه بين الطيور البرية وجدت أنواع عديدة تفوق فى عدد ما تبيضه كل عام أى نوع آخر معروف !! هنا يحار العقل فى تعليل هذه المسائل الخفية ، ولكن لم يتأكد أى أحد ، كما يخيل لنا ، من وجود هذه الخصائص فى سلوك الطير مطلقا

ومع أن ميدان هذا البحث قليل الخصب كما يظهر لنا ، فمن المجدى إلقاء نظرة عامة على الأنواع القديمة من (الاناتيديا) والتي نحصل عليها الآن ، طالما أننا من هذه نستطيع جمع بعض الآراء حول الأصل الذى خرجت منه تلك الفصيلة بأجمعها . وربما كان أكثر هذه الفصائل غرابة هو ذلك الطير الغريب الشكل المسمى « الصائح » (انظر شكل ١) وهو كما يظهر فى الرسم يختلف شكله اختلافا بينا عن صورة الأوزة التي نعلمها : فالمنقار أقرب إلى الطيور Gallinacea (الجالينية) منها إلى الأوز، ثم الأصابع، نستطيع أن نلحظ أنها لا تحمل أخفافا ، بينما أصبع رجلها



(الصائح : وهو نوع أولى من فصيلة الأوز)

(البقية على الصفحة رقم ١١٥٠)